

ترغيب أهل المودة والوفاء

في مسكني

دار الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

للسيخ إسماعيل بن عبد الله الإسكندري
المتوفى سنة ١١٨٢ هـ

تحقيق
عادل عبد المنعم أبو القباس

مكتبة الشارقة
المدينة للنورة هاتف ٨٢٢٤٦١٠
فاكس ٨٢٥٠٣٦٥ ٥٧٨٨٠٠



صاحب السمو الملكي الأمير
عبد المجيد بن عبد العزيز
أمير منطقة المدينة المنورة

إهداء

إلى صاحب السمو الملكي الأمير

عبد المجيد بن عبد العزيز

أمير منطقة المدينة المنورة

عرفانا وتقديراً لمجهوداته الضخمة وأعماله

الجليلة البارزة في عمارة وتخطيط المدينة المنورة

وخدمة زوارها من ضيوف الله عز وجل ، حباً

لساكنها المصطفى ﷺ وصحابته الأخيار

نهدي هذا الكتاب

مكتبة الثقافة

المدينة المنورة

مقدمة التحقيق

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد ...

فمما هو معلوم مقرر عند أصحاب العقول الصحيحة ، أن الله قد شرع لنا أن نحب ما كان رسوله ﷺ يحبه ، وأن نعظم ما كان يعظمه .

والمدينة النبوية المباركة ، هي البلد الذي فتح ذراعيه للدعوة التي يتحمل أعباءها الداعية الأكبر محمد رسول الله ﷺ ، بعدما أضربت مكة والطائف عن تلقى ما جاء به وما يدعو إليه ، فحازت المدينة بذلك قصب السبق ، وأبقى لها هذا الصنيعُ ذكراً على مدى الحياة لأن الجزاء من جنس العمل .

لقد أحبها رسول الله ﷺ حباً جمّاً ، ودعا لها دعاءً طويلاً ، وثبت في محبته لها ما لم يثبت مثله لمكة ، لأنه من خلالها استطاع أن يبلغ الرسالة التي تحمل مسئوليتها إلى جزيرة العرب بأسرها ، ثم إلى العالمين جميعاً .

ونحن لو تتبعنا الأحاديث والآثار التي قالها الرسول الأكرم ﷺ في فضل مدينته الطاهرة ، والحث على الإقامة فيها ، والصبر على شدائداتها ، حتى الموت بها ، لوجدنا أنها من الكثرة بمكان ، ولنضع بين كلمات هذه المقدمة مقتطفات من هذه الأحاديث الرائعة ، لنذكر من خلالها مدى ارتباط هذا القلب النبوي بهذا البلد الطاهر الذي أسدى لدعوته كل جميل .

فمن ذلك دعاؤه ﷺ لها ، أخرج مسلم في صحيحه أنه ﷺ دعا للمدينة فقال : «اللهم بارك لنا في مدينتنا ، وفي ثمارنا ، وفي مُدُننا وصانعنا» .

ومنها أنه دعا بنقل وبائها إلى خارجها ، فقد جاء فى صحيح مسلم
عن عائشة رضى الله عنها أنه ﷺ قال : «اللهم حبب إلينا المدينة كما
حببت إلينا مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا فى صاعها ومدّها ،
وحوّل حمّاها إلى الجحفة» .

كما جاء فى صحيح مسلم قوله ﷺ : «اللهم إن إبراهيم حرّم مكة
ودعا لأهلها ، وإنى حرّمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة ، وإنى دعوت فى
صاعها ومدّها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة» .

فكان حبه ﷺ لهذه المدينة المباركة من أكبر الأدلة على وفائه لها كما
كانت هى وفية لدعوته .

ومن يوم أن أعلن ﷺ هذا الحب بالأقوال الشريفة ، والأحاديث
الكريمة التى تمتلئ بها بطون كتب السنة ، أصبحت محبة لجميع
المسلمين ، ولم تزل ولا تزال قوافل الشوق تشد رحالها إلى هذا البلد
المبارك ، وأصبح لكل مؤمن من نفسه إلى المدينة المطهرة سائق وكيف لا
يكون ذلك كذلك ، وهى بلد عمرت بالوحى والتزليل ، وتردد بها جبريل
وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح ، وضجت عرصاتهما بالتقديس
والتسبيح ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ، وانتشر عنها من
دين الله وسنة رسوله ﷺ ما انتشر ، مدارس آيات ، ومساجد صلوات ،
ومشاهد الفضائل والخيرات ، ومعاهد البراهين والآيات ، ومناسك
الدين ، ومواقف سيد المرسلين ومتبواً خاتم النبيين ، حيث انفجرت النبوة
وأين فاض عبابها ؟ ومواطن مهبط الرسالة ، وأول أرض مسّ جلد
المصطفى ترابها : أن تعظم عرصاتهما ، وتشتم نفحاتها»^(١)

(١) عن الشفا للقاضي عياض .

يا دار خير المرسلين ومن به هُدِيَ الأنعام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات
لولا العوادي والأعداى زرتها أبداً ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدى من حفيل تحيتى لقطين تلك الدار والحجرات
أذكى من المسك المفتق نضحة تغشاه بالأصال والبكرات
وتخصه بزواكى الصلوات ونوامى التسليم والبركات

بل ما أحسن ما قاله هذا الشاعر المحب :

رُفِعَ الحجابُ لنا فلاح لناظر قَمَرٌ تقطع دونه الأوهام
وإذا المطى بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام
قربنا من خير من وطئ الثرى فلنا عليها حرمة وذمام

ومن أجل هذا وغيره نشط الحكام والأمراء والسلاطين فى الاهتمام
بهذه المدينة الطاهرة عمارة ، ونظافة ، وتخطيطاً ، وتمهيداً لطرقها
وابنيتهها بدافع قوى من الحب لساكنها ﷺ ونشط العلماء بحثاً وتأليفاً
فى هذا الجانب الهام المرتبط بالدعوة وصاحبها ﷺ ، ولقد ألفت عن
المدينة وخططها دراسات يعجز الباحث عن حصرها لكثرتها ووفرتهها ،
ومع ذلك سأضع بين عيني القارئ مجموعة لا بأس بها مما ألفه العلماء
فى القديم والحديث عن مدينة الرسول الطاهرة متعنا الله برؤيتها .

بعض ما ألف عن المدينة

فمن ذلك :

(١) آثار المدينة . لعبد القدوس الأنصارى . «ط» : المدينة المنورة
١٣٧٨هـ

(٢) إتحاف الزائر فى فضائل المدينة - لعبد الصمد بن عبد الوهاب
ابن عساكر أبو اليمان» «ت٦٧٦هـ» «ذكره البخارى فى التحفة اللطيفة» .

(٣) أخبار المدينة - لعمر بن شبة «ت٢٦٢هـ» «مخطوط» قطعة منه
فى رباط مظهر المدينة المنورة» .

(٤) أخبار المدينة - للزبير بن بكار «ت٢٥٦هـ» «ذكره صاحب الرسالة
المستطرفة» .

(٥) أخبار المدينة - لمحمد بن الحسن بن زبالة من أصحاب الإمام
مالك «ألفه سنة ١٩٩هـ» . «ذكره فى كشف الظنون ٢٩/١» .

(٦) أخبار المدينة - ليحيى بن جعفر العبيدى النسابة . «كشف
الظنون ٢٩/١» .

(٧) أخبار المدينة - لمحمد بن يحيى العلوى . «سخاوى ٦٤١» .

(٨) الإعلام بمن دخل المدينة من الأعلام - لعبد الله بن محمد
المطرى «ت٧٦٥هـ» . «ذكره السخاوى ٦٤٣» .

(٩) اقتضاء الوفا بأخبار المصطفى - للسهمودى «ت٩١١هـ» «كشف
الظنون ٢٠١٦» .

(١٠) الأنباء المبينة عن فضل المدينة - للقاسم بن على بن عساكر
«ت٦٠٠هـ» «ذكره السخاوى ٦٤٢»

(١١) الانتقاء فى أخبار المدينة - لأبى طاهر ابن المخلص «كشف
الظنون ١٧٥/١»

(١٢) بهجة النفوس والأسرار فى تاريخ دار هجرة المختار . للمرحانى التونسى «ت٧٨١» «مخطوط : عارف حكمت ٤٥ تاريخ ؛ الحرم المكى ١٢ تاريخ دهلوى» .

(١٣) تاريخ المدينة - ليحيى بن الحسن الحسينى «ت٢٧٧» . «ذكره حمد الجاسر فى رسائله» .

(١٤) التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة - للسخاوى ت٩٠٢ «ط-القاهرة ١٩٥٧م»

(١٥) التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة - لمحمد بن خضر الرومى ت٩٤٨ .

«ط فى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد ١٩٥٥ ، بعناية الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، وأعاد نشرها حمد الجاسر فى «مسائل فى تاريخ المدينة» .

(١٦) تحقيق النصره بتخليص معالم دار الهجرة - لأبى بكر المراغى «ت٨١٦» «مخطوط دار الكتب المصرية تاريخ ٥٩» .

(١٧) التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة - لمحمد بن أحمد المطرى «ت٧٤١» «مخطوط دار الكتب المصرية تاريخ ٥٦٤» .

(١٨) ترغيب أهل المودة والوفا فى سكنى دار الحبيب المصطفى - لإسماعيل النقشبندى . وهو كتابنا هذا الذى قمنا بتحقيقه ، وسوف نتكلم عليه .

(١٩) الجواهر الثمينة فى محاسن المدينة - لمحمد بن كبريت المدنى «ت١٠٧٠» «مخطوط مدينة ٥١٥»

(٢٠) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى - لعلى بن عبد الله السمهودى ت٩١١ «طبعه المرحوم /محمد سلطان النمنكانى فى المدينة المنورة» .

(٢١) دفع التعرض والإنكار لبُسط روضة المختار - للسهمودى
ت ٩١١» ذكره حمد الجاسر فى رسائل فى تاريخ المدينة .

(٢٢) الدرة الثمينة فى أخبار المدينة - لابن البخارى البغدادى .
«ط ١٩٥٦م» .

(٢٣) ذروة الوفا بأخبار دار المصطفى - للسهمودى ت ٩١١» مخطوط
- الحرم المكى ١٢٢ .

(٢٤) رسائل فى تاريخ المدينة - جمعها ونشرها حمد الجاسر . وهى
تتضمن

أ- وصف المدينة فى مطلع القرن الرابع عشر ، لعلى بن موسى .
ب- التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد وسور المدينة الشريفة - لابن
خضر الرومى

ج- الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ، للسهمودى .

د- حوادث تتعلق بالحجرة النبوية .

هـ- وضع الأهلة فوق القببة ومناظر الحرم النبوى . «ط الرياض
١٩٧٢» .

(٢٥) الروضة - لمحمد بن أحمد أمين الأقشهرى ت ٧٣١» . «ذكره
السخاوى ٤٦٣» .

(٢٦) عمدة الأخبار فى مدينة المختار - لأحمد بن عبد الحميد
العباسى . «ط القاهرة - آخرها بعناية محمد الطيب بن إسحاق
الإنصارى» .

(٢٧) فصول فى تاريخ المدينة - لعلى حافظ المدنى . «ط جدة ،
والمدينة المنورة ١٣٨٨»

(٢٨) فضائل المدينة - للمفضل بن محمد الجندى ت٣٠٨هـ «مخطوط فى الظاهرية بدمشق»

(٢٩) فضائل المدينة - للقاسم بن عساكر ت٦٠٠هـ . «ذكره فى طبقات الشافعية ٣٥٢/٨» .

(٣٠) فضائل المدينة - لأحمد بن محمد القشتاشى «مخطوط : الرباط ، الخزانة الملكية ١٢٢٤» .

(٣١) فى منزل الوحي - لمحمد حسين هيكل ت١٩٥٦م . «ط القاهرة - عدة مرات» .

(٣٢) المحاسن اللطيفة فى معاهد المدينة الشريفة - لشمس الدين ابن طولون الصالحى ت٩٥٣هـ . «ذكره فى الفلك المشحون ٤٦» .

(٣٣) المدينة بين الحاضر والماضى - لإبراهيم بن على العياشى «ط المدينة المنورة ، بعناية الأستاذ النمكاني» .

(٣٤) المدينة المنورة : تطورها العمرانى وتراثها المعمارى - لصالح ألمعى لطفى . «ط بيروت ١٩٨١»

(٣٥) مرآة الحرمين - لأيوب صبرى «ط الأستانة ١٣٠٦» .

(٣٦) المغانم المطابة فى معالم طابة - للفيروزآبادى ت٨١٧هـ .

«نشر قسم المواضع منه فقط بعناية حمد الجاسر بيروت ١٩٦٩هـ»

(٣٧) نتيجة الفكر فى خبر مدينة سيد البشر - للمدنى الحليفتى ت١١٣٠هـ «ذكره فى هدية العارفين ٣١٥/٢» .

(٣٨) نزهة الكرام فى مدح طيبة والبلد الحرام - للقرشى الآثرى ت٨٢٨هـ «كشف الظنون ١٩٤٦»

(٣٩) نصيحة المشاور وتعزية المجاور - لعبد الله بن فرحون

- ت٧٦٩هـ. «ذكره السخاوى ٦٤٣، وبروكلمن فى الذيل الثانى ٢٢١»
- (٤٠) النصيحة الواجبة القبول فى بيان موضع منبر الرسول -
للسمهودى ت٩١١ «ذكره الجاسر فى رسائله» .
- (٤١) هداية التصديق إلى حكاية الحريق - لفضل الله الأصفهاني^(١)،
«وهى فى حريق المسجد النبوى سنة ٨٨٦هـ» «ط طهران ١٣٤٨ ق ، بعناية
محمد تقى دانشى»
- (٤٢) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى - للسمهودى ت٩١١ .
«وهو مختصر كتابه اقتضاء الوفا ، ط بعناية المرحوم الشيخ محمد
معى الدين عبد الحميد» .
- وسوف تكون لنا - بإذن الله - دراسة حديثة عن مدينة الرسول ﷺ ،
أسأل الله أن يكتب لها التمام ، فقد بدأت فى وضع خطتها بالفعل
بالاتفاق مع الناشر الأستاذ أحمد النمنكانى .

(١) عن كتاب معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ للعلامة الدكتور صلاح الدين المنجد .

مؤلف الكتاب

أما كتاب «ترغيب أهل المودة والوفا فى سكنى دار الحبيب المصطفى،
والذى نحن بصدد تحقيقه ، فقد ألفه الشيخ إسماعيل بن عبد الله
الأسكدارى ، نزيل المدينة المنورة والمجاور لها ، وقد وصفه الزركلى فى
الأعلام (٣١٨/١) بأنه رجل فاضل ، تعلم بالمدينة وتوفى بها سنة
١١٨٢هـ .

ويبدو أنه كان يميل إلى اختصار المؤلفات ، لأننا لم نعثر له على
مؤلف خاص به ، يبرز لنا شخصيته ، فكتابه هذا اختصره من خلاصة
الوفا بأخبار دار المصطفى للعلامة السمهودى صاحب الكتب المعتمدة
فى تاريخ المدينة .

وقد ذكر الزركلى فى الأعلام له :

(١) مختصر صحيح مسلم .

(٢) ومختصر شرح الشفا للشهاب الخفاجى .

(٣) وذكر هو بعض مختصراته فى ثاىا كتابه هذا ، كاختصاره لكتاب
مصاييح الظلام فى المستغيثين بخير الأنام فى نحو تسع كراسات ، وهو
من تأليف ابن النعمان المراكشى .

(٤) واختصار كتاب الترغيب والترهيب للمنذرى .

وقد ذكر المؤلف لنا سبب تأليفه لهذا المختصر - أعنى كتاب «ترغيب
أهل المودة والوفا» فقال : «قد منَّ الله علىَّ سبحانه وتعالى ، وله الحمدُ
والثناء باختصار كتاب الترغيب والترهيب الذى هو أجمع كتاب وأنفعه
وأكثره جمعا لأحاديث رسول الله ﷺ فى بابيه بإشارة بعض الإخوان من
فضلاء المدينة المنورة ، فلما وصلتُ إلى ذكر أحاديث الترغيب فى سكنى

المدينة المنورة دار الحبيب وإرادة الممات بها ، وفضيلة الصلاة في مسجدها الذي أسس على التقوى زدت بعض فوائد جليلة ، وزوائد هي كالطب والشفاء للقلوب العلية» .

والكتاب مهتم بتاريخ المدينة كأصله فهو يتحدث عن آداب المجاورة ، وعن مساجد المدينة ، وآبارها ، وفضيلة الموت بها ، وفضل ثمرها وما إلى ذلك ، وقد انتهى منه مؤلفه في شهر شعبان سنة ١٧٠ هـ ، ويؤخذ على مؤلفه كثرة تكرار الحديث في مواضع مختلفة ، والاحتجاج بالروايات الضعيفة والحكايات المردودة ويحاول من خلالها الانتصار لما يذهب إليه ، كما نأخذ عليه اهتمامه بالقصص الذي لا يرتفع إلى درجة الصحة ، واهتمامه بالأراء الصوفية التي لا تقبل ، وقد رددت عليه في كثير من هذه الأمور بقى أن أقول : إن المؤلف وضع في كتابه هذا كتاباً آخر وهو «أربعون حديثاً في فضل المدينة ، وكان يستطيع الاستغناء عنه لأنه جمع لأحاديث مكررة .

ومخطوطته محفوظة بمكتبة الملك عبد العزيز ، ضمن مجموعة مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وهي بخط المؤلف ، ولم نعثر على نسخة أخرى . ورقم الحفظ : ٩٠٠/٦٧ تاريخ .

وقد صورها لنا السيد الأستاذ الفاضل / أحمد النمنكاني ، وهو مهتم بكل ما يتعلق بالحرمين الشريفين ، ودفعها إلى الأستاذ الصديق المهندس / محمد الهالوي ، وطلب إلى تحقيقها والتعليق عليها ، فإلى الأستاذين الفاضلين يرجع فضل إخراج هذا الكتاب .

منهجى فى التحقيق

ومنهجى فى تحقيق هذا الكتاب يسير على المنوال التالى :

(١) قمتُ بنسخ المخطوط ، وذلك بمساعدة بعض الفضلاء شكر الله لهم .

(٢) عزوتُ الآيات القرآنية إلى أماكنها فى المصحف الشريف .

(٣) خرجتُ الأحاديث النبوية وبينتُ درجتها من الصحة والضعف وعزوتها إلى رواتها .

(٤) شرحت الغامض من الكلمات اللغوية .

(٥) قمت بضبط النص معتمداً فى ذلك على أصل الكتاب وهو خلاصة الوفا للإمام السمهودى ، ووفاء الوفا ، له ، وأشارت إلى الصواب عند الاختلاف .

(٦) علقت على بعض القصص والأشعار التى لا تتوافق مع العقيدة الصحيحة .

(٧) وضعت فهرس للكتاب تعين القارئ على الاستدلال على ما بداخله .

(٨) تركت الرموز التى وضعها المؤلف كما هى ، وذلك كأن يرمز إلى البيهقى بـ «هـ» وإلى ابن خزيمة بـ «خز» وإلى ابن عدى بـ «عد» ، وإلى أحمد بـ «حم» وهكذا بالنسبة لبقية المخرجين .

سائلا الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه وأن يمن علينا بزيارة نبيه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير .

المحقق

عادل عبد المنعم أبو العباس

القاهرة - بنى مجدول

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اللهم ربنا آتنا من لدنك رحمةً وهيئ لنا من أمرنا رشداً ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي فضله الله على الخلق وجعله رحمةً عامةً للناس وسيّداً ، والحمد لله الذي اطلع في سماء الأزل شمس أنوار معارف النبوة الأحمدية ، وأشرق من أفق أنوار الرسالة مظاهر تجلى الصفات المحمدية ، أحمده أن وضع أساس نبوته على سوابق أزليته ، ورفع دعائهم رسالته على نواحق أبديته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الفرد المتفرد في فردانيته بالعظمة والجلال ، والواحد المتوحد في وحدانيته باستحقاق الكمال ، وأشهد أن سيدنا ومولانا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله أشرف نوع الإنسان ، وإنسان عيون الأعيان ، سيد الكونين ورسول الثقلين ، الإنس والجان ، الذي شرف به العالمين والبقاع والأوطان من العلويات والسفليات خصوصاً مكة المعظمة محل ظهوره ومولده ، وطيبة المشرفة دار الهجرة ومحل الحكمة والنور والإيمان ، الذي شرف أصحابه وأهل بيته وورثته وأمتة والذين تبوءوا الدار والإيمان ، الذي استخلصه الله تعالى من خالص خلاصة ولد عدنان ، والذي منحه ربه سبحانه وتعالى بدائع الآيات ، وخصّصه بخصائص منها عموم الرسالة ، وغرائب المعجزات ، صاحب اللواء المعقود ، والمقام المحمود والحوض المورود ، الذي تحت لوائه آدم فمن دونه من أهل النبوة والرسالة ، والصدق والإيمان والصلاح والشهادة ، الذي أنال من اتبعه وعمل بسنته ولزم بآبائه كل خير وسعادة ، فحمداً لربنا - سبحانه وتعالى - الذي طيّب طيبة دار الإيمان والعلم والحكمة والخير والسيادة الذي من وتفضل على من جاوزه وتأدّب في حضرته ﷺ بالحسنى وزيادة ، وأعطى - سبحانه وتعالى - من زاره وتوسّل به (١) الفوز بالمطالب وأكرم

(١) سوف نذكر في باب التوسل به ﷺ أنواع التوسل وآراء العلماء فيه .

بها عبادةً ، الذى اصطفاه الله - سبحانه وتعالى - واختاره من أشرف العناصر وأرادَه ، حمداً يوافى نعمه ويكافئ مزيده دائماً متكرراً بتكرار الشئون الإلهية وتُجدى للحامد مراده ، والحمد لله الذى أحلنا بجواره بطيبة المطيِّبة محل الأمن والإيمان الذى شرفها على سائر البقاع والرِّيا ، وشوَّقَ القلوبَ إلى التلذذ بطيب أخبارها وحمَّاهَا مِنَ الطاعون^(١) والوباء ، وجعلها مأوى للصالحين والطيبين والأخيار والنجباء ، ونقى خبثها وخبثتها وأذاب^(٢) مَنْ أرادها بسوء وجعلهُ موعظةً وعبرةً وهبَاء ، وزَيَّنَّها بسيدِّ الرسل والأنبياء ، وبالأثار من المشاهد والمعاهد والمساجد والغوالى وقُبَا ، وحفظها من الدجال^(٣) ، وجعلَ على كل شِعْبٍ وَنَقَبٍ منها ملائكةً مسلحةً للحفظ فلا يرى ساكنها قط رُعباً ، فهى مُهبطُ الوحي ودارُ هجرةِ الرسولِ ومن له صَحْبًا ، فرعى الله كُثْبَانَهَا ومُنَّعَرَجَهَا ، فكم قضيناً فيها وكل محب من كل خير أزيّا ، فصلوات الله وأزكى تسليماته على هذا النبى الكريم الرؤوف الرحيم الذى جبلهُ^(٤) الله على الخلق العظيم ، الرسول المصطفى والحبیب المجتبى المبعوث لجميع الخلق رحمةً عامَّةً بشيراً ونذيراً ، مِنْ أشرفِ الورى نسباً ، الذى رَغِبَ ﷺ فى كل خير وعبادة وطاعة ، ووعد لمن زاره ، وسكن فى جواره ومات فى طيبة بكل خير وبخصوص الشفاعة ، وأخبر ﷺ أن المدينة المنورة يَأرُزُ إليها الإيمان^(٥) وتكونُ عامرةً إلى قرب قيام الساعة ، وصلواتُ الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وآدم ،

(١) الطاعون : كل مرض خبيث عند بعض الأطباء ، وهو مرض معدٍ يفضى بالناس إلى الهلاك.

(٢) أذاب هنا بمعنى أهلك وعاقب .

(٣) الدجال : علامة من علامات القيامة الكبرى وردت الأحاديث المتعددة بشأنه ، وبالأحوال والأفعال التى ستصدر منه انظره فى كتب السنة أبواب الفتن .

(٤) الجبل : الطبع أى طبعه وجعله هكذا .

(٥) سوف تأتى أحاديث داخل المصنّف بهذا المعنى وقد قمنا بتخرجها وبيان درجتها من الصحة والضعف انظر ذلك فى باب فضل المدينة وسكانها .

ونوح وإبراهيم ، وموسى وعيسى ، وما بينهم من النبيين والمرسلين صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين ، وعلى آلِ كلِّ وأصحابِ كلِّ من أهلِ الهدى والتوفيق والطاعة ، الباذلينِ أنفسهم فى جهادِ العدو الرجيم والنفسِ ببذلِ الجهدِ والاستطاعة ، اللهمَّ ياربَّ صلِّ وسلم على هذا النبىِّ الحبيبِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ خصوصاً ضَجِيعِيَّهِ الْأَكْرَمَيْنِ (١) وعلى سائرِ آلِهِ الأطهارِ النُّجَبَا ، فكم فرَّجَ اللهُ بهمَ همأً وأزاحَ بهمَ كُرباً ، ونوَّلَ أحبَّاءَهُم وقاصدَهُم نَيْلَ المقاصدِ ، وقضىَ لَهُم ببركتِهِم - رضى اللهُ عنهم - أَرْبَا ، صلاةً وسلاماً دائماً ما هبت على الرُّبَى (٢) وأرواحِ المحبِّينِ نسيمَ رِيحِ صَبَا ، وحنَّ محبٍّ مشتاقٍ إلى الحرَمَيْنِ الشريفَيْنِ - خصوصاً طيبةَ دَارِ الحبيبِ وسلَّعَ (٣) والنقا ، وما عاشق إلى حبيبِهِ صَبَا ، وما جمالٌ محبوبٍ قلبَ جبيبِهِ سَبَاً من وقتِ الطفولةِ والصبا .

ويعد...

فيقول عبد الله - تعالى ، اسماعيل النقشبندى ، جارُ الحبيبِ المصطفى :

قد مَنَّ اللهُ سبحانه وتعالى - وله الحمدُ والثناء - باختصارِ كتابِ «الترغيب والترهيب» الذى هو أجمعُ كتابٍ وأنفعُهُ وأكثرُهُ جمعاً لأحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ (٤) فى بابِهِ ، بإشارةِ بعضِ الإخوانِ الذى هو كالإنسانِ للعينِ والعينِ للإنسانِ ، من فضلاءِ المدينةِ المنورةِ الأعيانِ ، فلما وصلتِ إلى ذِكْرِ أحاديثِ الترغيبِ فى سكنى المدينةِ المنورةِ دارِ الحبيبِ وإرادةِ

(١) يعنى بهما أبو بكر الصديق رضى الله عنه وعمر الفاروق أجزل الله مثوبته فقبريهما بجوار قبر الرسول المصطفى ﷺ .

(٢) الرُّبَى : جمع رهوة وهو المكان المرتفع من الأرض .

(٣) سلَّعَ : اسم موضع .

(٤) ليس الأمر كما قال فهناك مصادر متعددة ومظان لا حصر لها أجمع من كتاب الترغيب والترهيب ومع ذلك فإن الحافظ المنبرى رحمه الله قد أحسن فى تبويب مصنفة فله من الله المثوبة .

المماتِ بها^(١) وفضيلة الصلاة في مسجدِها التي^(٢) أسس على التقوى ،
 زدتُ بعضَ فوائِدَ جليلة ، وزوائدَ هي كالطِّبِّ والشفاءِ للقلوبِ العليلة ،
 فمن أرادَ أفرادَها فلا بأس ، فإنَّها مستقِلَّةٌ ونافعةٌ - إن شاءَ اللهُ في
 بابها ، والله سبحانه وتعالى المستعان ، وعليه المعوِّلُ^(٣) في الأمور
 والتكلان ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العلي العظيم الديان .

فأقولُ مستمداً من الله الحيِّ الدائم الذي لا يزولُ ومُسْتَشْفِعاً
 ومتوسِّلاً بكلِّ مقربٍ لله من وليٍّ ونبيٍّ خصوصاً حبيبنا وطبيبنا السيد
 الرسول ﷺ .



(١) فيه إشارة إلى معنى المصنف الموت بالمدينة المنورة ، وقد جاءت أحاديث متعددة تحبذ الموت فيها والأمر في النهاية راجع إلى قدر الله وقضائه .
 (٢) كذا بالأصل والصواب (الذي)
 (٣) المعوِّل : الأصل .

الترغيب فى الصلاة فى المسجد الحرام

ومسجد المدينة المنورة وبيت المقدس وقباء

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «صلاة فى مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» (١)

وعن بن عبد الله بن الزبير : «صلاة فى مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فى هذا» (٢) حب ، وزاد «فى مسجد المدينة، وبز ولفظه أن رسول الله ﷺ قال : «صلاة فى مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، فإنه يزيد عليه مائة ألف صلاة» (٣)

وعن جابر - رضى الله عنه - : «صلاة فى مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» (٣) .

وعن أبى هريرة : «صلاة فى مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» (٤)

(١) صحيح . أخرجه مسلم فى كتاب الحج . باب فضل الصلاة فى مسجدي مكة والمدينة (١٠١٣/٢) ، والنسائي فى كتاب مناسك الحج . باب فضل الصلاة فى المسجد الحرام ، وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء فى فضل الصلاة فى المسجد الحرام ومسجد النبى ﷺ حديث (١٤٠٥) .

(٢) صحيح . أخرجه أحمد فى المسند (٥/٤) ، والهيثمى فى مجمع الزوائد (٤/٤) وقال : رواه أحمد ، والبخارى ، والطبرانى ، ورجال أحمد والبخارى رجال الصحيح ، وانظر ابن خزيمة (١٦١٨) ، وكذلك ابن حبان .

(٣) صحيح . أخرجه ابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها حديث (١٤٠٦) ، وفى الزوائد قال : إسناده حديث جابر صحيح ورجاله ثقات ، لأن إسماعيل بن أسد وثقه البخارى والدارقطنى والذهبى فى الكاشف وقال أبو حاتم : صدوق ، وباقي رجال الإسناد محتج بهم فى الصحيحين ، كما أخرجه أحمد فى المسند (٣٤٣/٣) .

(٤) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة حديث =

وعن عائشة : «أنا خاتم الأنبياء ، ومسجدي خاتمُ مساجدِ الأنبياء ، وأحق المساجد أن يزَارَ ، وتشدُّ إليه الرواحل ، المسجد الحرام ، ومسجدي ، وصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» (١) .

وعن أنس رفعه : «مَنْ صَلَّى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كُتِبَتْ له براءة من النار ، وبراءة من العذاب ، وَيَرَى من النفاق» (٢) .

وعنه : «صلاة الرجل في بيته بصلاة ، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاة في المسجد الذي يُجْمَع فيه بخمس مائة صلاة ، وصلاة في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاة في مسجدي بخمسين ألف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة» (٣) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه فقلتُ : يا رسول الله ! أيُّ المسجدين الذي أُسس على التقوى ، فأخذ كفاً من حصي ، فضرب به الأرض ، ثم قال : «هو مسجدكم هذا المسجد المدينة» . م ، ت ، س ، ولفظه : تماري رجلان في المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجدُ قباء ، وقال آخر : هو مسجد رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ :

= (١١٩٠) ، ومسلم في كتاب الحج . باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة (١٠١٢/٢) والترمذي في كتاب أبواب الصلاة . باب ما جاء في أي المساجد أفضل (١٤٧/٢) ، والنسائي في كتاب مناسك الحج . باب فضل الصلاة في المسجد الحرام (٢١٤/٥) ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها حديث (١٤٠٤) .

(١) ضعيف : أخرجه البزار في كشف الأستار (١١٩٣) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٤) وقال : رواه البزار ، وفيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف .

(٢) حسن . أخرجه أحمد في المسند (١٥٥/٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٤) رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

(٣) ضعيف . أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما جاء في الصلاة في المسجد الجامع حديث (١٤١٣) وقال في الزوائد : إسناده ضعيف لأن أبا الخطاب الدمشقي لا يعرف حاله ، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال وقال : هذا منكر جداً .

«هو مسجدى هذا» (١) .

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال : اختلف رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى فقال أحدهما : هو مسجد المدينة ، وقال الآخر : هو مسجد قباء ، فأتوا رسول الله - ﷺ - فقال : «هو مسجدى هذا» (٢) .

وعن أبى الدرداء : «الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى بألف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة» . طب ، وخز ، ولفظه : «صلاة فى المسجد الحرام أفضل مما سواه من المساجد بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجد المدينة أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، وصلاة فى مسجد بيت المقدس أفضل مما سواه من المساجد بخمسمائة صلاة» ، وبز ، ولفظه : «أفضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، وفى مسجدى ألف صلاة ، وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة» (٣) .

وروى عن بلال بن الحارث : «رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان ، وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان» (٤) .

وعن عبد الله بن عمرو ، : «لما فرغ سليمان بن داود عليه السلام من

(١) صحيح . أخرجه مسلم فى كتاب الحج . باب بيان أن المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد النبى ﷺ بالمدينة (١٠١٥/٢) ، والترمذى فى كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة حديث (٣٠٩٩) ، والنسائى فى كتاب المساجد . باب ذكر المسجد الذى أسس على التقوى (٣٦/٢) ..

(٢) حسن بشواهده . أخرجه ابن حبان فى صحيحه (١٦٠٢) ومن شواهده حديث إبنى سعيد الخدرى الذى تقدم وأخرجه مسلم وغيره .

(٣) حسن . ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/٤) وقال : رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله ثقات وفى بعضهم كلام ، وهو حديث حسن ، ورواه البزار فى كشف الأستار (٤٢٢) .

(٤) موضوع . ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٠١/٣) وقال : رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه عبد الله بن كثير ، وهو ضعيف ، وانظر ضعيف الجامع الصغير حديث (٣١٣٨) ، والسلسلة الضميمة (٨٣١) .

بناء بيت المقدس سأل الله عز وجل ثلاثاً . أن يؤتیه حكماً يصادف حكمه ،
وملكاً لا ينبغى لأحد من بعده ، وأنه لا يأتى هذا المسجد - بيت المقدس -
أحدٌ لا يريدُ إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فقال
رسول الله ﷺ : أما اثنتين فقد أعطيهما ، وأرجو أن يكون قد أعطى
الثالثة ، (١) .

وعن أبى هريرة (أ) وعائشة رضی الله عنهما : «صلاةٌ فى مسجدي
خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الأقصى» ، (٢) .

وعن أبى ذر قال : سألتُ رسول الله ﷺ عن الصلاة فى بيت المقدس
أفضل ، أو فى مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «صلاةٌ فى
مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ، ولَنِعْمَ المصلى ، هو ارضُ
المحشر والمنشر ، وليأتين على الناس زمان ، ولَقِيدُ سوط - أو قال - :
قوس الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له ، أو أحبُّ إليه من الدنيا
جميعاً» ، (٣) .

وروى عن جابر : «الصلاة فى مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما
سواه إلا المسجد الحرام ، وجمعة فى مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة

(١) صحيح . أخرجه النسائي فى كتاب المساجد . باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه [٣٤/٢] ، وأحمد فى المسند [١٧٦/٢] ، وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب فضل الصلاة فى بيت المقدس حديث [١٤٠٨] والحاكم فى المستدرک [٣٠/١]

(٢) صحيح . أخرجه أحمد فى المسند [٢٧٧/٢ ، ٢٧٨] ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد : [٥/٤] رواه أحمد بإسنادين ، رجال الأول رجال الصحيح ، ورجال الأخير ثقات . وقوله «إلا المسجد الأقصى» كذا وقع فى هذه الرواية ، ولعله غلط من بعض الرواة ، فقد جاء الحديث بعينه (إسناده) ومتنا فى مسند أحمد باللفظ المشهور وهو «إلا المسجد الحرام» كذا قال الناجى فى عجالة الإملاء [١٣٥] .

(٣) ضعيف . أخرجه الحاكم فى المسند [٥٠٩/٤] ، والهيثمى فى مجمع الزوائد [٧/٤] وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، وانظر شعب الإيمان للبيهقى [٨٤/٨] ، وقال محققه ، إسناده لا بأس به وفى متنه غرابه ، وذلك نقلاً عن المنذرى فى الترغيب والترهيب ، كما أخرجه الضياء المقدسى فى فضائل بيت المقدس (ص ٥١ ، ٥٢) من طريق الحجاج عن قتادة عن أبى الخليل ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبى ذر . وقوله : قيد سوط : معناه قدره وموضعه .

فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام، (١) .

وعن أسيد بن ظهير الأنصاري عن النبي - ﷺ - أنه قال : «صلاة في مسجد قباء كعمرة» (٢) .

وعن سهل بن حنيف : «من تطهر في بيته ، ثم أتى إلى مسجد قباء ، فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة ، حم ، س ، هق ، وزاد : «ومن خرج على طهر لا يريد إلا مسجدي هذا - يريد مسجد النبي - ليصلي فيه ، كانت بمنزلة حجة» (٣) .

وروى عنه الطبراني في الكبير قال رسول الله ﷺ : «من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم دخل مسجد قباء ، فركع فيه أربع ركعات ، كان ذلك عدل رقبة» (٤) .

وروى عن كعب بن عجرة «من توضأ فأسبغ الوضوء ، ثم عمد إلى مسجد قباء لا يريد غيره ولا يحمله على الغدو إلا الصلاة في مسجد قباء ، فصلى فيه أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة بأم القرآن ، كان له كأجر المحتمر إلى بيت الله» (٥) .

(١) ضعيف جداً . ذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالماثور (٢/٢٦٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٨/٨٦) ، وانظر ضعيف الجامع الصغير (٢/٣٥٧٢) .

(٢) صحيح . أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة . باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء (٣٢٤) ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء حديث (١٤١١) ، والسيوطي في الدر المنثور (٣/٨٧٧ ، ٢٧٨) ، وعزاه لابن أبي شيبة ، والذهبي في ميزان الاعتدال (١/٣٦٠) .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد في المسند (٣/٤٨٧) ، والنسائي في كتاب المساجد . باب فضل مسجد قباء والصلاة فيه (٢/٣٧) ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء حديث (١٤١٢) ، والحاكم في المستدرک (٣/١٢) ، وزيادة البيهقي الواردة في الحديث ضعيفه .

(٤) ضعيف : ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف (٤/١١) .

(٥) ضعيف : قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/١١) ، ورواه الطبراني في الكبير وفيه يزيد بن عبد الملك التوفلي ، وهو ضعيف .

وعن ابن عمر : «كان رسول الله ﷺ يزورُ قباء أو يأتي قباء راكباً وماشياً فيصلى فيه ركعتين» (١) .

وفى رواية : «كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً، وكان عبد الله يفعله» (٢) .

وعن عامر بن سعد ، وعائشة بنت سعد ، سمعا أباهما رضى الله عنه يقول : «لأن أصلى فى مسجد قُباء أحبُّ إلىَّ من أن أصلى فى مسجد بيت المقدس» (٣) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه شهد جنازةً بالأوساطِ فى دار سعد بن عبادة - رضى الله عنه - فأقبل ماشياً إلى بنى عمرو بن عوف بقاء الحارث بن الخزرج فقبل له : أين تؤمُّ يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أؤمُّ هذا المسجد فى بنى عمرو بن عوف فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من صلى فيه كان كعدل عمرة» (٤) .



(١) صحيح : أخرجه البخارى فى كتاب فضل الصلاة فى مسجدى مكة والمدينة ، باب مسجد قباء حديث (١١٩١ ، ١١٩٤) ، ومسلم فى كتاب الحج . باب فى فضل مسجد قباء ، وفضل الصلاة فيه وزيارته (١٠١٦/٢)

(٢) صحيح : أخرجه البخارى فى كتاب فضل الصلاة فى مسجدى مكة والمدينة . باب مسجد قباء حديث (١١٩٣) ، والنسائى فى كتاب المساجد . باب فضل مسجد قباء والصلاة فيه (٣٧/٢) . ومعلوم أن عبد الله بن عمر - رضوان الله عليهما - كان متبعاً لآثار النبى صلى الله عليه وسلم فى حله وترحاله ، وكان تشدد على نفسه فى الأخذ بكل صغيرة وكبيرة من أفعاله صلوات الله عليه وسلامه .

(٣) صحيح موقوف . ولم يرفع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أخرجه الحاكم فى المستدرک (١٢/٣) وصححه الذهبي رحمه الله .

(٤) حسن بشواهده . أخرجه ابن حبان فى صحيحه (١٦٢٥) ومعنى تؤم هنا تذهب وتقصد .

﴿﴾ فصل : فى فضل مسجد الفتح ﴿﴾

عن جابر أن النبى ﷺ دعا فى مسجد الفتح ثلاثاً ، يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعُرف البشر فى وجهه .

قال جابر : فلم ينزل بى أمرٌ مهم غليظ إلا توخيتُ تلك الساعة ، فادعو فيها فأعرفُ الإجابة^(١) .

أقول : ومما ينبغى أن يُدعى بمسجدى الفتح^(٢) هذا الدعاء كما فى الخلاصة^(٣) للسيد السهمودى مؤرخ المدينة المنورة قال :

ومما يطلب من الدعاء : لا إله إلا الله العزيز الحكيم^(٤) ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرضين ورب العرش الكريم ، اللهم لك الحمدُ هديتى من الضلالة ، فلا مكرم لمن أهنت ، ولا مهينٌ لمن أكرمت ، ولا معزٌ لمن أذللت ، ولا ناصرٌ لمن خذلت ، ولا خاذلٌ لمن نصرت ، ولا معطى لما منعت ، ولا مانعٌ لما أعطيت ، ولا رازقٌ لمن حرمت ، ولا حارمٌ لمن رزقت ، ولا رافعٌ لمن خفضت ، ولا خافضٌ لمن رفعت ، ولا خارقٌ^(٥) لمن سترت ، ولا ساترٌ لمن خرقت ، ولا مُقربٌ لما باعدت ، ولا مبعدٌ لما قرّبت ، اللهم أنت عضدى ونصيرى ، بك أجول وبك أصول وبك أقاتل ، اللهم يا صريحَ المستصرخينَ والمكرويين ،

(١) حسن : أخرجه أحمد فى المسند (٣٣٢/٣) ، والهيثمي فى مجمع الزوائد وقال : رواه أحمد والبخارى ، ورجال أحمد ثقات ، انظر مجمع الزوائد (١٢/٤) ، وابن شبة فى تاريخ المدينة (٥٨/١) .

(٢) مسجد الفتح : يقع بالقرب من جبل يقال له : «سلع» ، والمساجد التى حوله اليوم تعرف كلها بمساجد الفتح ، ويقال له أيضاً : مسجد الأحزاب ، ومسجد على أو الأعلى ، انظر الحجاز فى صدر الإسلام د/ صالح أحمد العلى (ص ٥٤٠) ، وذلك نقلاً منه عن وفاء الوفا للسهمودى (٨٣٢/٣) .

(٣) انظر الخلاصة للسهمودى (ص ٣٨٨) .

(٤) فى الخلاصة «الحليم» .

(٥) خارق : هنا بمعنى كاشف ، وهى عكس سائر . الوسيط مادة «خ . ر . ق» .

وياغياث المستغيثين ، ويا مفرج كرب المكروبين ، ويا مجيب دعوة المضطرين ، صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، واكشف عني كربى وغمى حزنى وهمى كما كشفت عن حبيبك ورسولك ﷺ كربة وحزنه وغمه فى هذا المقام ، وأنا استشفع إليك به ﷺ فى ذلك فقد ترى حالى ، وتعلم عجزى وضعفى يا حنان يا منان يا ذا الجود والإحسان ، أسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك وحبيبك سيدنا محمد ﷺ - ثم يدعو بما شاء (١)

وتسميته هذا المسجد بمسجد الفتح لأن الاستجابة وقعت به ، وجاء حذيفة رضى الله عنه بخبر رجوع الأحزاب ليلاً به ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون قد فتح الله عز وجل لهم ونصرهم ، وأقر أعينهم ، وكان النبى ﷺ قد قال لهم : «ابشروا بفتح الله ونصره» (٢) كما فى مغازى ابن عقبة انتهى ، والله أعلم .



(١) انظر الدعاء الوارد هنا فى الخلاصة (ص ٣٨٨) ، ووفاء الوفا (٨٣٣/٣) .

(٢) انظر وفاء الوفا (٨٣٣/٣) ، والحجاز فى صدر الإسلام (ص ٥٤٠) .

﴿﴾ الترغيب فى سكنى المدينة المنورة إلى الممات ﴿﴾ وما جاء فى فضلها ، وفضل أحدٍ ، ووادى العقيق

تقدم فى حديث بلال بن الحارث : «رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان ، وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان» (١) . ، وحديث جابر وفيه : «إلا المسجد الحرام» (٢).

وعن أبى هريرة : «لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً» (٣) .

وعن أبى سعيد : «لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً ، أَوْ شَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِماً» (٤) .

وعن سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنِّي أَحْرَمُ مَا بَيْنَ لَابَتْنِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَقْطَعَ عِضَاضُهَا ، أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، لَا يَدْعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرُ مِنْهُ ، وَلَا يَثْبِتُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، زَادَ فِي رِوَايَةٍ : «وَلَا يَرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الْمَلْحِ فِي الْمَاءِ» (٥)
وعن جابر : «لَمَّا تَيَّنَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ زَمَانٌ يَنْطَلِقُ النَّاسُ مِنْهَا إِلَى

(١) سبق تخريجه ، وبيان أنه موضوع وباطل .

(٢) سبق تخريجه ، وبيان أنه ضعيف جداً .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم فى كتاب الحج . باب الترغيب فى سكنى المدينة والصبر على لأوائها (١٠٠٤/٢) ، والترمذى فى كتاب المناقب . باب فى فضل المدينة (٣٩٢٤) .

ومعنى لأوائها : الشدة وضيق المعيشة ، وقيل الشدة والجوع .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم فى كتاب الحج . باب الترغيب فى سكنى المدينة والصبر على لأوائها (١٠٠٢/٢) .

(٥) صحيح : أخرجه مسلم فى كتاب الحج . باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة ، وتحريم صيدها وشجرها ، وبيان حدود حرماها (٩٩٢/٢) .

وقوله : «لَابَتْنَا الْمَدِينَةَ» بفتح الباء هو حُرَّتَاهَا وَطَرَفَاهَا . و«العضاء» بكسر العين جمع عضاء وهى شجرة الخمط ، وقيل : كل شجرة ذات شوك . وقيل : ما عظم منها . =

الأرياف ، يلتمسون الرخاء ، فيجدون رخاءً ، ثم يأتون فيتحملون بأهلهم إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، (١) .

وعن سفيان بن أبي زهير : «تُفْتَحُ اليَمَنُ ، فيأتى قومٌ يَبْسُونُ فيتحملون بأهلهم ، ومن أطاعهم ، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ، وتُفْتَحُ الشام ، فيأتى قومٌ يَبْسُونُ فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وتُفْتَحُ العراقُ فيأتى قومٌ يَبْسُونُ فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم ، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، (٢) .

وعن أبى أسيد الساعدي : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَجَعَلُوا يَجُرُّونَ النَّمِرَةَ عَلَى وَجْهِهِ فَتَكْشِفُ قَدَمَاهُ ، وَيَجْرُونَهَا عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَيَنْكَشِفُ وَجْهُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «اجْعَلُوهَا عَلَى وَجْهِهِ ، واجْعَلُوا عَلَى قَدَمَيْهِ مِنْ هَذَا الشَّجَرِ» قَالَ : « فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ ، فَإِذَا أَصْحَابُهُ يَبْكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَخْرُجُونَ إِلَى الْأَرْيَافِ ، فَيُصِيبُونَ مِنْهَا مَطْعَمًا وَمَلْبَسًا وَمَرْكَبًا - أَوْ قَالَ : -مَرَآبَ ، فَيَكْتُبُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ هَلُمَّ

= وفى الحديث : «شفيما أو شهيدا» أو هنا للتقسيم . والمعنى ، شفيما لقوم وشهيدا لآخرين . قال القاضي عياض : إن هذا الحديث رواه جابر ، وسعد ، وابن عمر ، وأبو هريرة ، وأسماء بنت عميس عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ ، ويعد اتفاق جميعهم أو روايتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة ، بل أظهر أنه صلى الله عليه وسلم قاله هكذا ، راجع مسلم بشرح النووي كتاب الحج .

(١) حسن : أخرجه أحمد فى المسند (٣/٣٤٢) ، والهيثمى فى مجمع الزوائد (٣/٣٠٠) وقال : رواه أحمد والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح . وقوله «الأرياف» جمع ريف بكسر الراء ، وهو ما قارب المياه فى أرض العرب . وقيل : هو الأرض التى فيها الزرع والخصب .

(٢) صحيح : أخرجه البخارى فى كتاب فضائل المدينة . باب من رغب عن المدينة (١٨٧٥) ، ومسلم فى كتاب الحج . باب الترغيب فى المدينة عند فتح الأمصار (٢/١٠٠٨) . وقوله : «يبسون» بفتح الباء وضمها . سرعة الذهاب ، والمعنى : يزينون لهم البلاد ويحببونها إليهم ويدعونهم إلى الرحيل إليها .

إِلَيْنَا ، فَإِنَّكُمْ بَارِضٌ حَاجَزٌ جَدْوِيَّةٌ ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١)
وعن عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قَالَ:) غَلَا السَّعْرُ بِالْمَدِينَةِ فَاشْتَدَّ الْجَهْدُ ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «اصْبِرُوا وَابْشُرُوا ، فَإِنِّي قَدْ بَارَكْتُ عَلَى صَاعِكُمْ
وَمُدُّكُمْ ، وَكُلُوا وَلَا تَتَفَرَّقُوا فَإِنَّ طَعَامَ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ ، وَطَعَامُ
الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الْخَمْسَةَ وَالسَّتَةَ ، وَإِنَّ الْبَرَكَهَ
فِي الْجَمَاعَةِ ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى لَأَوَائِهَا وَشِدَّتِهَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ خَرَجَ عَنْهَا رَغْبَةً عَمَّا فِيهَا أَبْدَلَ اللَّهُ بِهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ
فِيهَا ، وَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ» (٢) .

وعن أَفْلَحَ مَوْلَى أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ مَرَّ بِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ،
وَأَبِي أَيُّوبَ ، وَهُمَا قَاعِدَانِ عِنْدَ مَسْجِدِ الْجَنَائِزِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا
لصَاحِبِهِ: تَذَكَّرُ حَدِيثًا حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ الَّذِي نَحْنُ
فِيهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . عَنْ الْمَدِينَةِ ، سَمِعْتَهُ يَزْعُمُ : «أَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ
زَمَانٌ تَفْتَحُ فِيهِ فَتَحَاتُ الْأَرْضُ فَتَخْرُجُ إِلَيْهَا رِجَالٌ يُصِيبُونَ رِخَاءً وَعَيْشًا
وَطَعَامًا ، فَيَمْرُونَ عَلَى إِخْوَانٍ لَهُمْ حُجَّاجًا أَوْ عُمَّارًا ، فَيَقُولُونَ ، مَا
يَقِيمُكُمْ فِي لَأَوَاءِ الْعَيْشِ ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ ؟ فَذَاهِبٌ وَقَاعِدٌ - حَتَّى قَالَهَا
مَرَارًا - وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَّهُمْ ، لَا يَثْبُتُ بِهَا أَحَدٌ فَيَصْبِرُ عَلَى لَأَوَائِهَا وَشِدَّتِهَا
حَتَّى يَمُوتَ إِلَّا كُنْتُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً» (٣) .

وعن ابْنِ عَمْرٍ : «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلِيَمِتْ بِهَا ، فَإِنِّي
أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا» هـ ، هـ ، وَلَفِظَ هَذَا مِنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ
بِالْمَدِينَةِ فَلْيَفْعَلْ فَإِنِّي أَشْهَدُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا .

(١) حَسَنٌ : قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٣٠٠/٣) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ ،
وَقَوْلُهُ : «النَّمْرَةُ» بَفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِ الْمِيمِ : هِيَ بَرْدَةٌ مِنْ صُوفٍ تَلْبَسُهَا الْأَعْرَابُ .

(٢) ضَعِيفٌ : ذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٣٠٥/٣ ، ٣٠٦) وَقَالَ : رَوَى ابْنُ مَاجَةَ طَرَفًا
مِنْهُ ، وَرَوَاهُ الْبِزْزَارُ وَرِجَالَهُ الصَّحِيحُ . قَالَ الْأَعْظَمِيُّ : كَلَّا . بَلْ فِيهِ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ قَهْرْمَانُ آلِ
الزُّبَيْرِ وَهُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : فِيهِ نَظَرٌ ، وَلَمْ يَرَوْهُ أَحَدُ الشَّيْخَيْنِ ، وَقَدْ خَلَطَ عَلَى
الْهَيْثَمِيِّ .

(٣) حَسَنٌ : ذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٣٠٠/٣) وَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَرِجَالَهُ
رِجَالُ ثِقَاتٍ .

وفى رواية «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فإنه من مات بالمدينة شفعت له يوم القيامة» (١) .

وعن الصَّمِيَّةِ - امرأة من بنى ليث - أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من استطاع منكم أن لا يموت إلا بالمدينة فليمت بها ، فإنه من يمت بها تشفع له أو تشهد له» (٢) .

وفى رواية : «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت ، فيمن مات بالمدينة كنت له شفيعا أو شهيدا» (٣) .

وعن سبيعة الأسلمية : «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت ، فإنه لا يموت بها أحدٌ إلا كنت شفيعا أو شهيدا يوم القيامة» (٤) .

وعن يتيمة من ثقيف كانت عند رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت ، فإنه من مات بها كنت له شهيدا أو شفيعا» (٥) .

(١) صحيح : أخرجه الترمذى فى المناقب حديث (٣٩١٧) وقال : «حسن غريب ، وابن حبان فى صحيحه (٣٧٣٣) ، وابن ماجه فى كتاب المناسك . باب فضل المدينة حديث (٣١١٢) ، والبيهقى فى شعب الإيمان . باب إثبات المدينة (١١٦/٨) ، وكذلك بقية الروايات المذكورة فى الحديث .

(٢) صحيح : أخرجه ابن حبان فى صحيحه (٣٧٣٤) والبيهقى فى شعب الإيمان (١١٣/٨) ، والطبرانى فى الكبير رقم (٨٢٤) من طريق عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد به ، ويرقم (٨٢٦) من طريق ابن أبى ذئب عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة .

(٣) حسن : ذكره البيهقى فى شعب الإيمان (١١٣/٨) ، والنسائى فى السنن الكبرى (٤٢٨٥) .

(٤) ضعيف : قال الهيثمى فى مجمع الزوائد : رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح ؛ خلا عبد الله بن عكرمة ، وقد ذكره ابن أبى حاتم .

(٥) حسن : قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٠٦/٣) : رواه الطبرانى فى الكبير ، وإسناده حسن ، ورجاله رجال الصحيح .

فضل زيارة النبي صلى الله عليه وسلم

وعن حاطب قال : قال رسول الله ﷺ : «من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي ، ومن مات بأحد الحرمين بُعثَ مِنَ الأمنين يوم القيامة»^(١) .

وعن عمر قال رسول الله ﷺ : «من زار قبري - أو قال : - زارني كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الأمنين يوم القيامة» .

وروى عن أنس : «من مات في أحد الحرمين بعث في الأمنين يوم القيامة ومن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جوارى يوم القيامة»^(٢) . حتى قال الحافظ المنذرى في الأصل رحمه الله تعالى^(٣) : وقد صَحَّ من غير ما طريق عن النبي ﷺ أن الوباء والدَّجَال لا يَدْخُلَانِ المدينة المنورة على خير ساكنيها أفضل الصلاة وأزكى السَّلام .

فصل في تحريم المدينة ونقل حُماها الى الجحفة ودعاء النبي ﷺ إلى أبي قتادة .

عن أبي قتادة إن رسول الله ﷺ توضأ ثم صلى بأرض سعيد بأرض الحرة عند بيوت السَّقِيَا ثم قال : «اللهم إن إبراهيم خليلك وعبدك ونبيك دعائك لأهل مكة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعائك إبراهيم لمكة ندعوك إن تبارك لهم في صاعهم ومدهم

(١) ضعيف : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩٠/٨) والذهبي في الميزان (٢٨٥/٤) والحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (١٨٠/٦-١٨١) من طريق المخالمى والساجى . وذكره المنذرى في الترغيب والترهيب (٢٢٤/٢) .

(٢) ضعيف : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩٥/٨) ، والسيوطى في الجامع الصغير ورمز له بالحسن فتعقبه المناوى بقوله : ليس بحسن ففيه ضعفاء منهم أبو المثني سليمان بن يزيد الكعبي . قال عنه الذهبي : ترك . وقال عنه أبو حاتم : منكر الحديث .

وقوله : «محتسباً» أى مخلصاً يطلب الأجر من الله سبحانه وتعالى .

(٣) راجع الترغيب والترهيب للمنذرى حديث رقم (١٨٠٣) .

وثمارهم اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة واجعل ما بها من وياءٍ بخمُّ اللهم إني حرمت ما بين لابتيها كما حرمت على لسان إبراهيم الحرم»^(١).

وعن أبي هريرة : «كان الناس إذا رأوا أوَّلَ الثمر جاءوا به لرسول الله ﷺ فإذا أخذَهُ رسول الله ﷺ قال : «اللهم بارِكْ لنا في ثمرنا وبارِكْ لنا في مدينتنا وبارِكْ لنا في صَاعِنَا ومُدَّنَا ، اللهم إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمَثَلِ مَا دَعَاكَ بِهِ لِمَكَّةَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدِ بَرَاءَ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرُ»^(٢).

وعن عائشة : «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدَّ وصَحِّحْهَا لنا وبارِكْ لنا في صاعها ومُدَّهَا وانْقُلْ حُمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ»^(٣).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا عند السَّقِيَا التي كانت لسعد قال رسول الله ﷺ وسلم اللهم إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ وَإِنِّي

(١) صحيح : ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٣٠٤) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، وانظر مستد أحمد (٥/٣٠٩).

وخم : المذكورة بضم الخاء وتشديد الميم ، اسم غيضة بين الحرمين من الجحفة ، لا يولد بها أحد فيعيش إلى أن يحتلم ، إلا أن يرحل عنها لشدة ما بها من الوباء والحمى ، بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأظن غدير خم مضافاً إليها . كذا قال الحافظ المنذرى في الترغيب والترهيب عند ذكره للحديث رقم (١٨٠٤) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم في كتاب الحج . باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة (٢/١٠٠٠) ، والترمذى في كتاب الدعوات . باب ما يقول إذا رأى الباكورة من الثمر حديث (٣٤٥٤) وفي كتاب المناقب . باب فضل المدينة حديث (٣٩١٤) ، والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة (٣٠٢) وأخرجه ابن ماجه مختصراً في كتاب الأطلعمة باب إذا أتى بأول الثمرة حديث (٣٣٢٩) . والمراد بالمد والصاع . الطعام المكيل بهما ومعناه الدعاء بالبركة في أقواتهم جميعها .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم في كتاب الحج . باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة (٢/١٠٠١) ، والبخارى في كتاب فضائل المدينة . باب حديث (١٨٨٩) .
والجحفة قرية جامعة بين مكة والمدينة ، سميت بذلك ، لأن السيول أجحفتها ، وقد اندثرت .

أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تَبَارِكَ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدَّهُمْ مِثْلَ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَاجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ» (١) .

وعن أبي سعيد «اللهم بارك (لنا) في مدينتنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين والذي نفسى بيده ما من المدينة شئ ولا شعب ولا نَقَب إلا عليه ملكان يحرسانه» (٢) .

وعن أنس : «اللهم اجعل بالمدينة ضعف ما جعلت بمكة من البركة» (٣)

وعن ابن عباس دعا رسول الله ﷺ : «اللهم بارك لنا في صاعنا ومُدنا وبارك لنا في شامينَا ويمَنِنَا، فقال رجلٌ من القوم: يانبيُّ الله ! وعِرَاقِنَا فقال إن بها قرنَ الشَّيْطَانِ وَتَهْيِجُ الْفِتَنَ وَإِنَّ الْجَفَاءَ بِالْمَشْرِقِ» (٤) .

وعن ابن عمر : «رأيتُ امرأةً فى المنام سوداءَ ثائرةُ الرأسِ خرجت حتى قامت بمهَيِّعةٍ ، وهى : الجحفة ، فأولت أن وياءَ المدينة نقلَ إلى الجُحْفَةِ» (٥) .

(١) صحيح : قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٠٥/٣) : رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، وانظر مسند أحمد (١١٥/١) ، وصحيح ابن حبان (٣٧٣٨) . والترمذى حديث (٣٩١٤) من كتاب المناقب . باب فضل المدينة .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم فى كتاب الحج . باب فضل المدينة ودعاء النبى صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة (١٠٠١/٢) ، ولقطة شىء ليست فى الحديث ، بل هى مقحمة فيه . وقوله : «شعب» هو الطريق بين الجبلين . و«النقب» جمع أنقاب ، وهو مثل الشعب ، قال الأخفش : شعبها ونقابها أى طرقها وفجاجها .

(٣) صحيح : أخرجه البخارى فى كتاب فضائل المدينة . باب حديث (١٨٨٥) ، ومسلم فى كتاب الحج . باب فضل المدينة ودعاء النبى صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة (٩٩٤/٢) .

(٤) حسن : قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٠٥/٣) : رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات . وقال المنذرى فى الترغيب لإسناده لا بأس به .

و«قرن الشيطان» معناه اتباع الشيطان وأشيعاه ، وقيل : شدته وقوته ، ومحل ملكه وتصرفه .

(٥) صحيح : أخرجه البخارى فى كتاب التعبير . باب إذا رأى أنه أخرج الشئ من كوة ثم خرج موضعاً آخر حديث (٧٠٣٨) ، وابن ماجه فى كتاب تعبير الرؤيا . باب التعبير حديث (٣٩٢٤) والترمذى حديث (٢٢٩٠) .

و«المهَيِّعة» بفتح العين ، وإسكان الهاء : هى قرية قديمة كانت بميقات الحج الشامى على اثنين وثلاثين ميلاً من مكة ، فلما أخرج العماليق بنى عبيل إخوة عاد من يشرب نزلوها فجاءهم سيل الجحاف ، فجحفهم ، وذهب بهم ، فسميت الجحفة لذلك . انظر الترغيب والترهيب للمنذرى حديث (١٨١١) .

وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ «المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان، وأرضُ الهجرة، ومثوى الحلال والحرام»^(١).

وعن جابر «خير ما ركبت إليه الرّواحِلُ مَسْجِدُ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسْجِدِي»، إلا أنه قال: «مسجدي هذا والبيت المعمور، وحب ولفظه «خير ما ركبت إليه الرّواحِلُ مَسْجِدِي هذا والبيت العتيق»^(٢).

وقد صح أن النبي ﷺ قال: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٣).

وعن سعيد بن مسروق لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك تلقاه رجال من المتخلفين من المؤمنين اللثام غباراً فَخَمَّرَ بعض من كان مع رسول الله ﷺ أَنْفَهُ فَأَزَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الثَّامَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ فِي غُبَارِهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَمِنْ الْجُدَامِ وَالْبَرَصِ»^(٤).

وعن أنس قال رسول الله ﷺ لأبى طلحة «الْتَمِسْ لِي غُلَاماً يَخْدُمُنِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ يَرْدِفُنِي وَرَاءَهُ فَكُنْتُ أَخْدِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا نَزَلَ . قَالَ ثُمَّ أَقْبِلْ حَتَّى إِذَا بَدَى لَهُ أَحَدٌ قَالَ : «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ : االلهم إني أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم به إبراهيم مكة ، اللهم بارك لهم في مدْهم وصاعِهم»^(٥).

(١) حسن : قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٨/٣) : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عيسى ابن مينا قالون وبقية رجاله ثقات ، وحديث عيسى هذا حسن .

(٢) حسن : أخرجه أحمد في المسند (٣٣٦/٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٤) : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن ، وابن حبان في صحيحه (١٦١٤) وابن خزيمة .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري في كتاب فضل الصلاة . باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة حديث (١١٨٩) ، ومسلم في كتاب الحج . باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (١٠١٤/٢) .

(٤) حسن بشواهده . قال المنذرى في الترغيب والترهيب حديث رقم (١٨١٤) : ذكره زَيْنُ الْعَبْدَى فِي جَامِعِهِ ، وَلَمْ أَرَهُ فِي الْأَصُولِ .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة : باب الحنيس ، وهو ما يتخذ من التمر والسمن ، (٥٤٢٥) ، ومسلم في كتاب الحج . باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة (٩٩٣/٢) . =

وعن علي رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليكم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

وعنه (٢) «أحد جبل يحبنا ونحبه فإذا جئتموه فكلوا من شجره ولو عِصَاهُ» (٣) .

«إن جبل أحد يحبنا ونحبه وهو على ترعة من ترع الجنة وعِزْرُ على ترعه من ترع النار» (٤) .

وعن أبي عبيس بن جبر «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهَذَا عِزْرُ جَبَلٍ يَبْغِضُنَا وَتَبْغِضُهُ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ» (٥) .

= قال الخطابي في قوله : «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» أراد به أهل المدينة وسكانها كما قال الله تعالى «وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ» أى أهل القرية . وقال البيهقي : الأولى إجراؤه على ظاهره ، ولا ينكر وصف الجمادات بحب الأنبياء والأولياء وأهل الطاعة ، كما حنت الأسطوانة على مفارقتها صلى الله عليه وسلم حتى سمع القوم حنينها إلى أن سكنها ، وكما أخبر أن حجراً كان يسلم عليه قبل الوحي ، فلا ينكر عليه ، ويكون جبل أحد ، وجميع أجزاء المدينة تحبه ، ونحن إلى لقاء حالة مفارقتها لياها . قال الحافظ المنذرى : والذي قاله البيهقي جيد .

(١) ضعيف : أخرجه الترمذى في كتاب المناقب . باب في آيات إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وما قد خصه الله عز وجل به حديث (٣٦٢٦) وقال حديث حسن غريب ، والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح . كتاب الفضائل والشمائل . باب في المعجزات (١٦٦٤/٣) ، وعزاه إلى الترمذى والدارمى فى السنن .

(٢) كذا فى المخطوط وهو غلط والصواب أنه عن أنس بن مالك .

(٣) ضعيف : قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٣/٤ ، ١٤) : رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه كثير بن زيد ، وثقه أحمد وغيره ، وفيه كلام . وقد قال المنذرى فى الترغيب والترهيب حديث (١٨١٧) : صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير ما طريق ، وعن جماعة من الصحابة أنه قال لأحد : «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» والزيادة على هذا عند الطبرانى غريبة جداً .

وقوله : على ترعة : معناه الروضة ، والباب ، وهو المراد فى هذا الحديث ، وقد فسر بهذا المعنى فى حديث أبى عبيس الذى سأتى بعد هذا الحديث مباشرة فى كتابنا هذا .

(٤) ضعيف جداً : أخرجه ابن ماجه فى كتاب المناسك . باب فضل المدينة حديث (٣١١٥) ، وقال فى الزوائد : إسناده ضعيف ، لأن فيه ابن اسحاق ، وهو مدلس ، وقد عنعنه ، وشيخه عبد الله ابن مكثف . قال البخارى : فى حديثه نظر . وقوله : غير : اسم جبل صغير جداً يطل على المدينة ، وهو الآن بقرب مطارها .

(٥) ضعيف : أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفى الكبير ، والبيهقى فى كشف الأستار ، وفيه عبد المجيد بن أبى عبيس ، لينة أبو حاتم ، وفيه من لم أعرفه .

وَرُويَ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ «أَحَدُ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْجَنَّةِ» (١) .

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال كنت أرمى الوحش وأصيدها وأهدي لحمها لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «أَمَا لَوْ كُنْتَ تَصِيدُ بِالْعَقِيقِ لَشِيعَتِكَ إِذَا ذَهَبَتْ تَلْقَيْتُكَ إِذَا جِئْتَ فَإِنِّي أَحِبُّ الْعَقِيقَ» (٢) .

وعن عائشة قال رسول الله ﷺ قال «آتَانِي أَتٍ وَأَنَا بِالْعَقِيقِ فَقَالَ إِنَّكَ بِوَادٍ مُبَارَكٍ» (٣) .

وعن عمر رضي الله عنه : «آتَانِي اللَّيْلَةُ أَتٍ مِنْ رِيٍّ وَأَنَا بِالْعَقِيقِ أَنْ صَلَّيْتُ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ» (٤) .



(١) ضعيف : قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣/٤) : رواه أبو يعلى ، والطبراني في الكبير ، وفيه عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني وهو ضعيف .

(٢) حسن : قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤/٤) رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن .
والعقيق : واد عليه أموال المدينة على بعد ميلين منها ، وهما عقيقان : أصغر ، وأكبر فالأصغر فيه بحر رومة ، والأكبر فيه بحر عررة . والعقيق الذي جاء فيه «إِنَّكَ بِوَادٍ مُبَارَكٍ» هو الذي يبطن وادي ذي الحليفة ، وقد ذكرته الخنساء في شعرها وهي ترضي أخاها صخيراً وقد مات بالعقيق إثر جراحة تعرض لها : أَفِيقِي مِنْ دِمَوعِكَ وَاسْتَفِيقِي وَصَبْرًا إِنْ أَطَقْتَ وَلَنْ تَطِيقِي وَقُولِي : إِنَّ خَيْرَ بَنِي سَلِيمٍ وَغَيْرِهِمْ يَبْطَحَاءُ الْعَقِيقَ

(٣) حسن بشاهده المتقدم . أخرجه البزار في كشف الأستار (١٢٠١) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤/٤) .

(٤) صحيح . أخرجه البخاري . في الصحيح . وأحمد في المسند (٢٤/١) ، وابن ماجه في كتاب المناسك . باب التمتع بالعمرة إلى الحج حديث (٢٩٧٦) ، وأبو داود في كتاب المناسك . باب في الاقتران حديث (١٨٠٠) . وتمام الحديث ٠٠ وَقُلْ عَمْرَةَ فِي حَجَّةٍ .

الترهيب من إخافة أهل المدينة وإرادتهم بسوء

وذوبهم كالرصاص فى النار والملح فى الماء

وعن سعد : « لا يكيد أهل المدينة أحدٌ إلا إنمَاع كما ينمَاع الملح فى الماء »^(١) وفى روايتهم « ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص وذوب الملح فى الماء »^(٢) .

رُوى هذا الحديث عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه : « أن أميراً من أمراء الفتنة قدم المدينة وكان قد ذهب بصر جابر رضى الله عنه فقبل لجابر : لو تتحيت عنه ، فخرج يمشى بين ابنيه فانكبَّ فقال تَسَّ من أخاف رسول الله ﷺ فقال ابنه أو أحدهما : يا أبت وكيف أخاف رسول الله ﷺ وقد مات فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ جَنْبَيْ »^(٣) وقال قال رسول الله ﷺ : « من أخاف أهل المدينة أخافه الله »^(٤) .

وعن عبادة « اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرف ولا عدل »^(٥) طس طب .

(١) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب فضائل المدينة . باب إثم من كاد أهل المدينة حديث (١٨٧٧) ومسلم فى كتاب الحج . باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله (١٠٠٨/٢) .

(٢) . أخرجه مسلم فى كتاب الحج . باب فضل المدينة ودعاء النبى صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة (٩٩٩/٢) ، وابن ماجه فى كتاب المناسك . باب فضل المدينة حديث رقم (٣١١٤) وأحمد فى المسند (١٨٠/١ ، ١٨٤ ، ١٨٥) .

وقوله فى الرواية الأولى : « يكيد » بمعنى يؤذى بمكر أو بحرب أو بغيرهما من أنواع الأذى ، وقوله : « إنمَاع » بمعنى انصهر وذاب .

(٣) صحيح . أخرجه أحمد فى المسند (٥٤/٤) ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٠٦/٣) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . وقوله : « انكب » وقع على وجهه أو لوجهه ، ومعنى « تَسَّ » هلك وخاب . (٤) حسن . أخرجه ابن حبان فى صحيحه (٣٧٣٠) .

(٥) صحيح . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٠٦/٣) : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ، ورجاله رجال الصحيح وانظر الضياء المختارة (٢٤٦/١٢ ، ٢٤٧) ، وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب حديث (١٨٢٤) رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بإسناد جيد .

وروى النسائي والطبراني عن السائب بن خالد «اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» (١) .

وفى روايه الطبراني «مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَخَافَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا» (٢) .

روى عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال «من آذى أهل المدينة آذاه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، طيب» (٣) .

وعن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله ﷺ «اللهم أخفهم مَنْ دَهَمَهُمْ بَبَاسُ يَعْنِي أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَلَا يَرِيدُهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ» (٤) بز .

فصل فى فضل الزيارة للنبي ﷺ وضجيعيه أبى بكر الصديق وعمر الفاروق وفضل زيارة من فى البقيع من أهل البيت وأصحاب رسول الله ﷺ وأمتة الأكرمين وعباد الله الصالحين وزيارة الشهداء بأحد خصوصاً سيدنا حمزة رضى الله عنه وعن جميع أصحاب رسول الله ﷺ أقول وفى هذا

(١) ضعيف : قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٠٦/٣) : قلت : عزاه الشيخ فى الأطراف إلى النسائي ، ولم أره فى المجتبى ، فلعله فى الكبير ، ورواه الطبراني فى الكبير وفيه من لم أعرفه ، وانظره فى السنن الكبرى للنسائي حديث (٤٢٦٦) .

(٢) ضعيف . ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٠٦/٣) وقال : رواه الطبراني فى الكبير ، وفيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف .

(٣) . ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٠٧/٣) وقال : رواه الطبراني فى الكبير ، وفيه العباس بن الفضل الأنصارى وهو ضعيف .

(٤) حسن بشواهده . أخرجه البزار فى كشف الأستار (١١٨٣) ، وانظره فى مجمع الزوائد للهيثمى حيث عزاه إليه وحسن إسناده (٣٠٧/٣) .

وقوله : «دهمهم» محركة : أى غشيهم بسرعة .

وفيما تقدم من أحاديث النهى عن إيذاء أهل المدينة يرى الوعيد الشديد بالهلاك ، والانتقام فى الدنيا والآخرة لمن أقدم على هذا الفعل .

الفصل أذكر ما قاله السيد العلامة على بن عبد الله الحسنى السمهودى^(١) مؤرخ المدينة المنورة فى الخلاصة ، وما قاله ابن حجر^(٢) فى «تحفة الزوار إلى قبر النبى المختار»، وما قاله جلال الدين بن خير الدين الحنفى المدنى فى «الأخبار المستطابة فى فضل سكان طابة» ، وإن وجد بعض الاحاديث مكرراً فذلك لتمام الشوق ، والمحبة متلذذ بذكر محبوبه ، وطالب لنيل مطلوبه ، ولا يمل المحب المشتاق من ذكر الحبيب ﷺ ، وذلك أمر مقرر ومعلوم لدى كل منور لبيب . ولله درسيدي العارف بالله تعالى ابن الفارض^(٣) -نفع الله به .

أذكر ذكر من أهوى وتوهم لامي فإن أحاديث الحبيب مدامى
ليشهد سمعى من أحب وإن نأى بطوف خيال لا يطيف منامى^(٤)

غيره كما فى الأخبار المستطابة :

أملاني حديث من سكن الجز ع ولا تكتباه إلا بدمعى
فاتنى أن أرى الديار بطرفى فلعلى أرى الديار بسمعى

وقال الإمام العامرى فى بهجة المحافل ، كما نقله السيد العلامة محمد بن سميط فى مناقب الحبيب القطب الفوثن السيد عبد الله

(١) ولد الإمام السمهودى فى قرية سمهود من قرى صعيد مصر فى صفر سنة (٨٤٤هـ) ، وتعلم فى القاهرة ، ثم انتقل إلى المدينة المنورة ، فاستوطنها ، واتصل بعلماء الحرمين الشريفين وغيرهم من علماء مصر توفى رحمه الله سنة (٩٢٢هـ) .

(٢) هو الإمام العالم أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن حجر الهيتمى ، ولد فى محلة هياتم أو أبى الهيتم كما كانت تسمى قديماً ، وهى قرية من قرى محافظة الغربية بمصر ، وأخذ العلم عن كبار علماء عصره ، وسافر إلى مكة مع شيخه البكرى سنة (٩٣٣هـ) وألف هناك بعض مؤلفاته ومنها تحفة الزوار إلى قبر النبى المختار ، تربو مؤلفاته على الثمانين كتاباً فى مختلف الفنون الشرعية ، وتوفى سنة (٩٧٣هـ) .

(٣) هو عمر بن الفارض أحد كبار المتصوفة له آراء غير متفقة مع منهج أهل السنة والجماعة .

(٤) . البستان فى وفاء الوفا للسمهودى ولم يعزهما (٢/١) .

الحداد نفع الله بهم :

يا عَيْنُ إنْ بَعُدَ الحبيبُ وداره ونأت منازلَه وشطَّ مـزاره
فلک الهنا ولقد ظفرتِ بطائل إن لم تَرِيه فـهـذه آثاره

ولله در القائل :

اسعد أخى وغنى بحديث من الأباطح إن رميت إخاء
أعده عند مسامعى فالروح أجل إن بعد المدا ترقح للأنباء

وقال شيخ مشايخنا القطب الغوث سيدى عبد الله بن علوى الحداد
العلوى نفعا الله به فى الرائية :

لك الخير حديثنى بظبية عامر وما حالها من بُعدنا يا مسامر
وروح فؤداً ذاب من صد بُعدها بتذكارها إن كنت يوماً مذاكر
فإن أحاديث الأحبة مرهم لقلبي من الداء العضال المخامر
هوئى حل فى قلبى وواطن مهجتي وخالط أجزائى وسار بسائرى
إذا فاتنى قرب الأحبة واللقا ففى ذكرهم أنس لوحشة خاطر
فإن لم يُصبها وابل صيبُ النداء فطل به يحى موات سرائرى
فشنف بتذكار الأحبة مسمعى وأخلصه عن تذكار غير مفائرى
فتذكارهم راحى وروحى وراحتى يطيب به قلبى وتصفو ضمائرى

ومعلوم عند ذوى الألباب الذين رفع الله عنهم الستر والحجاب أن
فى ذكر المحبوب راحة عظيمة وفى تتبع آثاره تسلية جسيمة وفى
الحديث «من أحب شيئاً أكثر من ذكره» (١).

والمقصود النفع والانتفاع بالجوار لسيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى
آله وصحبه الأخيار . ثبتنا الله على كمال محبته ورزقنا والمحبين اتباع

(١) ضعيف . عزاه السيوطى فى الجامع الصغير إلى الديلمى فى مسند الفردوس .

سُنَّته . والتحلَّى دائماً فى الدنيا والآخرة بحضرته أمين وأعد حديثك لى
فإنَّ مسامعى تهوى حديثك مثل ما أهواك وفى الخلاصة فى الباب
الثانى وعن ابن عمر رضى الله عنهما رفعه « مَنْ زَارَ قَبْرِى وَجِبَتْ لَهُ
شَفَاعَتى » (١) .

وفى رواية : « مَنْ زَارَ قَبْرِى حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتى » (٢) وعنه « مَنْ جَاءَنِى
زَائِراً لَاتَعْمَلْهُ حَاجَةً إِلَّا زِيَارَتى كَمَاِنْ حَقّاً عَلَى أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ
الْقِيَامَةِ » (٣) .

وفى رواية « مَنْ جَاءَنِى زَائِراً كَانَ لَهُ حَقّاً عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ
شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٤) .

وعن ابن عمر « مَنْ حَجَّ فِزَارَ قَبْرِى بَعْدَ وَفَاتى كَانَ كَمَنْ زَارَنِى فِى
حَيَاتى » (٥) .

وفى رواية « مَنْ حَجَّ فِزَارَ قَبْرِى بَعْدَ مَوْتى كَانَ كَمَنْ زَارَنِى فِى حَيَاتى
وَصَحْبَنِى » (٦) .

وعنه « مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَلَمْ يَزِرْنِى فَقَدْ جَفَانِى » (٧) ابن عدى .

(١) ضعيف جداً . أخرجه الدارقطنى والبيهقى ، وطرق الحديث كلها لينة وعده الشوكانى فى
الموضوعات (ص ١١٧) وانظر الصارم المنكى فى الرد على السبكي .
(٢) موضوع . ذكره الشوكانى فى الموضوعات (ص ١١٧) والصارم المنكى فى الرد على
السبكي .

(٣، ٤) ضعيف جداً . انظر الصارم المنكى فى الرد على السبكي لابن عبد الهادى .
(٥) موضوع . أخرجه الدارقطنى فى سننه كتاب الحج (٢/٢٧٨) ، والبيهقى فى شعب
الإيمان . باب إتيان المدينة وزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم (٨/٩٢) ، وفى السنن (٥/٢٤٦)
من طريق آخر كما أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، وابن عدى فى الكامل (٢/٧٩٠) .
وقال الشيخ ابن تيمية فى «قاعدة جلييلة فى التوسل والوسيلة» : « ٠٠٠ وأحاديث زيارة قبره صلى
الله عليه وسلم كلها ضعيفة لا يعتمد على شئ منها فى الدين ، ولهذا لم يروا أهل الصحاح والسنن
شيئاً منها ، وإنما يروونها أصحاب الضعاف كالدارقطنى والبزار وغيرهما » انظر ص (٥٧) من الكتاب
المذكور .

(٦) انظر تخريج الحديث الذى قبله .

(٧) موضوع . ذكره الشوكانى فى الأحاديث الموضوعة (ص ٤٢) والصنعانى فى الموضوعات
(ص ٦) ، وكذلك حكم عليه الإمام ابن الجوزى فى كتابه «الموضوعات» وانظر الألبانى المصنوعة فى
الأحاديث الموضوعة للسيوطى . =

وعنه «من زارنى إلى المدينة كنت له شفيعا وشهيدا» ، وعنه «من زار قبرى»
أو قال : «من زارنى كنت له شفيعا أو شهيدا ومن مات فى أحد الحرمين
بعثه الله عز وجل من الأمنين يوم القيامة» أبو داود الطيالسى .

فى رواية «من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيامة» ومن مات
الحديث

وفى «رواية» كان فى جوارى يوم القيامة . «ومن سكن المدينة وصبر
على بلائها كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة» وفى رواية «من زارنى
بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى . ومن مات بأحد الحرمين بُعث من
الأمنين يوم القيامة» وفى رواية أبى الفتح الأزدى من حجة الإسلام «زار
قبرى وغزاً غزوةً وصلى فى بيت المقدس لم يسأله الله عز وجل فيما
افترض عليه» وعن أبى هريرة رضى الله عنه «من زارنى بعد موتى
فكانما زارنى وأنا حيٌ . ومن زارنى كنت له شفيعا وشهيدا يوم
القيامة»^(١) وعن أنس بن مالك «من زارنى بالمدينة كنت له شهيدا
وشفيعا يوم القيامة» وفى رواية «من مات فى أحد الحرمين بُعث من
الأمنين يوم القيامة ومن زارنى محتسبا إلى المدينة كان فى جوارى يوم
القيامة» ولابن النجار من طريق سمعان بن المهدي عن أنس «من زارنى
ميتا فكانما زارنى حيا ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى يوم القيامة وما

= وما يدل على وضعه أن جفاء النبى صلى الله عليه وسلم من الذنوب الكبائر إن لم يكن
كفرا ، وعليه فمن ترك زيارته صلى الله عليه وسلم يكون مرتكبا لذنوب كبير ، وذلك يستلزم أن الزيارة
واجبة كالصلاة ، وهذا مما لا يقوله أحد ، ذلك لأن زيارته صلى الله عليه وسلم ، وإن كانت من
القرابات فإنها لا تتجاوز عند العلماء حدود المستحبات ، فكيف يكون تاركها مجافيا للنبى صلى الله
عليه وسلم ومعرضا عنه ؟! انظر السلسلة الضعيفة (٦١/١) .

(٧: ١) كل هذه الأحاديث والتي قبلها ثار حولها جدل طويل من حيث الوضع ، والتضعيف
والتحسين ، فالسيكى يصححها ويدافع عن صحتها فى كتابه .

ثم رد عليه الحافظ بن عبد الهادى فضعف بعضها وحكم على البعض الآخر بالوضع ، انظر
ذلك فى الصارم المنكى فى الرد على السيكى ، وكذلك تراجع كتب الموضوعات لكل من ابن
الجوزى ، والشوكانى ، والسيوطى ، والصغاني ، ومن الكتب الحديثة السلسلة الضعيفة للألبانى ،
وانظر كذلك الفصل الأخير من كتاب وفاء الوفا من ص ١٣٣٦ : ص ١٣٤٨ .

من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر» (٣) وعن ابن عباس رضى الله عنه «من زارنى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى ومن زارنى حتى ينتهى إلى قبرى كنت له يوم القيامة شهيداً وقال شفيعاً» (٤) العقبلى وعنه «من حج إلى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتبت له حجتان مبرورتان» (٥) وعن على كرم الله وجهه «من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن لم يزرنى فقد جفانى» (٦) وفى رواية ابن عساكر عن على «من سأل لرسول الله ﷺ الدرجة والوسيلة حلت له شفاعتى يوم القيامة ومن زار قبر نبي الله ﷺ كان فى جوار رسول الله ﷺ» (٧) وعن ابن مسعود رضى الله عنه مثل حديث على رضى الله تعالى عنه وعن بكر بن عبد الله «من أتى المدينة زائراً لى وجبت له شفاعتى يوم القيامة . ومن مات فى أحد الحرمين بعث آمناً» (٨) وفيه رجل مبهم .

وعن أبى هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ : «ما من أحد يسلم علىّ إلا ردّ الله علىّ روحى حتى أردّ عليه السلام» (٩) وفى رواية بزيادة «عند قبرى» .

تنبيه : وبهذا الحديث الصحيح استدلّ البيهقى رحمه الله تعالى وغيره لحياة الأنبياء قال : والمعنى إلا وقد ردّ الله علىّ روحى حتى أردّ عليه وقيل : هو الخطاب على مقدار فهم المخاطبين أنه لا بدّ من ردّ الروح ليسمع فكأنه قال أسمعته تمام السماع وأجبتة تمام الإجابة مع دلالته على الرد عند سلام أول مسلم ولم يردّ قبضها بعد ولا قائل به لتوالى موته لا يحصر . وقيل : الردّ معنوى من الاستغراق فى الشهود فهو التفات روحانى إلى دوائر البشرية من الاستغراق فى الحضرة العلية وأما حديث النسائي وغيره «إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى

(٨) سبق تخريجه وبيان درجته .

(٩) حسن . أخرجه أبو داود فى سننه ، وانظر الجامع الصغير للسيوطى .

من أمتي السلام»^(١) فذلك في حق الغائب وأما الحاضر فهو ﷺ
يَسْمَعُهُ وَيَرِدُّ عَلَيْهِ وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ صَلَّى
عَلَى عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَائِيًا بُلُغْتُهُ»^(٢) وعنه «مَنْ صَلَّى
عَلَى عِنْدَ قَبْرِي وَكَلَّ اللَّهُ بِهَا مَلَكًا يَبْلُغُنِي وَكُفِّي أَمْرَ آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ وَكُنْتُ
لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا ، وفي رواية «مَا مِنْ عَبْدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي إِلَّا وَكَلَّ
اللَّهُ بِهَا مَلَكًا يَبْلُغُنِي وَكُفِّي أَمْرَ آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ وَكُنْتُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ» .

وفي الإحياء للإمام الحجة الغزالي رضي الله عنه حديث «أَنَّ اللَّهَ
وَكَلَّ بِقَبْرِهِ ﷺ مَلَكًا يَبْلُغُهُ سَلَامٌ مِنْ سَلَمٍ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ» قال رحمه الله
هذا في حق من لم يحضر قبره ﷺ فكيف من فارق الوطن وقطع
البوادي شوقاً إليه ﷺ^(٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ «مَا مِنْ أَحَدٍ يَعْرِفُ
بَقْبِرَ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ
السَّلَامَ»^(٤) .

وفي رواية ابن أبي الدنيا بزيادة «وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرِ لَا يَعْرِفُهُ فَسَلِّمَ عَلَيْهِ رَدَّ
عَلَيْهِ السَّلَامَ»^(٥) فإذا كان هذا في آحاد الأمة فكيف بالشهداء
خصوصاً سيدنا رسول الله ﷺ فهو ﷺ يسمع من يسلم عليه عند قبره
وَيَرُدُّ عَلَيْهِ عَالِمًا بِحُضُورِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ وَكُفِّي بِهَذَا فَضْلًا حَقِيقًا بَأَنَّ يُنْفَقَ فِيهِ
مُلْكُ الدُّنْيَا حَتَّى يَتَوَصَّلَ إِلَيْهِ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ بِالْوَصُولِ إِلَيْهِ ﷺ عَلَيْهِ
وَالْحُلُولُ بِجَوَارِهِ ﷺ وَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ بَلْ بِحَوْلِهِ سَبْحَانَهُ

(١) صحيح . أخرجه أحمد ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم في المستدرک .

(٢) موضوع . السيوطي إلى البيهقي في شعب الإيمان انظر الجامع الصغير .

(٣) انظر الإحياء باب الزيارة من كتاب الحج .

(٤) ضعيف . عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى ابن عساکر ، والخطيب البغدادي .

(٥) ضعيف . عزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا .

وتعالى وقوته القادر على كل شيء العليم بكل شيء من سنة ١١٣٩ ، فله الحمدُ سبحانه وتعالى حمداً يوافي نعمه ويكافئُ مزيده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه لا أحصى ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، والحمدُ لله الذى بنعمته تتمُّ الصالحات ، وهذا من فضل الله علينا ورحمته لا إله إلا هو الكريم الحنان المنان .

وعن سليمان بن سَحِيم^(١) : رأيتُ رسولَ الله ﷺ فى النوم فقلت : يا رسولَ الله ﷺ هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك تفقهُ سلامَهُمْ . قال : «نعم وأردُّ عليهم»

وعن إبراهيم بن بشار . حججت فى بعض السنين ، فجئتُ إلى المدينة، فتقدمتُ إلى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمْتُ عليه ﷺ ، فسمعتُ من داخلِ الحجرة «وعليك السلام»^(٢) ونُقِلَ مثله عن جماعة من الأولياء والصالحين رضى الله عنهم ونفعنا بهم .

ولا شك فى حياته ﷺ بعد الموت ، (حياة حقيقية) وكذا سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه على جميعهم حياةً أكمل من حياة الشهداء ، وهو ﷺ سيد الشهداء ، وأعمال الشهداء فى ميزانه صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ﷺ : «علمي بعد وفاتي كعلمي فى حياتي» .

وعن أنس : «الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون» .^(٣)

وعن أنس قال رسول الله ﷺ : «إن الأنبياء لا يتركون فى قبورهم بعد أربعين ليلة ، ولكنهم يصلون بين يدي الله - تعالى - حتى يُنْفَخَ فى

(١) سليمان بن سَحِيم ، أبو أيوب المدنى صدوق ، من الثالثة ، أخرج له مسلم ، وأبو داود ، والنسائى والقصة ذكرها البيهقى شعب الإيمان (١٠٠/٨) . باب أتيان المدينة وزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) ذكر البيهقى فى شعب الإيمان (١٠١/٨) قصة قرية منها ، وانظر وفاء الوفا .

(٣) ذكره فى الخلاصة ولم يعزه لأحد .

الصور. (١)

وقال : إن صَحَّ فالمراد والله أعلم لا يتركون لا يصلون إلا هذا المقدار،
ثُمَّ يكونون مصلين بين يدي الله .

وعن أوس بن أوس رَفَعَهُ (٢) : «أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خُلِقَ آدم
وفيه قبض وفيه النضجة ، وفيه الصُعقة ، فأكثرُوا على من الصلاة فيه
فإن صلاتكم معروضة على» . قالوا : وكيف تُعرض صلاتنا عليك يا رسول
الله وقد أَرَمْتَ أى بليتَ فقال ﷺ : «إن الله تعالى حرم على الأرض أن
تأكل أجساد الأنبياء» .

وعن أبى الدرداء : «أكثرُوا الصلاة على يوم الجمعة فإنه يوم مشهود
تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلى على إلا عُرضت على صلاته حتى
يفرغ منها، قال : قلتُ : وبعد الموت ؟ قال ﷺ : «وبعد الموت إن الله حرم
على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» عليهم الصلاة والسلام .

وقال : فنبىُّ الله حى يُرزق ﷺ .

وعن عمار بن ياسر : «إن الله أعطانى ملكاً من الملائكة يقوم على
قبرى إذا أنا مت فلا يصلى على أحد صلاة إلا قال : يا أحمد فلان بن
فلان يصلى عليك يُسميه باسمه واسم أبيه فيصلى الله عليه مكانها
عشراً» . وفى رواية : «أسماء الخلائق، وفى أخرى : «أسماع الخلائق ،
فهو قائم على قبرى إلى يوم القيامة» .

وعن ابن مسعود : «إن لله ملائكة سياحين يبلغونى عن امتى السلام» .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : «حياتى خير لكم تحدثون ويحدث
لكم ووفاتى خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيتُ من خير حمدت الله
عليه وما رأيتُ من شر استغفرت الله لكم» (٣) جزاه الله عنا خير ما جازى

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث . (٢) أى رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وليس موقوفاً عليه .

(٣) ضعيف . عزاه السيوطى فى الجامع الصغير إلى ابن سعد عن عمر مرسلاً .

نبيا عن أمته .

وروى ابن عساكر بسند جيد عن أبي الدرداء قصة نزول بلال بن رباح بدارياً^(١) بعد فتح عمر رضي الله عنه لبيت المقدس قال : ثم إن بلالاً رأى النبي ﷺ وهو يقول له : «ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما أن لك أن تزورني»^(٢) ، فانتبه حزينا خائفا ، فركب راحلته ، وقصد المدينة ، فأتى قبر النبي ﷺ ، فجعل بلال يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه ، فأقبل الحسن والحسين ، فجعل يضمهما ويُقبلُهما . فقالا : نشتهى نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد . فعلا سطح المسجد ، ووقف موقفه الذي كان يقف فيه فلما أن قال : الله أكبر ، ارتجت المدينة . فلما أن قال : أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها ، فلما أن قال : أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ . خرجت العواتق^(٣) من خدورهن ، وقالوا^(٤) بُعث رسول الله ﷺ ، فما رأوا يوماً أكثر باكيا وباكية بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم .

وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرى النبي ﷺ السلام ثم يرجع^(٥) .

وفى فتوح الشام أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعد فتح بيت المقدس قال لكعب الأحبار : هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي ﷺ . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، ولما قدم سيدنا عمر رضي الله عنه المدينة أول ما بدأ بالمسجد ، وسلّم على رسول الله ﷺ .

وصحَّ عن ابن عمر - رضى الله عنهما - كان إذا قدم من سفر أتى

(١) اسم موضع بالشام دفن فيه عدد من الصحابة رضوان الله عليهم .

(٢) انظر هذه القصة في وفاء الوفا ، والخلاصة ، وفيها كلام مبالغ فيه .

(٣) النساء جمع عاتقة .

(٤) انظر الخلاصة ، ووفاء الوفا (وقلن) بدل وقالوا .

(٥) السابق نفس الصفحة ، وانظر الشفا للقاضي عياض (٨٣/٢) .

قبر النبي ﷺ . فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر الصديق ، السلام عليك يا أبتاه .

وعن الدارأوردي أن جعفر الصادق بن الباقر - رضى الله عنهم - جاء فسلم على النبي ﷺ ، ثم انثنى فسلم على أبي بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق رضى الله عنهما وقال لى : والله هذا الذى أدين الله به ، وإنه ما يسرنى أن أقول لمعاوية : أخزاه الله ، أو فعل الله به وإن لى ما فى الدنيا .

ودخل على ﷺ المسجد فبكى حين نظر إلى بيت فاطمة رضى الله عنها فأطال البكاء عنده ، ثم قال : لأبى بكر وعمر وعليكم السلام يا إخوانى ورحمة الله قد كنتما هاديَيْن مهديَيْن خرجتما من الدنيا خمسين .

وفى الشفا (١) : «ومما لم يزل من شأن الناس ممن حجَّ ، المرور بالمدينة والزيارة للحاج عندهم مما لا يترك ، والقصد إلى الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يده ومواطئ قدميه والعمود الذى يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره (٢) وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله» .

وعن محمد بن حسن الهلالى عن العتبى بن حرب الهلالى قال : أتيت قبرَ النبي ﷺ فزرتُه وجلست بحذائه ، فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعتُ الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] وقد جئتكَ مستغفراً من ذنبى ، مستشفعا بك إلى ربى ، ثم

(١) الشفا للقاضى عياض باب زيارة قبره صلى الله عليه وسلم (٨٣/٢) .

(٢) كذا بالأصل ، وهى فى الشفا .

أنشأ يقول :

يا خيرَ من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف، فحملتني ^(١) عيناى ، فرأيتُ النبی ﷺ فى النوم فقال
عليه السلام : يا عتبی ! الحق الأعرابی فبشره بأن الله تعالى قد غفر
له ^(٢) .

وليقدم على ذلك ماروى عن أبى قُدَيْك عن بعض من أدركه قال :
بلغنا أن من وقف عند قبر النبی ﷺ فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] صلى الله
عليك يا رسول الله يا محمد - يقولها سبعين مرة - ناداه ملك صلى
عليك يا فلان لم تسقط لك اليوم حاجة ، ثم يجدد التوبة ويكثر من
الاستغفار والتضرع إلى الله تعالى ، والاستشفاع بنبيه ﷺ فى جعلها
توبة نصوحاً ، ثم يقول : يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ وَلَوْ
أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [النساء : ٦٤] إلى آخر ما تقدم ، ثم يقول : اللهم
هذا حبيبك ، وأنا عبدك ، والشيطان عدوك ، فإن غفرت لى سُرَّ
حبيبك ، وفاز عبدك ، وغضب عدوك ، وإن لم تغفر لى غضب حبيبك ،
ورضى عدوك ، وهلك عبدك ، اللهم وأنت أكرم من أن تُغضب حبيبك
وترضى عدوك وتهلك عبدك ، اللهم إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد
أعتقوا على قبره ، وإن هذا سيد العالمين والمرسلين فاعتقنى على قبره .
قال فى الخلاصة : ويجلس الزائر إن شق عليه طول القيام ، فيكثر

(١) أى فغلبتنى وأخذتني سنة من النوم .

(٢) ذكر هذه القصة كل من ابن كثير فى البداية والنهاية ، وفى تفسيره للآية المذكورة ،
والقرطبى فى تفسيره للآية (٢٦٥/٥) ، والنووى فى الإيضاح فى الباب السادس (٤٩٨) ، وابن
قدامة فى المغنى (٥٥٦/٣) ، وغيرهم . ومع كل هذا فهى قصة أو حكاية ، وليست مصدراً معتمداً
من مصادر الدين .

من الصلاة والتسليم ويتلوا ما تيسر ، ويقصد الآي والسور الجامعة لصفات الإيمان ومعاني التوحيد .

وعن علي عليه السلام ^(١) قال : قَدِمَ عَلَيْنَا أَعْرَابِي بَعْدَمَا دَفَنَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى قَبْرِهِ ، وَحَثَى مِنْ تَرَابِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قُلْتَ فَسَمِعْنَا قَوْلَكَ ، وَوَعَيْتَ عَنِ اللَّهِ مَا وَعَيْنَا عَنْكَ ، وَكَانَ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [النساء : ٦٤] آيَةً . وَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَجِئْتُكَ تَسْتَغْفِرُ لِي ، فَنُودِيَ مِنَ الْقَبْرِ الْمُطَهَّرِ الشَّرِيفِ قَدْ غُفِرَ لَكَ .

تنبيه .. يُسْتَدَلُّ مِنَ الْآيَةِ وَالْأَحَادِيثِ عَلَى مَشْرُوعِيَةِ السَّفَرِ لِلزِّيَارَةِ وَشَدِّ الرِّحَالِ لَشُمُولِهِ الْمَجْئِ مِنْ قَرَبٍ وَمِنْ بَعْدٍ ، وَلِعُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ «مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجِبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي» ^(٢) وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الزِّيَارَةَ قُرْبَةٌ فَالسَّفَرُ إِلَيْهَا كَذَلِكَ وَقَدْ ثَبَتَ خُرُوجُهُ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ لَزِيَارَةِ الشَّهَدَاءِ ، وَقَدْ أَطْبَقَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ وَأَجْمَعُوا عَلَيْهِ .

وقال عياض : «زِيَارَةُ قَبْرِهِ ﷺ سُنَّةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ» ^(٣) مُجْمَعٌ عَلَيْهَا وَفَضِيلَةٌ مَرْغَبٌ فِيهَا ، وَأَوْضَحَ السَّبْكَى رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَمْرَ الْإِجْمَاعِ عَلَى الزِّيَارَةِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَسَرَدَ كَلَامَ الْأُئِمَّةِ فِي ذَلِكَ .

وفى الصحيحين الأمر بزيارة القبور ، وقبره ﷺ سيد القبور ، وكان ﷺ يزور أهل البقيع والشهداء ، فقبره ﷺ أولى لما له من الحق ووجوب التعظيم ، والتماس الرحمة بصلاتنا وسلامنا عند قبره بخضرة الملائكة الحافين به . وفيه التبرك بذلك وتأدية الحق وتذكر الآخرة .

وإجماع العلماء على زيارة القبور للرجال ، واختلفوا في النساء ، وقبره ﷺ مستثنى من الخلاف بالنسبة للنساء ، كما أشار السبكي

(١) الخلاصة ، ووفاء الوفا .

(٢) سبق تخريجه وبيان درجته .

(٣) انظر الشفا للقاضي عياض باب زيارة قبره صلى الله عليه وسلم .

وغيره .

فإن قلت : فما الجواب فى حديث **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»** (١) يعنى المسجد الحرام ، ومسجد النبى ﷺ ومسجد الأقصى؟
فالجواب : أى لا تشد الرحال إلى مسجد لفضيلة لما فى رواية لأحمد عن أبى سعيد الخدرى رَفَعَهُ : **«لا ينبغى للمطى أن تشد رحالها إلى المسجد تبغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى»** (٢) .

وأجمعوا على شد الرحال لعرفة والحج ، وكذا الجهاد ، والهجرة من دار الكفر ، وللتجارة ومصالح المعاش .

والجواب عن حديث الحسن بن الحسن : رأى قوماً عند القبر فنهاهم وقال : **«إن النبى ﷺ قال : «لا تتخذوا قبرى عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا علىّ حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم»** (٣) .

قال الحافظ المنذرى : يحتمل أن يكون الحديث حث على كثرة الزيارة وأن لا يهمل حتى لا يزار إلا فى بعض الأوقات كالعيد ، وهو يؤيد قوله : **«ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً»** (٤) أى لا تتركوا الصلاة فيها .

وقال السبكى : ويحتمل أن يكون المراد ولا تتخذوا له وقتاً مخصوصاً لا يكون الزيارة إلا فيه . أو لا تتخذوا كالعيد فى العكوف وإظهار الزينة والاجتماع وغيره مما يعمل فى الأعياد ، بل لا يؤتى للزيارة والصلاة والسلام عليه والدعاء والتضرع عنده ﷺ ، والتوسل والتشفع به ﷺ ، ثم ينصرف عنه . وقالت : الحنفية - رضى الله عنهم - زيارته - ﷺ - من أفضل القربات المندوبات والمستحبات ، بل تَقَرُّبٌ من درجة الواجبات .

(١) سبق تخريجه وبيان أنه حديث صحيح .

(٢) سبق تخريجه وبيان أنه حديث صحيح .

(٣) صحيح . وقد سبق تخريجه .

(٤) صحيح . أخرجه مسلم (٧٨٠) ، والترمذى (٢٨٧٧) ، والنسائى (٩٦٥) .

فصل الترغيب في توسل الزائر به ﷺ إلى ربه واستقباله في سلامه ودعائه وآداب الزيارة والمجاورة

فالتوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبركاته من سنن المرسلين والسلف الصالحين^(١) .

روى الحاكم وصححه : «قال آدم عليه السلام : يارب أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم لما غفرت لي ؟ فقال : يا آدم وكيف عرفت محمداً صلى الله عليه وسلم ولم أخلقه ؟ قال : يارب لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت في من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله تعالى : صدقت يا آدم ، فإنه أحب الخلق

(١) ثار جدل عنيف بين العلماء قديماً وحديثاً حول جواز ومنع التوسل برسول الله ﷺ ، وما زالت المعركة محتدمة إلى يوم الناس هذا . أما المجيزون فقد احتجوا بأحاديث ضعيفة وأهية أو بأحاديث صحيحة لاتدل على مرادهم ، وأما المانعون فأدلتهم قوة يؤيدها العقل والنقل ، ولكنهم اتفقوا على أن التوسل المشروع هو :

١- التوسل إلى الله باسم من أسمائه الحسنی أو صفة من صفاته العليا كأن يقول : اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم اللطيف الخبير أن تعافيني . أو يقول : أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

٢- التوسل إلى الله بالعمل الصالح الذي يقوم به المرء ، كأن يقول : اللهم إني أسألك بحبي محمد وإيماني به أن تفرج عني . وهو توسل جيد جميل . والدليل عليه قصة أصحاب الغار الذين توسلوا إلى الله بصالح عملهم ففرج الله عنهم .

٣- التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح من أبناء هذه الأمة . وذلك كأن يقع المسلم في ضيق شديد أو تحل به كارثة ، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى والفضل والعلم ، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج عنه كربته ويزيل عنه همه . فهذا النوع من التوسل المشروع دلت عليه الشريعة الغراء ، وقد وردت أمثلة منه في السنة الصحيحة كحديث استسقاء الصحابة بالعباس بن عبد المطلب ، واستشفاع معاوية بن أبي سفيان يزيد بن الأسود الجرشى وقوله له : يا يزيد ارفع يديك إلى الله فرفع يديه ، ورفع الناس أيديهم ، فنزل المطر أخرجه ابن عساكر بسند صحيح .

فهذه الأنواع الثلاثة هي التوسل المشروع المتفق عليه بين السلف الصالح ، وما عدا هذه الأنواع فمختلف فيها . ولكل وجهة هو موليها .

إلى ، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ﷺ ما خلقتك ، (١) .
 عن عثمان بن حنيف أن النبي ﷺ علم رجلاً ضريراً أن يتوضأ
 ويدعوا بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ
 نبي الرحمة يا محمد : إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي
 اللهم شفعه في » (٢) فدعا فقام وقد أبصر ببركته ﷺ . انتهى النقل عن
 الباب الثاني في الخلاصة (٣) .



(١) موضوع : أخرجه الحاكم في المستدرک [٦١٥/٢] من طريق أبي الحارث عبد الله بن مسلم عن إسماعيل بن مسلمة عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر ، وقال : صحيح الإسناد ، فتعقبه الذهبي بقوله : قلت : بل موضوع وعبد الرحمن واه ، وعبد الله بن أسلم الفهرى لا أدري من ذا ، وأخرجه الطبرانی في المعجم الصغير [ص ٢٠٧] ، وتحدث في بطلان هذا الحديث ابن حجر العسقلانی الحافظ والشيخ ابن تيمية ، والحافظ ابن عبد الهادي ، وغيرهم من كبار الحفاظ .

(٢) صحيح . أخرجه أحمد في المسند [١٣٨/٤] ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في صلاة الحاجة حديث [١٣٨٥] ، والترمذی في كتاب الدعاء حديث [٣٥٧٨] وقال : هذا حديث صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٣) انظر الخلاصة [ص ١٠٧] .

فصل : فى التوسل به فى قضاء الأوطار

والحاجات ونيل الزلفى والدرجات وهو ﷺ فى البرزخ

قال فى تحفة الزوار إلى قبر النبى المختار : روى عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فى حاجة له فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته ، فلقى ابن حنيف فشكى إليه فعلمه الدعاء السابق ، والتوسل به ﷺ ، فدعا مع الوضوء وقال : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة . يا رسول الله ﷺ ! إني أتوجه بك إلى ربك لتقضى حاجتي» (١) وذكر حاجته ثم أتى باب عثمان فأدخله الباب فى الحين ، فأجلسه عثمان رضي الله عنه على الطنفسة . وقال : ما حاجتك ؟ فذكر حاجته ، فقضاها ثم قال : ما ذكرت حاجتك ، وقد دعا ﷺ لفاطمة بنت أسد أم سيدنا على رضي الله عنه وعنها فقال : «اللهم بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى ٠٠٠» (٢) الحديث ٠٠ فدلّ توسلّه ﷺ بالأنبياء قبله أن التوسل به ﷺ تكون بطريق أولى لأنه ﷺ سيد المرسلين وأفضل الخلق أجمعين .

وروى عن مالك والدارقطنى : أصابَ الناس قحط فى زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فاتاه رسول الله ﷺ فى المنام فقال له : «أنت عمر فأقرئه السلام ، وأخبره أنهم يُسْقَوْنَ وقل له : عليك الكيسَ الكيس ، فأخبره ، فبكى عمر رضي الله عنه عنه ثم قال : يارب ما آلو إلا ما عجزت عنه» (٣) . أخرج به ابن أبى شيبه والرئى للرؤيا بلال بن

(١) سبق تخريجه وبيان حاله .

(٢) ضعيف الإسناد . ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [٦٥٧/٩] وقال : رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه ابن صلاح ، وفقه الحاكم وابن حبان ، وفيه ضعف ، وفيه رجال رجال الصحيح . لكن الدارقطنى وابن عدى وابن يونس قالوا عن روح بن صلاح هذا : إنه ضعيف فى الحديث ، ورويت عنه مناكير .

(٣) كذا فى الخلاصة ووفاء الوفا .

الحارث المزنى الصحابى رضي الله عنه .

وروى أبو الجوزاء قال (١) : «قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكواً إلى عائشة رضي الله عنها فقالت : انظروا قبر النبی ﷺ فاجعلوه فى كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف . ففعلوا ، فمُطِرُوا حتى نبت العشب وسمنت الإبلُ حتى تفتقت من الشحم فسُمي عام الفتق .

قال الزين المراغى (٢) : فعلم أن فتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة حتى الآن يفتحون الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة المطهرة ويجتمعون هناك ، فيسقون .



(١) كذا فى الخلاصة ووفاء الوفا .

(٢) نقلها عن الخلاصة ووفاء الوفا .

ذكر شئ مما اتفق الجماعة من علماء السلف من أئمة الحديث والصوفية والعلماء بالله المحققين من كرامته ومعجزاته

لأن معجزاته (١) ﷺ باقية إلى يوم الدين ، فإنه حىّ فى قبره ﷺ دائم الترقى فى الدرجات عليه وعلى آله وأصحابه دائم الصلوات والتسليمات بدوام الله رب البريات . (٢)

روى عم محمد بن المنكدر عن والده أن رجلاً أودعه ثمانين ديناراً وخرج الرجل يريد الجهاد وقال له : إن احتجت إليها فأنفقها إلى أن أتى إن شاء الله تعالى .

قال : وخرج الرجل ، وأصاب أهل المدينة جهد فأخرجها وقسمها فجاء صاحب المال من سفره فطلب مال ، فقال له : عُذْ إِلَى غَدَاً

قال : وبات يلوذُ بقبر النبي ﷺ مرةً ، وبمنبره مرةً حتى كاد يُصبحُ فإذا شخص فى السواد يقول به : دُونَكها يا محمد قال : فمد يده فإذا صُرَّت فيها ثمانون ديناراً . قال : وَغَدَاً إِلَيْه الرجل فدفعها إليه ، وحمد الله تعالى على ذلك وأثنى عليه . (٣)

رُوى عن أبى القاسم عُبَيْدَ الله بن منصور المقرئ قال : كان أبى

(١) المعجزة هى الشئ الخارق للعادة الذى يظهره الله على يد مدَّع النبوة تصديقاً له فى دعواه ، تبعاً للأشياء التى تفوق فيها أقوامهم ، كإحياء عيسى للموتى فى زمن تقدم فيه الطب ، وكعصا موسى فى مواجهة السحرة وهكذا نبينا محمد ﷺ كانت معجزته القرآن فى عصر البلاغة والبيان لدى العرب وسيظل هكذا إلى يوم الدين . أما الكرامة : فهى الشئ الخارق للعادة الذى يظهره الله على يد عبد من عباده المقربين الصالحين .

(٢) كل هذه الحكايات التى سيسردها المصنف منقولة بنصها من وفاء الوفا للسهودى ، وإن وجد خلاف أو نقص فسوف نعلق عليه فى مواضعه .

(٣) ذكر هذه القصة الإمام السهودى فى كتابه وفاء الوفا [٤/١٣٨٠] فى نبذ مما وقع لمن استغاث بالنبي ﷺ ، وانظر شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق للنبهانى ، وقد نقل السهودى هذه الحكاية وغيرها من كتاب «مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الأنام» محمد بن موسى النعمان .

يقترض منى طول الأسبوع ، فيتحصل عليه المائة والأكثر ، فيحلف بالله إنه يوم السبت يقضي ففعل ذلك مرّات ، فسأله : من أين لك ؟ . فبكى وقال :

يا بنى اجمع ختماتي وأختمها ليلة الجمعة ، واجعل ثوابها لرسول الله ﷺ وأقول : يا رسول الله دّينى ، فيجئنى من حيث لا أحتسب يوم السبت ما أقضى به دينى (١) .

وقال أبو يوسف المجاور بحرم النبى ﷺ : ركبى دين ، فقصدت الخروج من المدينة ، ثم جئت إلى النبى ﷺ ، فاستغثت به فى وفاء دّينى ، فرأيت النبى ﷺ فى النوم ، فأشار علىّ بالجلوس ، ثم قيّض الله لى من قضى عنى دينى ببركته ﷺ (٢) .

وروى عن الإمام العالم أبى بكر المقرئ رحمه الله أنه قال : كنت أنا والطبرانى وأبو الشيخ فى حرم النبى ﷺ ، وكنا على حالة وأثر الجوع فىنا ، وواصلنا ذلك اليوم ، فلما كان وقتُ العشاء حضرتُ عند قبر النبى ﷺ فقلت : يا رسول الله ! الجوع . وانصرف . فقال لى أبو القاسم : اجلس . فإما أن يكون الرزقُ أو الموتُ .

قال أبو بكر : فتمتُ أنا وأبو الشيخ ، والطبرانى جالس (ينظر) (٣) فى شئ فحضر فى الباب سيد علوى فدقّ ، ففتحنا له ، فإذا معه غلامان مع كل واحد منهم زنبيل (٤) فيه شيء كثير ، وجلسنا ، وظننا أن الباقي يأخذهُ الحاملُ الذى جاء به ، فولّى وتركه عندنا ، فلما فرغنا من الطعام قال العلوى : يا قوم ! أشكوكم إلى رسول الله ﷺ ؟ فإنى رأيتُ

(١) انظر السهوى فى وفاء الوفا فى نبد ما وقع لمن استغاث بالنبى ﷺ [١٣٨٠/٤] .

(٢) السابق نفس الباب والصفحة . وانظر شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق لإسماعيل النبهانى .

(٣) ساقطه من الأصل والزيادة من وفاء الوفا . (٤) زنبيل : إناء يوضع فيه الطعام وغيره .

رسول الله ﷺ في المنام فأمرني أن أحمل إليكم بشئ^(١) . قال بعضهم : نعم . وحكى عن ابن الجلاب^(٢) أنه قال : دخلت مدينة النبي ﷺ وفي^(٣) فاقة ، فتقدمت إلى القبر الشريف فقلت : ضيفك يا رسول الله ، ففوت^(٤) فرأيت النبي ﷺ ، فأعطاني رغيفا ، فأكلت نصفه ، وانتبهت ويدي النصف الآخر^(٥) .

وقال أبو الخير الأقطع : دخلت مدينة النبي ﷺ وأنا بقاقة فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً - يعني ما أكل شيئاً - ، فتقدمت إلى قبره ﷺ وسلمت عليه ﷺ وعلى أبي بكر وعلى عمر رضي الله عنهما ، فرأيت في المنام النبي ﷺ ، وأبو بكر عن يمينه ، وعمر عن شماله ، وعلى بن أبي طالب بين يديه ﷺ ، فحركني على وقال : قم . قد جاء رسول الله ﷺ . فقمتم إليه ، فدفع إلى رغيفا ، فأكلت نصفه ، وانتبهت فإذا في يدي نصف رغيف واستمر معي .

وحكى أبو عبد الله بن أبي زرعة الصوفى قال : سافرت (مع أبي)^(٦) ومع عبد الله بن عنيّف^(٧) إلى مكة ، فأصابنا^(٨) فاقة شديدة ، فدخلنا مدينة النبي ﷺ ، وبتنا طاوين ، وكنت دون البلوغ ، فكنت أجئ (إلى)^(٩) أبي غير دُفعة وأقول أنا جائع ، فأتى أبي إلى حضرة الرسول ﷺ وقال : يا رسول الله ﷺ ! أنا ضيفك الليلة ، وجلس على المراقبة ، فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وهو يبكي ساعة ويضحك ساعة ، فسئل عن ذلك فقال : رأيت رسول الله ﷺ فوضع في يدي دراهم ، وفتح يده فإذا فيها دراهم ،

(١) في وفاء الوفا [أن أحمل بشئ إليكم] انظره [١٣٨٠/٤] .

(٢) في الأصل ابن الجلاب والتصويب من وفاء الوفا . (٣) في وفاء الوفا [وبى] بدل وفي .

(٤) محرفة في الأصل والتصويب من وفاء الوفا .

(٥) انظر وفاء الوفا نقلاً عن مصباح الظلام [١٣٨١/٤] .

(٦) زيادة من الوفا [١٣٨١/٤] حتى يستقيم النص ، وهي ساقطة من المخطوط .

(٧) في وفاء الوفا [ابن خفيف] . (٨) في وفاء الوفا [فأصابتنا] .

(٩) زيادة من الوفا وهي ساقطة من الأصل .

قال : وبارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز وكنا تنفقُ منها إلى أن وصلنا .

وعن الشريف أبي محمد عبد السلام القابسي أنه قال : أقمتُ بمدينة النبي ﷺ ثلاثة أيام ، ولم أستطعم فيها طعاماً - يعني لم يأكل فيها شيئاً - فأتيتُ عند قبره (١) ﷺ فركعتُ ركعتين ، ثم قلتُ : يا جدِّي ضعفت قوَّتِي (٢) ، وأتمنى عليك ثرْدَ (٣) ، ثم غلبتني عَيْنَاي ، فَنمت ، وإذا برجل يوقظني ، فانتبهت ، فرأيتُ معه قدحاً وفيه ثريد وسمن ولحم وأفاويّة ، فقال لي : كُلْ . فقلتُ (له) (٤) : من أين هذا ؟ فقال : إن صفاري لهم ثلاثة أيام يتمنّونَ هذا الطعام ، فلما كانَ هذا اليوم فتح الله عليّ (٥) بشئ عملت به هذا ، ثم نمتُ ، فرأيتُ رسول الله ﷺ في النوم وهو يقول : إن أحد إخوانك تمنى علىّ هذا الطعام فأطعمه منه . فهو هذا .

وحكى الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي الأمان أنه قال : كنتُ بمدينة النبي ﷺ خلف محراب فاطمة رضى الله عنها ، وكان رجل شريف اسمه مكثر القاسمي نائماً خلف المحراب المذكور ، فأتيتُهُ (٦) فجاء إلى النبي ﷺ ، ثم سلم عليه وعاد إلينا (٧) مبتسماً ، فقال له الخادم شمس الدين صواب خادم الضريح النبوي (٨) : فيم تبسّمت ؟ فقال : كانت بي فاقة فخرجتُ من بيتي فأتيتُ فاطمة رضى الله عنها واستغثتُ بالنبي ﷺ وقلت : إنني جائع ، فَنمتُ فرأيتُ النبي ﷺ وقد أعطاني قدح لبن

(١) في الوفا [منبره] بدل [قبره] .

(٢) في الوفا [يا جدِّي جعت] بدل [ضعفت قوَّتِي] [١٣٨٢/٤] .

(٣) الثرْدَ : الخبز المعجون باللحم ، وهو أحب الطعام عند العرب ومنه الحديث ، وفضل عائشة على سائر الطعام كفضل الثريد على سائر الطعام .. ومنه قول الشاعر
إذا ما ألحيز تأدّمه بلحيم فذاك أمانة الله الثريد

(٤) ساقطة من الأصل والزيادة من وفاء الوفا [١٣٨١/٤] .

(٥) في وفاء الوفا [فتح الله لي] بدل عليّ . (٦) انظر المصدر السابق [١٣٨٢/٤] ، [١٣٨٣] .

(٧) في وفاء الوفا [فانتبه] . (٨) في وفاء الوفا [فعاد علينا] .

فشربت حتى رويت ، وهذا هو فَبَصَقَ اللبن من فية في كفى ،
وشاهدته^(١) من فيه .

وحكى عن الشيخ الصالح عبد القادر البلسي^(٢) قال : كنت أمشى
على قاعدة الفقراء ، فدخلتُ إلى مدينة النبي ﷺ ، وسلمتُ على النبي
ﷺ ، وشكوتُ له ضررى من الجوع ، واشتهيتُ عليه طعاماً من البُر^(٣)
واللحم والتمر ، وتقدمتُ بعد الزيارة إلى الروضة ، فصليتُ فيها وبتُ
فيها ، فإذا شخص يوقظنى من النوم ، فانتبهتُ ومضيتُ معه ، وكان
شاباً حسناً خلقاً وخلقاً ، فقدم إلى حفنة ثريد وعليها شاة وأطباق من
أنواع التمر وخبزاً كثيراً من جملته أقراص سويق ، فأكلتُ وملاً إلى
جرابى لحمأ وخبزاً وتمراً ، وقال : كنت نائماً بعد صلاة الضحى ،
فرأيتُ النبي ﷺ فى المنام ، وأمرنى أن أفعل ذلك ، ودلنى عليك ،
وعرّفنى مكانك بالروضة وقالك أنك اشتهيت هذا وأردته فهذا هو
فخذة.

وقال أبو القاسم الصقلی^(٤) : يُحكى عن رجل من أهل التصوف^(٥)
وهو ثقة أنه قال : كنتُ بالمدينة الشريفة ، ولم يكن لى شئ ، فضعفتُ
قوتى ، فأتيتُ إلى الحجرة الشريفة وقلت : يا سيد الأولين والآخرين أنا
رجل من أهل مصر ، ولى خمسة أشهر فى جوارك وقد ضعفت قوتى ،
وجئتُ أسألك وأسأل الله^(٦) أن يُسخر لى من يُشبعنى أو يخرجنى إلى
بلدى ، ثم دعوتُ بدعوات عند الحجرة ، وغدوتُ وجلستُ عند المنبر
الشريف ، فإذا رجل دخل الحجرة ، فوقف يتكلم بكلام ويقول : يا جدّاه
يا جدّاه ، ثم جاء (إلى)^(٧) وقبض على يديّ وقال : قم ، فقمتم ، وقال

(١) فى وفاء الوفا [وشاهدناه] . (٢) ترجمته فى طبقات الصوفية .
(٣) البر : هو حب القمح . (٤) أحد رجال التصوف ، كان من المجاورين مات بالمدينة .
(٥) فى وفاء الوفا [حدثنى رجل ثقة نسى اسمه] وليس فيه أنه من أهل التصوف ولا غيره
[١٣٨٤/٤] .

(٦) فى وفاء الوفا [أسأل الله وأسألك] . (٧) زيادة من وفاء الوفا [١٣٨٤/٤] .

اصحبني ، فصحبته ، فخرج بي من باب جبريل ، وغدا بي إلى البقيع ،
وخرج منه ، وإذا^(١) بخيمة مضرورية ، وجارية وعبد ، فقال لهما :

قوما فاصنعا لضيفكما عيشة ، فقام العبد وجمع الحطب ، وأوقد
النار ، وقامت الجارية وطحنت ، وصغت ملة وشاغلني الحديث حتى أتت
الجارية بالملة ، فقسمها نصفين ، ثم أتت بمكة^(٢) سمن ، فصبت على
الملة ، وأتت بتمر صيحاني فصنعها جيداً ، وقال لى :

كُلْ ، فأكلت . ثم قال لى : كُلْ . فَقُلْتُ : يا سيدي لى أشهر لم أكل
فيها دسماً ولا حنطة ، ولا أقدر (أريد)^(٣) شيئاً ، فأخذ النصف الثاني
من الملة وضمت ما فضل منى إليه ، وأتى بمزود وصاعين من تمر فوضعه
فى المزود وقال : ما اسمك ؟ فقلت : فلان . فقال : بالله لا تعد تشكو
إلى رسول الله - ﷺ جدى ، فإنه يعسر عليه ذلك ، ومن الساعة متى
جعت يأتى إليك رزقك حتى يسبب الله لك من يخرجك إلى بلادك ،
وقال للغلام : خذه ، وأوصله إلى حجرة جدى فغدوت مع الغلام إلى
البقيع ، فقلت له : ارجع قد وصلت ، فقال الغلام لى : يا سيدي
(والله)^(٤) الأحد ما أقدر أفرقك حتى أوصلك إلى الحجرة ، لئلا يعلم
النبي - ﷺ سيدي بذلك ، فأوصلنى إلى الحجرة ، فودعنى ، ورجع ،
فمكنت أكل من الذى أعطانى أربعة أيام ثم جعت بعد ذلك ، فإذا بالغلام
قد أتانى بطعام ، ثم لم أزل كذلك ، كلما جعت ، أتانى بطعام . حتى
سبب الله لى جماعة خرجت معهم إلى البقيع ثم إلى بلدى^(٥) قال أبو
سليمان فى مصنفه فى الزيارة بعد روايته ذلك كله^(٦) إن الذى يأمره
النبي - ﷺ - بذلك - إنما يكون من ذريته الشريفة ، لا سيما إذا كان
المُتَسَاوِلُ طعاماً ، لأن (من)^(٧) تمام أخلاق الكرام إذا نزل بهم ضيف .

(١) فى الوفا [فإذا] . (٢) مكة : رق صغير للسمن . (٣) فى الأصل [أريد] والتصويب من الوفا

(٤) زيادة وهى ساقطة من الأصل . (٥) ذكرها السهوى فى وفاء الوفا بتصلها [١٣٨٤/٤] .

(٦) وذلك نقلاً عن السهوى فى وفاء الوفا [١٣٨٥/٤] .

(٧) زيادة من وفاء الوفا وهى ساقطة من الأصل .

تلقوا الضيف بأنفسهم ، ثم بمن يكون منهم ، فاقتضى خلقه الكريم أن إعطاء سائل - القرى يكون منه أو من ذريته الكريمة - ﷺ ..

وحكى ابن عساكر فى تاريخه البغدادى ، أنه رأى رجلاً بمدينة النبى ﷺ أذن الصبح عند قبر النبى - ﷺ فقال فيه : الصلاة خير من النوم ، فجاءه شخص من خدام المسجد إذ ذاك ، فلطمه حين سمع تأذينه ، فبكى الرجل ، وقال : يا رسول الله فى حضرتك يفعل بى هذا الفعل ، ففلج^(١) الخادم وحمل إلى بيته ، فمكث ثلاثة أيام ومات والحكايات فى هذا الباب كثيرة جداً وفى الإشارات ما يغنى عن العبارات ، والقطرة تدل على البحر المحيط المستمد من الله الجواد الواسع المحيط ..

وقال السيد الجليل السمهودى مؤلف الخلاصة ، ووفاء الوفا رحمه الله^(٢) وقع لى شئ من الأذى لمّا كنت فى الخلوة التى فى آخر الحرم الشريف النبوى ، فأنشدت مرة بين يديه قصيدة أولها :

يُضَامُ بِحَبِيبِكُمْ ^(٣) يَاعَرِبَ رَامَهُ	نَزِيلَ أَنْتُمْ صِرْتُمْ مَرَامَهُ
وَيَعْدُوا مِنْ أَعَادِيهِ عَلَيْهِ	عُدَاةَ صَارَ قَصْدُهُمْ اهْتِضَامَهُ
وَأَنْتُمْ (عَزَ) مِنْ يُنْمَى إِلَيْكُمْ	وَمِنْ أَبُو أَبِكُمْ حَازَ اخْتِرَامَهُ ^(٤)
وَحُبُّكُمْ تَحْكُمُ فِى حَشَاهُ	وَحُبُّكُمْ كَذَا اضْحَى غَرَامَهُ
وَفِى حَرَمٍ لِسَاحَتِكُمْ مُقِيمٌ	فَلَا يَنْغِي الْعِرَاقَ وَلَا شَامَهُ
وَلَيْسَ لَهُ مَلَاذُ أَوْ نَصِيرٌ	يُجَرِّدُ دُونَ نَصْرَتِهِ حُسَامَهُ
سَوَاكُمْ آلُ غَالِبٍ يَا مُبَوَالِي	حِمَاةَ الْجَارِ إِنْ لَحِقَتْهُ ضَامَهُ ^(٥)
لَيْسَتْ الْحَرْبُ إِنْ مُدَّتْ حِرَابٌ	غِيَاثَ الْمُخْلِ إِنْ يَخْلِبُ غَمَامَهُ
بِحَبَابِكُمْ وَذَاكَ أَجَلُ حَقٍّ	لَهُ أَنْتَطَرُوا فَأَنْتُمْ مِنْ تِهَامِهِ

(١) الفالج : مرض من أمراض الأعصاب يؤدي إلى الشلل فى بعض أجزاء الجسم .

(٢) انظر الخلاصة ووفاء الوفا [١٣٨٧/٤] . (٣) فى الأصل [فى حيكم] .

(٤) فى الأصل [عزبه] والتصويب من وفاء الوفا .

(٥) فى الأصل [إن لاحت أضامه] والتصويب من وفاء الوفا .

وهى تزيد على ستين بيتاً منها ..

جواركمُ عدتُ (فيه) الأعداى عليه إذ راوا منه الإقامه (١)
بَحَضَرْتِكُمْ فَلَا يَبْغِي انْتِقَالاً ولكن قد اطلال بها التزامه
وكأدوه بما لم يَخَفْ عنكم ليقصوا عن عراضكم خيامه (٢)
فانجز لي رسول الله نصراً لتهنأ لى بذات الحرم الإقامه (٣)
فقد املتُ جاهك يا ملاذى لذا ولكل هول فى القيامة (٤)

قال : فرأيت بعد ذلك مناماً يُؤذَنُ بالنَّصْرِ العظيم ، ثم رأيت النصر
فى اليَقَظَةِ ولله الحمد والمنَّة ، وكُفِّتُ شرُّ الأعداء ، وبقيت النفس
مطمئنة (٥) .

قلت : وأنا الفقير إلى الله - تعالى - فى كُلِّ حال . إسماعيل بن
عبدالله النقشبندى (٦) - عفى عنه - مؤلفُ هذا الكتاب المبارك النافع
- إن شاء الله تعالى - لى ولكل من نسخه أو قرأه أو نظَرَ فِيهِ ، إنه
حصلت لى منه - ﷺ - عنايات وكرامات ومعجزات وتفضلات عليه
وعلى آله وأصحابه وأهل بيته وورثته أفضل الصلوات ، وأزكى
التسليمات .

منها فى أوَّل مُهاجرتى له ﷺ - من ديار الرُّوم من إسلامبول ،
خرجت على التوكُّل من غير تعلق بشئ سوى - حُبِّ الله ، وحُبِّ حبيبه -
ﷺ - وحُبِّ أوليائه ، والتَّوسُّلُ بِجَاهِهِ العظيم - ﷺ - فتهيات الأمور ،
وتيسَّرتْ على أحسن الأحوال ، وكفى الله - تعالى شرَّ الظُّلْمَةِ والحَسَدَةِ ،
ووصلت فى أرغد عيش إليه - ﷺ ، ثم أنه حصل لى ببركةِ عنايته -
ﷺ - جميعُ مَطَالِبِي الدُّنْيَا والدُّنْيَا ، والآن أنا فى حضرته وساحته
مُقْتَبِسٌ من أنواره ، وَمُقْتَنِطٌ من أزهاره وأنواره ، وحصل لى منه - ﷺ -

(١) ساقطه من الأصل . (٢) فى الأصل [ليقوضوا] . (٣) زيادة وهى ساقطة من الأصل .

(٤) انظر الأبيات فى وفاء الوفا [١٣٨٦/٤ ، ١٣٨٧] . (٥) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٦) من هنا بدأ المصنف يعرف بنفسه ويبيض ما جرى له . والله أعلم بما فى صدور العالمين .

نَجَدَاتٍ وَنَظَرَاتٍ وَعَنَايَاتٍ فِي حَضْرَتِهِ ، وَكَفَّ شَرَّ الْأَعْدَاءِ الْحَسَدَةِ ،
 جَعَلَ اللَّهُ كَيْدَهُمْ فِي نَحْوِهِمْ - وَمِنْ كَرَامَاتِهِ وَمُعْجَزَاتِهِ - ﷺ - أَنِّي
 تَوَسَّلْتُ بِهِ - ﷺ - فِي دَفْعِ عِلَّةٍ عَجَزَ الْإِطْبَاءُ فِي دَوَائِهَا ، وَأَيْسَتْ مِمَّا
 سَوَى اللَّهِ - سَبْحَانَهُ - وَرَسُولُهُ - ﷺ - وَرَمَيْتُ مِنْ خَاطِرِي مَا سِوَاهُمَا ،
 فَحَصَلَ الشِّفَاءُ فِي الْحَيْنِ بِبِرْكَتِهِ - ﷺ - ..

وَكُنْتُ أَنْشِدُ أَيْضاً أَيْيَاتَ قَصِيدَةِ الشَّيْخِ «أَبِي الْحَسَنِ الْبَكْرِيِّ» الَّتِي
 أَوَّلُهَا :

مَا أَرْسَلَ الرَّحْمَنُ أَوْ يُرْسِلُ	مِنْ رَحْمَةٍ تَصْنَعْدُ أَوْ تَنْزِلُ
فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ أَوْ مُلْكِهِ	مِنْ كُلِّ مَا يَخْتَصُّ أَوْ يَشْمُلُ
إِلَّا وَطَهُ الْمَصْطَفَى عِبْدَهُ	نَبِيِّهِ مَخْتَارَهُ الْمُرْسَلُ
وَأَسْطَةَ فَيْهَهَا وَأَصْلُ لَهَا	يَعْلَمُ هَذَا كُلُّ مَنْ يَعْقِلُ (١)
فَلَنْدَبِهِ فِي كُلِّ مَا تَرْتَجِي	فَهُوَ شَفِيعٌ دَائِمًا يَقْبَلُ
وَعُنْدَهُ مِنْ كُلِّ (مَا) تَخْتَشِي	فَإِنَّهُ الْمَأْمَنُ وَالْمَعْقِلُ (٢)
وَحُطَّ أَحْمَالُ الرَّجَا عِنْدَهُ	فَإِنَّهُ الْمَرْجِعُ وَالْمَوْئِلُ
وَتَادَهُ إِنْ أَزْمَلَهُ أَنْشَبَتْ	أَظْفَارُهَا وَاسْتَحْكَمَ الْمُفْضِلُ
يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى رَبِّهِ	يَا خَيْرَ مَنْ فِيهِمْ بِهِ يُسْئَلُ
قَدْ مَسَّنِيَ الْكَرْبُ وَكَمْ مَرَّةً	فَرَجَّتْ كَرِيًّا بَعْضُهُ يُذْهِلُ
وَلَنْ تَرِنِّي أَعْجَزَ مَنْى فَمَا	لِشِدَّةِ أَقْوَى وَلَا أَحْمِلُ
فَبِالَّذِي خَصَّكَ بَيْنَ الْوَرَى	بِرُكْبَةٍ عَنْهَا الْعُلَى تَنْزِلُ (٣)
عَجَّلْ بِإِذْهَابِ الَّذِي أَشْتَكِي	وَأِنْ تَوَقَّضْتُ فَمَنْ أَسْأَلُ (٤)

-
- (١) فِي هَذَا الْبَيْتِ قَمَّةُ الْغُلُو ، وَهَذَا مَا نَرَفُضُهُ وَنَأْبَاهُ ، وَكَذَلِكَ فِي أَكْثَرِ أَيْيَاتِ الْقَصِيدَةِ وَلَيْسَ
 هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ الْبَكْرِيُّ . قَتْنَبِهِ .
 (٢) زِيَادَةٌ مِنْ شَوَاهِدِ الْحَقِّ فِي الْاسْتِغَاثَةِ بِسَيِّدِ الْخَلْقِ لِلنِّبْهَانِيِّ [ص ٣٨٩] .
 (٣) قَدَّمَ الْمُصَنِّفُ هُنَا هَذَا الْبَيْتَ وَأَخَّرَ الَّذِي قَبْلَهُ عَلَى مَا فِي كِتَابِ «شَوَاهِدِ الْحَقِّ» .
 (٤) أَسْأَلَ اللَّهَ فَهُوَ أَحَقُّ أَنْ يَسْأَلَ وَصَدَّقَ عِنْدَمَا قَالَ «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ» .

فَحِيلَتِي ضَاقَتْ وَصَبِرِي انْقَضَى وَلَسْتُ أَدْرِي مَا الَّذِي أَفْعَلُ^(١)
وَأَنْتَ بَابُ اللَّهِ أَيْ أَمْرٍ آتَاهُ مِنْ غَيْرِكَ لَا يَدْخُلُ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا صَافَحَتْ زَهْرَ الرَّوَابِي نَسَمَةً شَمَالِ
مَا فَاحَ عِطْرُ الْحَمَى وَطَابَ مِنْهُ النَّدُّ وَالْمَنْدَلُ^(٢)
وَالْأَلُّ وَالْأَصْحَابُ مَا غَرَّدَتْ سَاجِجَةً (أَمْلُوْهَا مُخْضَلٌ)^(٣)
وَكُنْتُ أَيْضًا أَتَوَسَّلُ بِهِ - ﷺ - وبأوليائه ، بقصائد المُحِبِّ العَاشِقِ
البليغ «البوصيري» من الهمزية والبُرْدَةِ ، مِمَّا يَنَاسِبُ المَقَامَ ، وَبِتَلَاوَةِ
القرآن العظيم المُنَزَّلَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ - ﷺ - صَاحِبِ الخُلُقِ العظيمِ ،
ومنها أَيْضاً .

أنه حصل بتقدير العليم الحكيم رَمَدٌ فِي الْعَيْنِ آلَ إِلَى الْفَشَاوَةِ -
عِيَاذًا بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ - مِنْ كُلِّ دَاءٍ - وَلَمْ يَنْفَعْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَدْوِيَةِ
الظَّاهِرَةِ ، فَتَوَسَّلْتُ بِهِ - ﷺ - فِي كَشْفِ هَذَا الدَّاءِ وَطَلَبْتُ مِنْهُ الدَّوَاءَ ،
وَكَثِيرًا مَا كُنْتُ أَصَلُّ عَلَىهِ - ﷺ - بِصَلَاةٍ . «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ طِبِّ الْقُلُوبِ وَدَوَائِهَا ، وَعَافِيَةِ الْأَبْدَانِ وَشِفَائِهَا ، وَنُورِ الْأَبْصَارِ
وَضِيَائِهَا وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ ، ثُمَّ بَعَثَهُ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ -
ﷺ - سَيِّدَ الشَّهَدَاءِ حَمْزَةً - ﷺ - وَنَفَعْنَا بِهِ - آمِينَ - فَقَصَدْتُهُ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - وَزِدْتُهُ بِالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ وَقَرَأْتُ عَنْدهُ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ
وَالْأَذْكَارِ ، وَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيَّ فِي الْوَقْتِ ، ثُمَّ تَوَسَّلْتُ بِهِ إِلَى سَيِّدِي رَسُولِ
اللَّهِ - ﷺ - وَبِهِ - ﷺ - إِلَى اللَّهِ - تَبَارَكَ - قَاضِي الْحَاجَاتِ وَمُجِيبِ
الدَّعَوَاتِ ، وَحَصَلَ عَلَيَّ مِنَ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَالْحَيَاءِ وَالْإِنْكَسَارِ ، مَا
أَوْجَبَ خُرُوجَ الدَّمْعِ بَيْنَ يَدَيْهِ - ﷺ - مِنَ الْأَبْصَارِ ، ثُمَّ أَنْشَرَحَ قَلْبِي
بِقَبُولِ الشَّفَاعَةِ بِحَرَمَةِ سَيِّدِنَا حَمْزَةً عَمَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ صَاحِبِ الشَّفَاعَةِ ،
فَنَزَلْتُ إِلَى الرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ وَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ ، وَخَرَجْتُ إِلَى الْمَوَاجِهةِ

(١) فِي الْأَصْلِ [ضَاعَتْ] وَالتَّصْوِيبُ مِنْ شَوَاهِدِ الْحَقِّ .

(٢) فِي شَوَاهِدِ الْحَقِّ : مُسَلِّمًا مَا فَاحَ نَشْرُ الصَّبَا ... فُضَاعَ مِنْهُ النَّدُّ وَالْمَنْدَلُ

(٣) غَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي الْأَصْلِ ، وَقَدْ وَصَلْنَا إِلَيْهَا مِنْ خِلَالِ وِفَاءِ الْوَفَا لِلْجَهْدِ .

الشريفة ، فإذا رَجُلٌ اسمه محمد يقول : جاء إليك هدية من البصرة .
كَحَلٍّ لَجَلَاءِ الْعَيْنِ ، وذهاب الرِّينِ . بحرمة سيد الكونين ورسول الثقلين
- ﷺ - ، وقال : أرسله إليك رَجُلٌ اسمه ناصر ، فعلمت أنه ببركته -
ﷺ - ، وأخذت من الأسماءِ الْفَالَ الْحَسَنَ ، لأنه - ﷺ - كان يُحِبُّ الْفَالَ
الحسنَ ، ويكره التَّطِيرَ ، فمن الْبَصْرَةِ البصرة ، واسم محمد ، أَنَّ الْمُبَشِّرَ
هو محمد - ﷺ - ، ومن اسم ناصر ، النُّصْرَةَ من سيدنا حمزة - رضى
الله عنه - ، ومن رسول الله - ﷺ - وإذا جعل نقطة النون من ناصر
تَحَتَّ ، يَصِيرُ بَاصِرٌ^(١) ، فَعَلِمْتُ أَنَّ النُّصْرَةَ حصلت منه - ﷺ - وَالْبَصْرَ
باصر ومحفوظ بالله - تعالى - القوى القادر ، فأخذت هذا الكحل
مستبشراً ، وَتَكَلَّحْتُ بِهِ فَحَصَلَ بِهِ الشِّفَاءُ ، فالحمد لله الذى بنعمته تَتِمُّ
الصَّالِحَاتُ وَالْحَمْدُ لَهُ - سبحانه وتعالى - أَنْ مَنْ عَلَيْنَا بِهِذَا النَّبِيُّ
الكَرِيمُ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ ، صَاحِبُ الْخُلُقِ وَالْخَلْقِ الْعَظِيمِ ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَأَحِبَّاهُ وَوَرَثَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ..

ومنها .. أَنْ بَعْضَ الْحَسَدَةِ^(٢) أَرَادُوا تَشْتِيتَ ذَهْنِي ، وَأَظْهَرُوا آثَارَ
حَسَدِهِمْ ، فَتَوَجَّهْتُ بِقَلْبِي إِلَيْهِ - ﷺ - فَجَعَلَ اللَّهُ - سبحانه - كَيْدَهُمْ
فِي نُحُورِهِمْ ، وَشَتَّتْ حَالَهُمْ ، وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ ، وَأَهْلَكَهُمْ ، وَوَقَعَ مِرَاراً ،
وَفِي كُلِّ ذَلِكَ بِبِرْكَتِهِ - ﷺ - يُطْفِئُ اللَّهُ نَارَهُمْ وَيَجْعَلُ كَيْدَهُمْ فِي
نُحُورِهِمْ ، وَيَنْصُرُنِي عَلَيْهِمْ ، مَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نَصْرَتُهُ إِنْ تَلَقَّه الْأَسَدُ
فِي أَجَامِهَا تَجِمُ^(٣) .. ، وَذَلِكَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ - سبحانه - وَبِبِرْكَةِ حَبِيبِهِ
محمد - ﷺ - لَا يَحُولُ أَحَدٌ وَلَا بِقُوَّتِهِ ، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ ، وَقَدْ طَلَبْتُ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ فِي أَوَّلِ هَجْرَتِي إِلَيْهِ - ﷺ - مُلَاقَاةَ
رِجَالِ اللَّهِ النَّاصِرِينَ لِدِينِ اللَّهِ . الْقَائِمِينَ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَالْعُلَمَاءِ الْفُحُولِ

(١) كل هذه العبارات فيها مبالغة وتكلف يرفضه أهل اللغة وغيرهم .

(٢) كل هذه الأمور يحكيها المصنف عن نفسه ، ومن عاداته في هذا المؤلف أنه بعد جمع من
الحكايات والرؤى المتأمية ينسب إلى نفسه بعضها . والله أعلم .

(٣) اقتباس من قصيدة للبوصيري .

الأخيار . وعباد الله الصالحين الأخيار الأبرار . فَمَنْ الله عَلَى بِمُلَاقَاتِهِمْ، والانتفاع بهم ويأنفاسهم ونَظَرَاتِهِمْ والقراءة عليهم والإجازة منهم من فحول علماء الحرمين الشريفين ، والوَارِدِينَ بالحرمين من سائر الأقطار لقضاء الأوطار ، ومن أعيانهم الشيخ العلامة «طاهر الكروى المدنى» والشيخ «محمد عقيلة المكى» والشيخ «محمد الدقاق المغربى» ، وَمَنْ فى صفة شيوخه شيخنا «على الحريشى المعمر» مؤلّف شرح الموطأ وشرح الهمزىة ، والشيخ «محمد يحيى العلانى النقشبندى» ، والشيخ «محمد حياة الندى المحدث» ، والشيخ «سليمان المغربى» ، والشيخ «عبد الوهاب الطنطاوى» ، وشيخه شيخنا «عبد المصرى» وجوهرة الجميع سيدى السيد «عمر البار» خليفة السيد القطب «عبد الله الحداد» والسيد «إبراهيم»^(١) من ذُرِّيَّةِ سيدى «عبد السلام بن مشيش» مؤلّف الصلاة المشيشية المشهورة .. التى أولّها ... «اللهم صلّ على مَنْ مِنْهُ انشَقَّتْ الأَسْرَارُ ، وانفلقت الأنوار ... الخ ، وهى صلاة مُجَرَّيَّةٌ لقضاء الحاجات»^(٢) ولجميع المُهْمَّاتِ ، وغير هؤلاء مِنْ أَقَامِهِمُ الله - تعالى - لإحياء العلم والدين ونشر سنن سيد المرسلين - ﷺ - وكل هؤلاء المذكورين دَرَجُوا إلى رحمة الله ورضوانه ، نَسَأُ الله - سبحانه - أن يجعل قبورهم من رياض الجنان بحرمة هَادِيْنَا ومرشدنا إلى الصراط المستقيم ، سيد ولد عدنان ، والآن نحن بحمد الله - سبحانه - تحت أنظاره وألطافه فى جواره عليه الصلاة والسلام - فى أرغد عيش ، وسكون القلب وزوال الهمّ والطَّيْشِ والأرنات والأرزاق تُسَاقُ إلينا ببركته - ﷺ - من سائر الآفات من حيث لانعلم ولا نحتسب وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، فنسأله - سبحانه - الحنّان المنّان ، أن يَمُنَّ علينا بِحُسْنِ الجوار لسيدنا محمد - سيّدُ الْمُصْطَفَيْنِ الأخيار ،

(١) كل هؤلاء الذين ذكرهم المؤلف من متأخري التصوفة ، ولذلك لم نستطع الوصول إلى ترجماتهم ، اللهم إلا عبد السلام بن مشيش المعروف عندهم بالأسمر ، وكذلك الحداد .
(٢) ذكرنا قبل ذلك أن مثل هذه الأمور لا تقضى الحاجات ولا غيرها ، لخالفها السنة الصحيحة .

اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً ، اللهم إني أسألكَ فَعَلَ الخيراتِ ، وتركَ المنكراتِ ، وحبَّ المساكينِ ، وإذا أرَدْتَ فِتْنَةً بِقَوْمٍ فَتَوَقَّنا غيرَ مفتونين ، اللهم أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا ، وَعَذَابِ الْآخِرَةِ ، اللهم أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ (١) ، اللهم ارْزُقْنِي طَيِّباً ، واستعملني صالحاً ، وَتَوَفَّنِي مُسْلِماً ، وَالْحَقَّنِي بالصالحين ، اللهم ما مننتَ به فَتَمِّمهُ ، وما أَنْعَمْتَ فلا تَسْلِبْهُ ، وما سَتَرْتَهُ فلا تَهْتِكْهُ ، وما عَلِمْتَهُ فَاغْفِرْهُ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَحِقُّ لَنَا معشر المجاورين لسيد المرسلين - ﷺ - أن ننشد قصيدة سيدي العارف بالله - تعالى - والدالِّ عليه شيخنا السيد الحبيب «عمر البار» أنشدَهَا ، وَأَنْشَأَهَا ، لما جاء زائراً سنة ١١٤٣ - رحمه الله - ونفعنا به

كُلُّ يَوْمٍ لَنَا بِطَيْبَةٍ عَرِيْدُ وَبِهَاجَةٍ وَعَيْشٍ رَغِيْدُ
فِي جِوَارِ الْحَبِيبِ خَيْرِ الْبَرَايَا هُوَ طَهْ وَأَحْمَدُ وَحَمِيْدُ
خَصُّهُ اللَّهُ بِمَزَايَا عِظَامٍ وَحَبَّاهُ فَضَائِلًا لَا تَبِيْدُ

وقد وقع للبوصيري - الإمام - «شرف الدين محمد البوصيري» :-
صاحب البردة - رحمه تعالى - كرامة منه - ﷺ - قال - رحمه الله (٢) :
سَبَبُ نَظْمِي لِلْبُرْدَةِ أَنَّهُ قَالَ : أَصَابَنِي خُلُطُ فَالَج ، عَجَزَ عَنْ عِلَاجِهِ كُلِّ مُعَالَجٍ ، إِذْ أَبْطَلَ نَفْسِي ، وَتَحَيَّرَ فِيهِ وَصْفِي ، فَلَمَّا أَيْسَتْ مِنْ نَفْسِي ، وَقَارِبَتْ حُلُولُ رَمَسِي ، تَذَكَّرْتُ فِي سَاعَةٍ سَعِيدَةٍ أَنْ أَضَعُ قَصِيدَةَ فِي مَدْحِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ، فَصَحَّ الْعَزْمُ وَالنِّيَّةُ ، فَشَرَعْتُ فِي امْتِدَاحِ الْمُصْطَفَى وَرَجَوْتُ بِهِ الْبُرَّةَ وَالشِّفَاءَ ، فَأَعَانَنِي رَبِّي وَيَسَّرَ عَلَيَّ طَلَبِي ، فَلَمَّا خَتَمْتُهَا ، رَأَيْتُ فِي مَنَامِي الْمُصْطَفَى التُّهَامِيَّ - ﷺ - ، وَقَدْ أَتَى إِلَى وَمَرَّ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ عَلَيَّ ، فَعَوَّضْتُ فِي الْوَقْتِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ قَصِيدَةُ

(١) إشارة إلى حديث يقال عقب كل صلاة وهو حديث صحيح .

(٢) كذا حكى البوصيري عن نفسه في بداية البردة ، وكذلك يروى عنه من أرخ له من الأدباء الذين شرحوا برده كالشيخ خالد الأزهرى وغيره .

عظيمة ، مشهورة جداً مُجَرَّية لقضاء الحوائج ودفع الآلام والمهمّات ،
قال شارحُها الشيخ خالد الأزهرى :

فدونك بردة غزلت من نعوت ونسجت على نير الإخلاص والصفاء

وقد اشتملتُ على براعة المطلع ، ثم أسلوب آخر مشتمل على
مضامين ..

أولها : التَّلَهُفُ والأحزان والاعتراف بالغفلة والعصيان .

وثانيها : التمسك بالموعظة الحسنة والجدال والبرهان ، ثم أسلوب
آخر مشتمل على شيئين المديح والصفاء ، وعلى الآثار والمعجزات ، ثم
أسلوب باهر مشتمل على شيئين ، تصحيح الاعتقاد ، وتحقيق وظائف
المبتدأ والمعاد ، وعلى الدعاء والمناجات والابتهالات ، وإظهار الخوف
والرجاء فى العاقبة والمآل ، وقد شَرَحَهَا العلماءُ الأعلامُ ، منها «شرح
المرزوقى» ، أطال فيه النفس ، وتكلَّم على كل بيت بسبعة علوم ، اللغة
والصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع ^(١) والمعنى ، وختمَ بالتصوف ،
ومن خواصها ، أن كل بيت وكل جوف فيه البردة . لا يحرق ، والمال
لا يسرق ، ويحفظ من الأعداء ، ولها خواص كثيرة مشهورة ^(٢) - نفعنا
الله بها وبمؤلفها - ، وللمؤلف أيضاً الهزمية فى مدح خير البرية ، بليغة
جداً ، وله غيرهما ، والمؤلف - رحمه الله - بسبب حُبِّهِ النَّبِيَّ - ﷺ -
وكمال انطوائه فيه - ﷺ - الآن قبره فى الإسكندرية ، يزار ، ويستسقى
الغمام به ، وتُقَضَّى الحوائج عند قبره - رضى الله عنه - وكلُّ مَنْ
قَصَدَهُ - زال غَمُّهُ وهَمُّهُ ، وانقضى حاجته ، وكل ذلك ببركة الممدوح ،
سيدنا محمد ، سيد الأوَّلين والآخرين - ﷺ - وعلى آله وأصحابه وأحِبَّائِهِ

(١) المعانى ، والبيان والبديع . من علوم البلاغة ، ولا غنى لمن يتعرض للمسائل الشرعية من معرفتها .

(٢) هذا الكلام غير مقبول جملة وتفصيلاً وهو تكلف ومبالغة .

وورثته إلى يوم الدين - ، وقد خمس هذا المديح كثيرون منهم السيد الجليل «عبد الله مدهر» شيخنا - رحمه الله تعالى - ، وحكى عن بعض المصنّدين في القراءات (١) بمصر بجامع العتيق ، أنه حَلَفَ بالطلاق الثلاثة ، أنه لا يُجَيِّزُ أحداً يَقْرَأُ مستحقاً للإجازة إلا بعشرة دنانير ، فاتفق أنه قرأ عليه رجل فقير ، فلما كمل القرآن سألته الإجازة ، فأخبره بيمينه ، فَتَأَلَّمَ خَاطِرُهُ ، فاجتمع بأصحابه ، فجمعوا له خمسة دنانير ، فأتى بها إليه فلم يأخذها ، فخرج من عنده ، فرأى المحمل يُدَارِيهِ في مصر على عادته الآن ، فقال : والله ما أنفقتُ هذا الدراهم إلا في الحجِّ ، فاشترى ما يحتاجه وصار حتى وصل إلى مكة ، فَلَمَّا قَضَى أَرْبَعَهُ ، جاء المدينة المنورة ، قال : السلام عليك يا رسول الله - ثم قرأ عشرا فجمع الأئمة السبع ، وقال : هذه قراعتي على فلان عنك يا رسول الله عن جبريل - عليه الصلاة والسلام - عن الله عز وجل - ، وقد سألت شيخى الإجازة فأبى ، وقد استغثتُ بك يا رسول الله في تحصيل الإجازة ، ثم نام فرأى النبی - ﷺ - فقال له النبی - ﷺ : « سَلِّمْ عَلَى شَيْخِكَ ، وَقُلْ لَهُ : الرَّسُولُ - ﷺ - يَقُولُ لَكَ أَجْزَنِي بِلا شيء ، فَإِنْ لَمْ يَصْدَقْكَ ، فَقُلْ لَهُ : بِأَمَارَةٍ زَمَرًا .. »

فلما وصل الفقيرُ إلى مصر ، اجتمع بشيخه وبلغهُ الرِّسَالَةُ عَارِيَةً عن الأمانة ، فلم يُصَدِّقْهُ ، فقال له : بأمانة زَمَرًا ، فصاح الشيخ ، وخرَّ مغشياً عليه ، فلما أفاق قال له أصحابه : ما الخبر ؟ فقال : كُنْتُ كَثِيرًا ما أَتَلُو القرآن ، فمررت يوماً على قوله - تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ٧٨] فحلفت لا أقرأ إلا مُتَدَبِّرًا فَهَمًّا ، فاقمت لا أتجاوز من القرآن إلا يسيراً مُدَّةً طويلاً ، حتى نَسِيْتُ

(١) لم نستطع الوصول إلى معرفته حتى نحكم على الحكاية ، وعلى كل فهي حكاية صحت أم لم تصح فلا خير في ذلك .
(٢) الآية من سورة البقرة .

القرآن (١) ، وكَفَرْتُ عن يميني ، وَشَرَعْتُ في حفظه ، فَحَفِظْتُهُ فَبَيْنَمَا أَتَلُو ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ مَرَرْتُ عَلَى قَوْلِهِ - عز وجل .

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ (٢) [فاطر : ٣٢] الآية .. فَقُلْتُ : لَيْتَ شِعْرِي ، مَنْ أَىِّ الْأَقْسَامِ أَنْتَ ثُمَّ قُلْتَ : لَسْتُ مِنَ الثَّانِي وَلَا مِنَ الثَّالِثِ بَيِّقِينَ ، فَتَعَيَّنَ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ فَنَمْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَزِينًا فِي نَفْسِي ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ لِي : الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ زَمْرًا ..

ثم أَقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى الْفَقِيرِ ، وَقَبَّلَ وَجْهَهُ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَجَزْتُهُ لِيَقْرَأَ وَيُقَرَّى مَنْ شَاءَ إِنْ شَاءَ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِبَرَكَةِ تَوْسَلُهُ بِالنَّبِيِّ - ﷺ - فَإِنَّهُ لَا يُخَيَّبُ - ﷺ - مَنْ قَصَدَهُ ، وَأَبْرَزَ مَا فِي سِرِّهِ وَتَكَلَّمَ ، بَلْ وَمَنْ قَصَدَهُ وَرَجَاهُ ، وَظَنَّ بِهِ خَيْرًا ، وَاحْلَه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَسَلَّم .. وَحَكَى عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، صَاحِبِ الْكَرَامَاتِ بِالْمَغْرِبِ ، أَنَّهُ حَجَّ مَعَ رَفِيقَةٍ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مَكَّةَ ، وَقَضَوْا حَجَّهُمْ ، وَزَارُوا الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ ، - عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ سَافَرُوا وَتَرَكُوهُ لِقَلَّةِ مَا بِيَدِهِ ، فَاتَى إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - وَاسْتَغَاثَ بِهِ (٣) وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا تَرَى أَصْحَابِي تَرْكُونِي ، وَسَافَرُوا ، قَالَ : فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ - ﷺ - فِي النَّوْمِ . فَقَالَ : « اذْهَبْ إِلَى مَكَّةَ ، فَاتَيْتَ زَمْرًا فَلَمَّا رَأَى قَالَ لِي - قَبْلَ أَنْ أَسْأَلَهُ - تَرَفَّقَ عَلَيَّ حَتَّى يَفْرَغَ النَّاسُ ، فَلَمَّا فَرَغَ ، وَدَخَلَ الدَّارَ ، قَالَ لِي : « وَدَّعَ الْبَيْتَ وَاخْرَجَ بَنَّا إِلَى أَعْلَى مَكَّةَ فَفَعَلْتُ ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ أَتَتَّبِعُ أَثَرَهُ ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ ، إِذَا بِوَادٍ فِيهِ أَشْجَارٌ وَمِيَاءٌ ، فَقُلْتُ : مَا أَشْبَهَ هَذَا بِوَادِي شَفْشَاوَةَ . »

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا ، فَإِذَا هُوَ هُوَ وَادِي شَفْشَاوَةَ ، فَجِئْتُ إِلَى أَهْلِي ،

(١) أَكْثَرَ الْمُؤَلَّفِ فِي هَذَا الْمَصْنَفِ مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْحِكَايَاتِ ، وَكَانَ يَسْتَطِيعُ الِاسْتِغْنَاءَ عَنْ

ذَلِكَ .

(٢) الْآيَةُ مِنْ سُورَةِ فَاطِر : ٣٢ .

(٣) هَذَا خِلَافَ السَّنَةِ وَخِلَافَ مَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ مِنْ أَهْلِ الْأَثَرِ وَالْحَدِيثِ .

وأخبرتهم الخبر ، فعجبوا من ذلك ، وعجب الناس ، فسألوني عن الرقعة ، فأخبرتهم أنهم تركوني عند النبي - ﷺ - فمن الناس المصدق ، ومنهم غير ذلك ، فَبَعْدَ مُدَّةٍ بِشَهْرٍ ، وصل رُقَقَائِي ، فأخبروهم بالخبر ، فقالوا : صدق .

فَانْظُرْ يَا أَخِي بَعِينَ البصيرة إلى مَا يحصلُ ببركته - ﷺ - وبركة التَّوَسُّلِ بِهِ (١) - ﷺ - وقال الشيخ : «أبو القاسم بن يوسف السَّكَنْدَرِي : كُنْتُ بِمَدِينَةِ النَّبِيِّ - ﷺ - فرأيتُ رجلاً عند قبر النبي - ﷺ - وهو يقول : تَحَسَّبْتُ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رُدُّ عَلَيَّ وَلَدِي فسألته عن ذلك فقال : طلعت من جُدَّة ، وولدي عديلي ، في الشَّقَدَفِ ، فنزل يقضى حاجته ، فلم أره ، ثم رأيت الرجل بعد ذلك بسنين بمصر ، فسألته عن ولده ، فقال : جمعه الله عليّ ، وكان ولدي عند بني شعبة يرمى لهم الإبل ، فראت امرأة شريفة النبي - ﷺ - في النوم ، وهو يقول لها : «تأخذي الرجل المصري من عند بني شعبة وترسلينه إلى أهله».

وذلك ببركة استغاثتي به - ﷺ - وتحسبتي بالنبي - ﷺ ...

فتأمل هذه الرحمة الزائدة منه - ﷺ - بهذه الأمة ، وتعاطى ما يحصل عليهم من الشدَّةِ بنفسه أو ببعض ذُرِّيَّتِهِ ، وهو في معنى قيامه - ﷺ - بنفسه ، لأن أهله منه - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم .

وحكى أبو عبد الله بن محمد بن أبي الأمان (٢) - أنه لما نزل أبو عزيزة قتادة المدينة ، ورام أخذها ، ودخل من باب البلاط إلى باب الحديد ، وتمكك بعض المدينة ، فجاء بعضُ الخُدَّامِ واسمه «بشير» فأخذ صَبَّيَانِ الْكُتَّابِ ، ودخل بهم المسجد إلى رسول الله - ﷺ - وجعل العمائم في أعناقهم ، فجعلوا يقولون : اسْتَجَرْنَا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ... ثم إن رجلين ، واحد شريف ، وواحد مولى ردَّ العسكر إلى أن خرجوا من

(١) سبق كلامنا عن التوسل الجائز والممنوع ، وهذا من التوسل الممنوع شرعاً .

(٢) ذكرها في الخلاصة ، ووفاء الوفا .

المدينة المنورة ببركته - ﷺ - ، وقد صَنَّفَ الإمام العَلَّامة «شمس الدين أبو عبد الله محمد بن موسى الفارسي : ثم «التلمساني» فيما وقع من الإغاثة للمستفيثين به - ﷺ - كتاباً سَمَّاه «مصباح الظلام» (١) وقد اخْتَصَرْتُهُ فِي نحو تسع كراريس ، فعليك به فإنه نفيس نافع في بابهِ - والله الموفق .

وروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : «أوحى الله - تعالى إلى ابن مريم - عيسى عليه السلام - يا عيسى آمِنَ بِمُحَمَّدٍ وَأَمْرٌ مِّنْ أَدْرَاكِكَ مِنْ أَمْتِكَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ ، فَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتَ آدَمَ ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ، وَلَقَدْ خَلَقْتَ الْعَرْشَ عَلَى الْمَاءِ ، فَاضْطَرَبَ ، فَكَتَبْتَ عَلَيْهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» - ﷺ - فَسَكَنَ (٢) .

وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ - ﷺ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَمْرٌ مُّجْمَعٌ عَلَيْهِ - مُتَوَاتِرٌ ، فَهُوَ - ﷺ - صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى ، وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ ، وَالْوَسِيلَةُ وَالدرْجَةُ الرَّفِيعَةُ ، وَاللَّوَاءُ الْمَعْقُودُ فَأَدَمُ ، وَجَمِيعُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ تَحْتَ لَوَائِهِ - ﷺ - وَلَسَوْفَ يُعْطِيهِ رَبُّهُ فَيَرْضَى وَهُوَ لَا يَرْضَى - ﷺ - وَوَاحِدٌ مِنْ أَمْتِهِ - ﷺ - فِي النَّارِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ .

(١) هذا الكتاب اسمه : «مصابيح الظلام في المستفيثين بخير الأنام في اليقظة والنّام ، لمحمد بن موسى بن النعمان المراكشي ، ألفه سنة ٦٣٩ . منه نسخة مكتوبة بخطوط مختلفة بقلم معتاد في ٧٧ ورقة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٢٤١ ب .

وهو كما ترى في الاستغاثات وعنه نقل السهمودي في وفاء الوفا ، والخلاصة ، وعنهما نقل مؤلف هذا الكتاب في مصنفه هذا .

(٢) هذا الأثر موضوع ، ولعله من الإسرائيليات .

فصل : فى آداب المجاورة للنبي ﷺ

واكرام سكان طيبة والمجاورين لسيد المرسلين ﷺ

فَعَلَى المجاور لرسول الله - ﷺ - وعلى آله وصحبه وسلم مُدَّة إقامته بالمدينة المنورة كمالُ الأدب والتعظيم ، ونهاية الحياء والتكريم له - ﷺ - وتعظيم آثاره ومواطيئ قَدَمِهِ الشريفة، وَرَحْمَةُ مَجَاوِرِيهِ ، وَقُطْآن بَلَدِ حَبِيبِهِ - ﷺ - وَأَنْ يَحِبَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لِأَجْلِهِ - ﷺ - وَيُظْهِرَ مَوَدَّتَهُمْ وَيُعْظِمَهُمْ بِسَيِّمَاتِ الْعُلَمَاءِ ، وَالصُّلَحَاءِ ، وَالْأَشْرَافِ ، وَالْفُقَرَاءِ ، وَاهْلِ الْبِلَاغَةِ ، وَالْفَصَحَاءِ ، وَسَدَنَةِ الْحُجَرَةِ الشَّريفة ، وخدامها .. (١)

قال المجد : وهَلُمَّ جَرًّا إِلَى عَوَامِّهَا وَحَوَامِّهَا ، وَكِبَارِهَا وَصَفَارِهَا ، وَزُرَّاعِهَا وَحُرَّافِهَا وَيَادِيَّتِهَا وَحَاضِرِيَّتِهَا ، وَمَنْ يَنْتَسِبَ إِلَيْهَا أَوْ فِي أَطْرَافِهَا ، كُلُّ مَنْهُمْ عَلَى حَسَبِ حَالِهِ أَوْ رَتَبَتِهِ مِمَّنْ يَقِيمُ شَعَارَهَا وَيُعْظِمُ الشَّرْعَ ، وَيَقِيمُ الصَّلَاةَ أَوْ يَنْفَعُ فِي (الذَّبِّ) (٢) بِإِظْهَارِ الْعِلْمِ أَوْ الْحَدِيثِ أَوْ بِذِكْرِ أَخْبَارِهَا ، حَتَّى يَظْهَرَ الْمَوَدَّةُ أَيْضًا لِمَنْ لَيْسَ لَهُ مَزِيَّةٌ سِوَى كَوْنِهِ فِيهَا أَوْ جَارَهَا لِأَجْلِ قُرْبِ النَّبِيِّ - ﷺ - النَّبِيُّ الْكَرِيمُ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَشْرَقَتْ بَنُورُهُ - أَعْنَى الْحَبِيبِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَقْطَارُهَا ..

قال - ﷺ : «مَازَالَ جَبْرِيلُ - ﷺ - يُوصِينِي بِالْجَارِ» (٣) : وَلَمْ يُخَصِّصْ جَارًا دُونَ جَارٍ

قال فى الخلاصة (٤) ، وَتَحَفَةُ الزَّوَارِ ، وَفِي الْأَخْبَارِ الْمُسْتَطَابَةِ ، فِى فُضَائِلِ سُكَّانِ طَابَةِ :

(١) الخلاصة [١٠٧] فى الفصل الثانى فى آداب الزيارة والمجاورة ، ووفاء الوفا [١٣٨٨/٤] .

(٢) غير واضحة فى المخطوط والتوضيح من الخلاصة ووفاء الوفا ، والذَّبُّ هُوَ الدِّفَاعُ عَنِ الشَّيْءِ .

(٣) صحيح . أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، وأحمد ، وغيرهم من أصحاب السنن .

(٤) الخلاصة [١٠٩] وما بعدها ، ووفاء الوفا . والشفا بتعريف حقوق المصطفى .

لما قدم المهدي المدينة المنورة ، استقبله مالكٌ وغيرُهُ من أشرف المدينة المنورة على أميال ، فلما أَبْصَرَ مالكٌ - ﷺ - انحراف المهدي إليه ، فعانقهُ ، فسايره ، فالتفت إليه مالك ، وقال : يا أميرَ المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة المنورة فَتَمُرُّ بقوم عن يمينك ويسارك ، وهم أولادُ المهاجرين والأنصار ، فَسَلِّمْ عليهم وأكرمهم ، فإنه ما على وجه الأرض خيرٌ من أهل المدينة ، ولا بلد خيرٌ من المدينة ، وقال - ﷺ - : «ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (١) .

ولهذا كان بعضُ الأكابر يوصى كثيرا لمن قصد المجاورة والزيارة أن يقابل جيرانَ رسولِ الله - ﷺ - وسكانَ ذلك المحلِّ الشريف بمزيد التكريم والتعظيم ، وَيَنْشُرْ عليهم ، وَيَبْرَهُمْ بماله ، ويسعى لهم بنفسه وجاهه ، ويخدمهم ما استطاع ، وخصوصا ما كان راعياً ، ووالياً عليهم ، يُرَاعِيهم ، ويحوظهم ، وينصحهم حالاً وقالاً وفعلاً ، ولا يؤذيهـم لأن مَنْ أذاهم ، أذابه الله ذوبَ الرِّصاصِ في النار والملح في الماء ، فإن كل راعٍ ووالٍ . مستثولٌ عن رعيته ، فكيف بجيرانِ هذا النبي الكريم ، حبيب رب العالمين ، وشفيع المذنبين - ﷺ - ولا ينبغي للزوار والمجاورين ، بل لجميع الأمة المحمدية .. إلا أن ينظروا في محاسن جيران الحبيب الشفيـع - ﷺ - ولا ينظروا إلى معاييبهم وزلاتهم ، ولا يسأل عن أحوالهم وصفاتهم ، إذ بالسؤال ربما تُذكر له مساوؤهم ، فيسؤوه حالهم ، ويدخل عليه الإنكار والتحقير قال الله تعالى : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١] (٢) .

وإن كان سبب النزول السؤال عن فرض الحج (٣) ، أفى كل عام ؟ لعموم اللفظ ، وإذا ذكرهم أحدٌ بما يسؤوه ، فَلْيُعْرِضْ عنه ، وَلْيَذُبْ عنهم ، إكراماً لِمَنْ هم في جواره - ﷺ .

(١) سبق تخريجه وبيان درجته . (٢) الآية من سورة المائدة [١٠١] .

(٣) انظر في سبب نزول الآية ابن كثير في تفسيره ، والقرطبي في التفسير ، والزمخشري والطبري وغيرهم عند تفسيرهم لها ، وانظر أسباب النزول للواحدى ، والسيوطى .

أما ترى أن الله - تبارك وتعالى . كيف لم يُنزل العذابَ على الكفرة ، تعظيماً لنبيه - ﷺ فقال : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٣] (١) .

ولا شك أن النبي - ﷺ - حَيٌّ في قبره ، وجسده الشريف محرم على الأرض أن تأكله (٢) ، وله حكم ما كان حياً - ﷺ - وجيرانه محميون من كل عذاب ، لكونه - ﷺ - فيهم بل ونرجو من الله المنان ، أن مَنْ مات بالبقيع ، أن لا يُعَذَّبَ ، لكونه - ﷺ - فيهم في البرزخ أيضاً ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال : ٣٣] (٣)

فإذن لا ينبغي التفحصُ عن أحوالهم إلا بخير وإحسان واحترام ، لأجله - ﷺ - إذا أمرهم منوطٌ بمن هُم في جواره - ﷺ - فطوبى لمن بصره الله - تعالى فنظر إليهم بعين العناية والحماية والرعاية ، وقد أحسن بعضهم في قوله :

وأحسن لجيران النبي جميعهم ظنونك وامدح كلهم ودع اللخثا
هو الليث هم أشباله وهو غابهم ومن يغضب الأشبال فلن يتقى الليثا
ولغيره :

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب (٤)

وينبغي أن يتصدقَ على أهل المدينة بما أمكنه ، فإنه مضاعف فيه الحسنات ، ويخص كما قال النووي - رحمه الله تعالى - ربه (٥) - ﷺ

(١) الآية من سورة الأنفال [٣٣] .

(٢) إشارة رلى الحديث الصحيح . وإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء .

(٣) الآية من سورة الأنفال [٣٣] .

(٤) كل هذا يجب أن يكون نحو صحابة الرسول المقتدى ﷺ ، لاسيما في عصرنا هذا الذي طغى فيه فكر المفسدين فراحوا يسبون أصحاب رسول الله ﷺ .

(٥) بياض بالخطوط لم نستطع الوصول إليه .

- لقوله : «اذْكُرْكُمْ الله في أهل بيتي» (١) .

وقول الصديق : «ارْقَبُوا محمداً - ﷺ - في أهل بيته» ، وقال في تحفة الزوار : وَيُسْتَحَبُّ المجاورة بالمدينة المنورة الشريفة ، فإنَّ المجاورة بها من أعظم القربات ، وهي تُذهِبُ الذنوب ، وتُزِيلُ الكُرْبَات ، وأكمل استحبابها لِمَنْ قدر عليها ، فإنها تطلبُ مُرَاعاةَ الأدب في جميع الأحوال ، وأن يكون منشراح الصدر والقلب ، دائم السرور بالجوار مع العظيمة لِمَنْ هو في حَضْرَتِهِ - ﷺ - وأن يكون كثير الحمد والشكر على الحلول بهذه الحضرة الشريفة ، وأن يُكثِرَ من الدعاء بالتوفيق لشكر هذه النعمة العظيمة المنيفة مع حسن الأدب اللائق بها ، والرغبة إلى الله - تعالى - في جَبَرِ التقصير عن القيام بواجب حقها ، والاعتراف بالقصور عن حال السَّلَفِ الصَّالحين ، وأن يَنْظُرَ في مناقبهم وآدابهم وكراماتهم ، ويدعو الله - تعالى - أن يُدْخِلَهُ في زُمْرَتِهِمْ ، وأن يرحمهم أجمعين ، وأن يَقُودَ المجاور لرسول الله - ﷺ - نَفْسَهُ مُدَّةَ إقامَتِهِ في ذلك المحل الشريف المُطَهَّرِ بِزمام الشريعة ، مع الخَشْيَةِ ، والتعزيز لذلك المحلِّ ، والتكريم ، ويخفض صوته ، وَيُفَضُّ طَرَفَهُ بذلك الموطن العظيم ، ويلاحظ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات : ٣] (٢) .

وروى عن الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لما نزلت . قال «آلَيْتُ أَنْ لَا أَكَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - إِلَّا كَأَخِي السَّرَّارِ» وكان رسول الله - ﷺ - يَسْتَفْهَمُ الْمَرْءَ أو المرأتين حتى يسمعه - وقال مالك للمنصور (٣) ، وأن حُرْمَتَهُ - ﷺ - الآن كحرمته في حياته - ﷺ - وينبغي أن يحرم في مجاورته على فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وأن يَقُودَ المرضى ، ويشيع الجنائز ، وعليه بإعانة ضيف ، وإغاثة ملهوف ، والإحسان إلى المقيمين ،

(١) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند . (٢) الآية من سورة الحجرات .

(٣) وذلك عندما ارتفع صوت المنصور في المسجد النبوي المبارك .

والواردين ، وإكرام الزائرين ، ومواساتهم ، خصوصاً ، الفقراء منهم ، ولو بُلْقَمَةٍ أو تَمَرَةٍ ، أو سقى الماء ما أمكنه ، ولو مرة إلى غير ذلك من أنواع الخيرات ، والمبَرَّات والمعروف ، وأن يكون دائماً بالبشر موصوف ، وأن يكون المقيم بالمدينة كثير الصيام ، كثير التلاوة للقرآن العظيم ، والقيام لأنه ورد عنه - ﷺ : «رمضان بالمدينة خيرٌ من ألف رمضان فيما سواه من البلدان» ^(١) وأن يريد الموت بالمدينة المنورة ، لأنه - ﷺ قال : «مَنْ استطاع أن يموت بالمدينة فَلْيَمُتْ بِهَا ، فَإِنِّي شَفِيعٌ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا» ^(٢) .

وفى هذه الشفاعة خصوصية ، وهى .. الاهتمام به لقربه وإلا فهو - ﷺ - شفيع لجميع الأمة بنص الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة ، ومما يوجب الإقامة بالمدينة المنورة ، قوله - ﷺ - : «المدينة المنورة قُبَّةُ الإسلام ، ودارُ الإيمان ، وأرضُ الهجرة ، ومَبُوءُ الحلال والحرام» ^(٣) .

وقال - ﷺ - «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» ^(٤) .

وقال - ﷺ - : «أول ما أشفعُ له من أمتي أهلُ المدينة وأهلُ مكة وأهلُ الطائف» ^(٥) .

وقال - ﷺ - : «على أنقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» ^(٦) .

وقال - ﷺ - : «ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، وليس من نَقَبٍ من أنقابها إلا عليها ملائكة صافين تحرُسها ، فينزل السبْخَة ، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، يخرج إليه كل مُنافق» ^(٧) .

(١) سبق تخريجه وبيان أنه حديث موضوع . (٢) سبق تخريجه وبيان أنه حديث صحيح .
(٣) حسن . ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٩٨/٣] وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه عيسى بن مينا قالون ، وحديثه حسن ، وبقيّة رجاله ثقات .
(٤) سبق تخريجه . (٥) سبق تخريجه .
(٦) صحيح . أخرجه البخارى [١٨٨١] ، ومسلم [١٠٠٥/٢] ومالك في الموطأ [١٩٢٨] .
(٧) صحيح . أخرجه البخارى [١٨٨١] ، ومسلم [٢٩٤٣] والسبْخَة موضع بالمدينة بين

وعن أنس قال : قال رسول الله - ﷺ - :

«يجئ الدجالُ فيطأ الأرضَ إلا مكة والمدينة ، فيأتى المدينة ، فيجد على كُلِّ نَقَبٍ من أنقابها صفوفاً من الملائكة ، فيأتى السَّبْخَةَ الجرف ، فيضرب رواقه ، فترجفُ المدينة ثلاثَ رجفاتٍ فيخرجُ إليه كُلُّ منافقٍ ومنافقةٍ» (١) .

وفى رواية : «لا يدخل المدينة رُعبُ الدجال ، لها سبعة أبواب على كُلِّ باب مَلَكَان» (٢) الحديث

ومِمَّا يُرَغَّبُ المجاورة بالمدينة وجودُ البركة الزائدة على سائر البلدان ، لقوله - ﷺ - : «اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفُ ما جَعَلْتَهُ بِمَكَّة» (٣) .

وقوله - ﷺ - : «اللهم بَارِكْ فى مُدُنَا ، اللهم بَارِكْ فى صَاعِنَا ، اللهم بَارِكْ فى مَدِينَتِنَا اللهم اجعل البركة بركتين ، والذى نفسى بيده مامن المدينة شِعْبٌ ، ولا نَقَبٌ إلا عليه ملكان يحرسان حتى يقدموا إليها - يعنى أهلها - إذا خرجوا للغزو ، وفى سبيل الله» (٤) .

وفى هذا كفاية لِمَنْ قَنَعَ وَكَفَى أيضاً شرفاً للمجاورين أنه - ﷺ -
أَوَّلُ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ - اللهم اجعلنا من الْمُتَأَدِّبِينَ فى جِوَارِ هذا النبى الكريم ، والرسول الرؤوف الرحيم - ﷺ - وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَامٌ تَسْلِيماً دائماً أبداً بدوام الله الملك الرؤوف الرحيم .

قال فى تحفة الزُّوَار : وأَحْسَنُ قصيدة فى مدح المدينة والترغيب فى الإقامة بها فى جِوَارِ النبى الحبيب - عليه من الله الرُبُّ الرقيب دائم

الخدق وسلع . (١) انظر السابق .

(٢) صحيح . أخرجه البخارى [٧١٢٦] ، وابن حبان [٣٧٣١] ، ٦٨٠٥ ، وأحمد فى المسند [٤٣/٥] ، [٤٧] والحاكم فى المستدرک [٥٤١/٤] .

(٣) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب فضائل المدينة . باب حديث [١٨٨٥] ، ومسلم فى كتاب الحج . باب فضل المدينة ودعاء النبى ﷺ فيها بالبركة [٩٩٤/٢] .

(٤) صحيح . أخرجه مسلم فى كتاب الحج . باب فضل المدينة ودعاء النبى ﷺ لأهلها فيها بالبركة [١٠٠١/٢] . قال الأَخْفَشُ : شِعْبُهَا ونقابُهَا : أى طرقُهَا وفجائِهَا .

الصلوات والتسليمات ما هَام مُحَبٌّ فِي حَبِيبِ قَصِيدَةِ الْبُسْكَرَى^(١) وَهِيَ :

دَارُ الْحَبِيبِ أَحَقُّ أَنْ تَهْوَاهَا وَتَحِنُّ مِنْ طَرَبٍ إِلَى ذِكْرَاهَا
وَعَلَى الْجَفَوْنَ إِذَا هَمَمْتَ بِزُورَةٍ يَا ابْنَ الْكِرَامِ عَلَيْكَ أَنْ تَغْشَاهَا^(٢)
فَلَأَنْتَ أَنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِطَيْبَةٍ وَظَلَلْتَ تَرْتَعُ فِي ظِلَالِ رِيَاهَا
مَغْنَى الْجَمَالِ مَنَى الْخَوَاطِرِ وَالَّتِي سَلَبْتَ عَقُولَ الْعَاشِقِينَ جُلَاهَا
لَا تَحْسَبُ الْمَسْكَ الزَّكَى كَثْرِيَّهَا هِيَ هَاتِ أَيْنَ الْمَسْكَ مِنْ تَرِيَاهَا^(٣)
طَابَتْ فَإِنْ تَبَغَى التُّطِيبُ يَا فَتَى فَادُمْ عَلَى السَّاعَاتِ لَثَمَ ثَرَاهَا
وَابْشُرْ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ مُقَرَّرَ أَنْ الْإِلَهَ بِطَابَةِ سَمَاهَا
وَاخْتَصَّهَا بِالطَّيْبِينَ لَطِيبِهَا وَاخْتَارَهَا وَدَعَا إِلَى سُكْنَاهَا
لَا كَالْمَدِينَةِ مَنْزِلٌ وَكَفَى بِهَا شَرَفًا حُلُولُ مُحَمَّدٍ بِفَنَاهَا
حَظِيَتْ بِهَجْرَةِ خَيْرٍ مِنْ وَطَنِ الثَّرَى وَأَجْلَهُمْ قَدْرًا فَكَيْفَ تَرَاهَا^(٤)
كُلُّ الْبِلَادِ إِذَا ذَكَرْتَ كَأَحْرِفٍ فِي اسْمِ الْمَدِينَةِ لَا خَلَّتْ مَعْنَاهَا
حَاشَا مَسْمَى الْقُدْسِ هِيَ قَرِيبَةٍ مِنْهَا وَمِكَّةُ إِنَّهَا إِيَاهَا
(لَا غُرُو إِلَّا أَنْ) ثُمَّ لَطِيفَةٍ مَهْمَا بَدَتْ يَجْلُو الظَّلَامَ سَنَاهَا^(٥)
جَزَمَ الْجَمِيعُ بِأَنْ خَيْرَ الْأَرْضِ مَا قَدْ حَاطَ ذَاتُ الْمُصْطَفَى وَحَوَاهَا
وَنَعَمٌ ، لَقَدْ صَدَقُوا بِسَاكِنِهَا عِلْتُ كَالنَّفْسِ حِينَ زَكَّتْ زَكَى مَاوَاهَا^(٦)
وَبِهَذِهِ ظَهَرَتْ مَزِيَّةُ طَيْبَةٍ فَغَدَتْ فَكُلُّ الْفَضْلِ فِي مَعْنَاهَا
حَتَّى لَقَدْ خُصَّتْ بِرَوْضَةِ جَنَّةٍ اللَّهُ شَرَفُهَا بِهَا وَحَبَاهَا
مَا بَيْنَ قَبْرِ النَّبِيِّ وَمَنْبَرٍ حَيَّا الْإِلَهَ رُسُولُهُ وَسَقَاهَا^(٧)

(١) كَذَا بِالْمَخْطُوطِ وَعِنْدَ السَّهْوَودِيِّ فِي وِفَاءِ الْوَفَا اسْمُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مُوسَى الْبَكْرِيُّ وَلَيْسَ [الْبُسْكَرَى] .

(٢) فِي الْمَخْطُوطِ [إِنْ] وَالتَّصْوِيبُ مِنْ وِفَاءِ الْوَفَا [إِذَا هَمْتُ] .

(٣) هِيَ هَاتِ : اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى بَعْدَ . (٤) حَظِيَتْ : مِنَ الْحَظَرِ وَهُوَ الشَّرَفُ وَالْمَكَانَةُ .

(٥) فِي الْمَخْطُوطِ [لَا تَفَرِّقْ إِنْ لَمْ] ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ وِفَاءِ الْوَفَا وَهُوَ يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى وَالْعُرُوضُ . وَمَعْنَى

يَجْلُو الظَّلَامَ : يَزِيلُهُ وَيُفْنِيهِ ، وَالْجَلَاءُ هُوَ الظُّهُورُ وَالْوُضُوحُ .

(٦) فِي الْمَخْطُوطِ [حِينَ كَتَبْتَ بِمَاوَاهَا] وَالتَّصْوِيبُ مِنْ وِفَاءِ الْوَفَا وَهُوَ يَسْتَقِيمُ الشَّطْرُ .

(٧) فِي الْأَصْلِ [حَيَّا الْإِلَهَ] وَالتَّصْوِيبُ مِنْ وِفَاءِ الْوَفَا ، وَبِالتَّصْوِيبِ يَسْتَقِيمُ الْبَيْتُ .

هَذِي مُحَاسِنُهَا فَهَلْ مِنْ عَاشِقٍ
إِنِّي لَأَرْهَبُ مِنْ تَوَقُّعِ بَيْنِهَا
وَلَقُلْ مَا أَبْصَرْتُ حَالَ مُودِعٍ
فَلَكَمُ أَرَاكُمُ قَافِلِينَ جَمَاعَةً
قَسَمًا لَقَدْ أَذَكِّي فُرَادَى بَيْنَكُمْ
إِنْ كَانَ يَزْعَجُكُمْ طِلَابُ فَضِيلَةٍ
أَوْ خِفْتُمْ ضُرًّا بِهَا فَتَآمَلُوا
(إِلَّا إِذَا) يَنْبَغِي الْكَثِيرُ لَشَهْوَةٍ
وَالْعِيشُ مَا يَكْفِي وَلَيْسَ هُوَ الَّذِي
يَارِبُ أَسْأَلُ مِنْكَ فَضْلَ قَنَاعَةٍ
وَرِضَاكَ عَنِّي دَائِمًا وَلِزَوْمُهَا
بِجَوَارِ أَوْفَى الْعَالَمِينَ بِطَيْبَةٍ
مَنْ جَاءَ بِالْآيَاتِ وَالنُّورِ الَّذِي
أَوَّلَى الْأَنَامَ بِحُظِّهِ الشَّرَفِ الَّتِي
إِنْسَانُ عَيْنِ الْكَوْنِ سِرُّ جُودِهِ
حَسْبِي فَلَسْتُ أَفِي بِذِكْرِ صِفَاتِهِ
كَثُرَتْ مُحَاسِنُهُ فَأَعْجَزَ حَصْنُهَا
إِنِّي اهْتَدَيْتُ مِنَ الْكِتَابِ بِآيَةٍ
وَرَأَيْتُ فَضْلَ الْعَالَمِينَ مُحَدِّدًا

كَلَفَ شَحِيحٌ بِأَخْلٍ بَنَوَاهَا
فَيَظُلُّ قَلْبِي مُوَجَّعًا أَوَّاهَا
إِلَّا رَكَّتْ نَفْسِي لَهُ وَشَجَاهَا
فِي إِثْرِ أُخْرَى طَالِبِينَ سِوَاهَا (١)
نَارًا وَقَجَّرَ مُقَلَّتِي مِيَاهَا
فَالْخَيْرُ أَجْمَعُهُ لَدَى مَثَوَاهَا (٢)
بَرَكَاتٍ بَلَّغَتْهَا فَمَا أَزْكَاهَا
وَرَفَاهَةٍ لَمْ يَذُرْ مَا عَقَّبَاهَا (٣)
يُطْفِئُ النَّفْسُ وَلَا خَسِيسٌ مَنَاهَا
بِيسِيرِهَا وَيُحِبُّنَا لِحِمَاهَا
(حَتَّى) تَوَافِي مُهْجَتِي أَخْرَاهَا (٤)
وَأَعَزَّ مَنْ بِالْقَرَبِ قَدْ نَبَاهَا
دَاوَى الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى وَشَفَاهَا
يُدْعَى الْوَسِيلَةَ خَيْرُ مَنْ يُعْطَاهَا
يَسُ إِكْسِيرُ الْحَامِدِ طَه (٥)
وَلَوْ أَنَّ لِي عِدْدُ الْحَصَا أَفْوَاهَا
وَعَدَّتْ وَمَا يَلْقَى لَهَا أَشْبَاهَا
فَعَلِمْتُ أَنَّ هُدَاهُ لَيْسَ يُضَاهَا
وَفَضَائِلُ الْمُخْتَارِ لَا تَتَبَاهِي

(١) فِي وَفَاءِ الْوَفَا [طَالِبِينَ هَوَاهَا] ، وَلَعَلَّهُ أَصَوَّبَ مِنْ سِوَاهَا الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُصَنِّفُ ، بِدَلِيلِ الْبَيْتِ الَّذِي جَاءَ قَبْلُهَا وَالْبَيْتَ الَّذِي جَاءَ بَعْدَهَا .

(٢) فِي وَفَاءِ الْوَفَا [فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ] وَكَذَا فِي شَوَاهِدِ الْحَقِّ لِلنَّبِيَّانِي بِدَلِّ [فَالْخَيْرُ أَجْمَعُهُ] .

(٣) [إِلَّا إِذَا] زِيَادَةٌ مِنْ وَفَاءِ الْوَفَا وَهِيَ سَائِقَةٌ مِنَ الْأَصْلِ .

(٤) [حَتَّى] سَائِقَةٌ مِنَ الْأَصْلِ وَالزِّيَادَةُ مِنْ وَفَاءِ الْوَفَا . وَقَدْ سَقَطَ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُهُ :

فَأَنَا الَّذِي أَعْطَيْتُ نَفْسِي سَوْلَهَا وَقَبِلْتُ دَعْوَتَهَا فَيَا بَشِيرَاهَا

وَقَدْ ذَكَرَهُ السَّهْرُودِيُّ فِي وَفَاءِ الْوَفَا عَنْ تَخْفَةِ الزَّوَارِ .

(٥) [الْحَامِدُ] مُحَرَّفَةٌ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا [الْحَامِدَةُ] .

كيف السبيل إلى فضل مَنْ
 إن الذين يُبَايعُونَكَ إنما
 هذا الفخارُ فهل سمعتَ بمثله
 صلُّوا عليه وسلِّموا فبِذَا لَكُمْ
 صلى عليه الله غير مقيّد
 وعلى الأكابر آله سرُّجُ الهدى
 وكذا السلامُ عليه ثم عليهم
 أغنى الكرامُ أولى النهى أصحابه
 والحمد لله الكريم وهذه
 قال الإله له وحسبك جاهاً (١)
 فيما يقولُ يبايعون الله
 واهأ بنشأته الكريهة واهأ
 تهدى النفوس لرشدها وعثاها
 وعليه من بركاته أنهاها
 أخيب بعترته ومن ولاها
 وعلى عصابته التى زكاها
 فئة التقى ومن اهتدى بهداها (٢)
 نجزت فظنى أنه يرضاها (٣)

قال البدرُ بنُ فرحون (٤) ، وهو من أصحاب النازم - رحمهما الله
 تعالى - : أن بعضَ الصالحين رأى النبىَّ - ﷺ - في المنام ، وأنشدهُ
 القصيدة ، فلما بلغ آخرَها . قال النبى - ﷺ - : «رَضِينَا . رَضِينَا» (٥) ..
 اللهم اجعل لنا بها قراراً ، ورزقاً حسناً بجاء من توسل به النبيون سيد
 ولد آدم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - اللهم صلِّ وسلِّم على
 سيّدنا محمد - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - صاحب الخلق
 والخلق ، والحمد لله رب العالمين الذى منَّ علينا بجواره العظيم ، وأرغد
 عيشنا وعلمنا وهدانا لسُنَّته أحيانا الله - سبحانه - على سُنَّته وأتباعه
 ظاهراً وباطناً قالاً وحالاً وفعلاً ، وأماتنا على ذلك ، وثبَّتنا عليه ، اللهم
 شَفِّعْهُ - ﷺ - فينا وأحياناً فى استقامةٍ لا نحيدُ نحن ومن يلوذُ بنا ،

(١) فى الأصل هكذا ، وفى وفاء الوفا : كيف التقصى والصلوْ لمُدح من قال الإله ...
 ولعله أصوب عروضياً .

(٢) فى المخطوط .. أغنى الأكابر أولى أصحابه .. وهو غير مستقيم فى المعنى ، والتصويب من
 وفاء الوفا .

(٣) فى وفاء الوفا نجزت وظنى أنه يرضاها .

(٤) الخلاصة ، وفاء الوفا .

(٥) المصدر السابق .

واحفظنا وأهلينا ، وأولادنا ، وأحبابنا ، وجميع المجاورين والمسلمين بها
حَفِظْتَ به الذكر المبين ، وتَوَلَّنا تَوَلَّى عِبَادَكَ الصالحين ، ومتعنا اللهم
بجواره في الدنيا والآخرة ، وارزقنا فعل الخيرات ، وترك المنكرات وحُبَّ
المساكين ، وإذا أردت فَتَنَةً في قومٍ . فتوفنا غير مفتونين . آمين .
والحمد لله رب العالمين .





فصل :



وَمِنْ آدَابِ الْمَجَاوِرِينَ (١)

أن يزوروا قبر النبي ﷺ - وضجعية أبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - ويسلموا عليهم كلما بدى لهم مع التعظيم ونهاية التكریم ، ثم ليستلوا الله تعالى - الكريم خير الدنيا والآخرة وليكثرُوا من الصلاة والدعاء فى الروضة الشريفة ، وعند المنبر النبوى ، وعند أساطين المهاجرين والأنصار ، وينبغى أن يجتنبوا كما فى الخلاصة لمسَ الجدار وتَقْبِيلَهُ والطواف به (٢) ، وفى الإحياء مسُ المشاهد وتقبيلها عادة أهل الكتاب ، وأما المنبر النبوى (٣) ، فقد ورد أنهم كانوا يَتَمَسَّحُونَ به قبل التغير باحتراقه ، يروونه عن ابن عمرو عن سعيد بن المسيب - رضى الله عنهما - فى الرمانة وبعضهم قيّد بكثرة التمسح ، وروى عن عبد الله ابن أحمد بن حنبل قال (٤) : سألت أبى عن الرجل يمسُّ منبر النبى - ﷺ - يتبرك بَمَسِّهِ وتَقْبِيلِهِ ، ويفعل بالقبر مثلَ ذلك ، رجاء ثواب الله

(١) انظر وفاء الوفا للسهمردى (١٤٠٤/٤) ، وخلاصة الوفا (ص ١١٣) ، والمواهب اللدنية للقسلاني (٣٨٣/٢) الفصل الثانى فى زيارة قبره الشريف ﷺ ومسجده المنيف .

(٢) انظر خلاصة الوفا (ص ١٢٤) . باب أدب المجاورة .

(٣) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٢٦٠/٣ ، ٢٦١) الجملة العاشرة فى زيارة المدينة وآدابها

(٤) انظر فى ذلك اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (ص ٣٦٧) ، وخلاصة الوفا (ص ١٢٦) وهناك رواية أخرى عن أبى بكر الأثرم قال : قلت لأبى عبد الله - يعنى أحمد بن حنبل : قبر النبى صلى الله عليه وسلم يلمس ويتمسح به ؟ قال : لا أعرف هذا . قلت : فالمنبر ؟ قال : أما المنبر فتعم قد جاء فيه شئ يروونه عن ابن أبى فديك عن ابن أبى ذؤيب ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه مسح المنبر ، ويروونه عن سعيد بن المسيب فى الرمانة أى رمانة المسجد قبل احتراقه .

وقال الزعفرانى : وضع اليد على القبر ومسه من البدع التى تنكر شرعاً .

وقال ابن قدامة الحنبلى فى المغنى : ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبى ﷺ ، ولا يقبله . قال أحمد : ما أعرف هذا . راجع وفاء الوفا (١٤٠٤/٤) وما بعدها) .

وفى تحفة ابن عساكر : ليس من السنة أن يمس جدار القبر المقدس ، ولا أن يقبله ، ولا أن يطوف به كما يفعله الجهال ، بل يكره ذلك ، ولا يجوز ، فقد روى أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يكره أن يكثر مس قبر النبى ﷺ .

قال البرهان بن فرحون ، وهذا تقييد لما تقدم ، وهو عن ابن عمر فى القبر نفسه .

والخلاصة : أنه ينبغى التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يرتكب المسلم البدع ولكن المحبة الخالصة فى الاتباع وليس فى الابتداء والله سبحانه يقول : ﴿لَا إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾

تعالى - قال : لا بأس به .. قال العزُّ بن جماعة : وهذا يُبْطِلُ مَا نُقِلَ عن النوى من الإجماع^(١) وقال السبكي^(٢) : عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه ، واستند لما روى .. أن مروان مَرَّ على رجل من الأنصار : وهو «أبو أيوب الأنصاري» وهو ملتزم «قبر النبي - ﷺ - فأخذ مروان برقبته ، ثم قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه ، فقال : نعم .. إني لَم آتِ الْحَجَرَ وَلَمْ آتِ اللَّيْنَ ، وإنما جئتُ رسول الله - ﷺ - .. الحديث .

قال : فَإِنْ صَحَّ هَذَا الْإِسْنَادُ ، لَمْ يُكْرَهْ مَسُّ جِدَارِ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ ، قال في الخلاصة :^(٣)

قلت رواه أحمد بسند حسن ، ولفظه : «أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً وجهه على القبر فأخذ مروان برقبته ، ثم قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه فقال : نعم . إني لم آلم الْحَجَرَ إِنَّمَا جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - - سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول : «لَا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ ، وَلَكِنْ ابْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ»^(٤) .

وسبق فعلُ بلال ، لما زار النبي - ﷺ - من الشام بعد أن رأى النبي - ﷺ - يقول له : «أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا ؟ مَا هَذَا الْجَفَاءُ ؟ فَزَارَ ، فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَمْرُغُ وَجْهَهُ عَلَيْهِ»^(٥) .

=فَاتَّبَعُونِي يَحْبِبُكُمْ اللَّهُ= فلا يليق التمسح بالقبر وغيره مما لم يرد فيه دليل صحيح .
(١) انظر المجموع للنوى (٢٧٥/٨) ، وقد ذكر السمهودي في وفاء الوفا أن النوى لم يصرح بالإجماع ، لكن قوة كلامه تفهمه .

(٢) في كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» ، والسبكي من قضاة الشافعية ، كانت بينه وبين الشيخ ابن تيمية خصومات علمية . وقد ألف ابن عبد الهادي من الحنابلة كتاباً أسماه «الصارم التنكي في الرد على السبكي» ينقض به آراء السبكي في شفاء السقام السالف الذكر .

(٣) انظر الخلاصة ص ١٢٩ وما بعدها .
(٤) ضعيف : أخرجه أحمد في المسند (٤٢٢/٥) ، والحاكم في المستدرک (٥١٥/٤) . كتاب الفتن والملاحم .

(٥) سبق بيان درجة هذه القصة ، وأنها مما لا يعتمد عليه شرعاً .

وذكر الخطيب بن حملة .. أن بلالاً - رضي الله عنه - وضع خَدَّيْهِ على القبر الشريف^(١) ، وأن ابن عمر كان يَضَعُ يَدَهُ اليُمْنَى عليه ، ثم قال : ولا شك أن الاستغراق في المحبَّة يَحْمِلُ على الإذْنِ في ذلك ، والقصد به ، والتعظيم ، والناس تَخْتَلِفُ مراتبُهُمْ كما في الحياة ، فمنهم من لا يملك نفسه ، بل يبادر إليه ، ومنهم مَنْ فيه أَنَاةٌ فيتأخَّرُ .. انتهى .

ونُقِلَ عن المحبِّ الطبري وابن أبي الصيف^(٢) جوازُ تقبيل قبور الصالحين ، وكان ابن المنكدر يصيبه الصُّمَّات ، فكان يقوم فيضع خَدَّهُ على قبر النبي - ﷺ - فعوتب في ذلك ، فقال : إنه يستشفى بقبر النبي - ﷺ - وينبغي أن يجتنب الزائر من الانحناء للقبر عند التسليم ، فهو من البدع وأقبحُ منه تقبيلُ الأرض للقبر ، وينبغي أن لا يستدبر القبر المقدَّس في صلاة ، ولا في غَيْرِهَا ولا يصلى إليه .. قال ابن عبد السلام^(٣) : وإذا أردت صلاة فلا تجعل حجرته - ﷺ - وَرَاءَ ظَهْرِكَ ولا بين يديك ، والأدب معه - ﷺ - بعد وفاته مثله في حياته من الاحترام والإطراق وترك الخصام ، وترك الخوض فيما لا ينبغي ، وعن رفع الصوت ، وغير ذلك ، مما هو من التعظيم والإكرام والهيبة والاحتشام ، وينبغي لمن مرَّ وَلَوْ من الخارج ، إِذَا مرَّ بالقبر الشريف أن يقف وَيُسَلِّمَ عليه - ﷺ - ... روى أن رجلاً رأى النبي - ﷺ - في المنام ، فقال له : **«قُلْ لأبي حازم أنت المَارُبِّي معرضاً لا تقف تُسَلِّمُ عَلَيَّ»**^(٤) .

فلم يدع بعد ذلك أبو حازم منذ بلغته الرؤيا «السلام على النبي -

ﷺ» .

(١) كما في وفاء الوفا (١٤٠٥/٤) وخلاصة الوفا (ص١٢٧) وشفاء السقام في زيارة خير الأنام للسبكي (ص٢٤) .

(٢) أحد علماء مكة المكرمة من الشافعية ، وانظر هذا الرأي في المصادر السابقة ، وكذا ما ذكره ابن المنكدر .

(٣) العز بن عبد السلام من كبار علماء الشافعية .

(٤) إسناده القصة ضعيف : ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب «النامات» (ص١٨١) . ط مكتبة القرآن .

والمذاهب الثلاثة .. أبو حنيفة والشافعي والإمام أحمد .. يَسْتَحِبُّونَ الإِكْثَارَ من زيارته - ﷺ - والتسليم عليه ، وكذا من إكثار زيارة الصالحين والتَّبَرُّكُ بهم ، ومذهب مالك .. عدم الإكثار لِئَلَّا يَحْصُلَ الْمَلَلُ ، وَعَمَلُ النَّاسِ والأخيار من العلماء على الإكثار ، لأنها قُرْبَةٌ ، ولأن الإكثار من الخير خير ، وقال النووي : ويستحب الإكثار من الزيارة ، وأن يكثر الوقوف عند قبور أهل الخير والفضل . كذا في الخلاصة .. وينبغي الخروج إلى البقيع كل يوم بعد السلام على النبي - ﷺ - خصوصاً يوم الجمعة ، قال النووي : وَيَقُولُ : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لأحِقُّونَ ، يرحم الله المُسْتَقْدَمِينَ منكم والمُسْتَأْخِرِينَ ، اللهم اغفر لأهل بقيع الفَرَقْد ، اللهم لا تحرمنّا أجرهم ولا تَفْتِتْنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم (٢) .

ثم القبور الظاهرة ، قال بعض الحَنَفِيَّةِ كما في الخلاصة (٣) : إذا خرج من باب البلد ، يأتى قبة العباس بن عبد المطلب ، ثم يختم بِصَفِيَّةَ - رضى الله عنها - في رجوعه ، قال : لأن قبة العباس أوَّلُ مَا يَلْقَى الخارج من البلد ، فمُجَاوَزَتُهُ من غير سلام جَفَوَةٌ ، وفي قبة العباس ، فاطمة - رضى الله عنها - وابنها الحسن ، وأبنها الحسين ، أرسله يزيد ابن معاوية إلى عامله في المدينة ، فكفن ودفن عند أخيه الحسن - رضى الله عنهما - وعنده على زين العابدين بن الحسين ، ومحمد الباقر ابنه ، وجعفر الصادق ابنه ، فينبغى أن يُسَلَّمَ عليهم جميعاً - رضى الله عنهم - والعمل الآن الْبَدْءُ بِمَشْهَدِ سيدنا عثمان - رضى الله عنه (٤) .

(١) انظر في ذلك وفاء الوفا (١٤٤٦/٤) وخلاصة الوفا (ص١٢٨) وشفاء السقام (ص١٩) وكتب الفقه على المذاهب الأربعة باب الزيارة .

(٢) وهذا معنى كلام لحدّث شريف صحيح . أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح . وانظر الخلاصة (ص١٢٨) .

(٣) هو العلامة فضل الله ابن الغوري من كبار علماء الحنفية . انظر الخلاصة (ص١٣١) .

(٤) وفاء الوفا (١٨٨٣/٤) ، وخلاصة الوفا (ص١٣٢) .



فصل : وهناك خارج البقيع



قبة سعد بن معاذ الأشملى وفى جنبه

أبو سعيد الخدرى رضى الله عنهما

وعند العامة يقولون : قبة فاطمة بنت أسد ، والصحيح ، كما قال السيد السمهودى فى الخلاصة^(١) : إن فاطمة بنت أسد أمّ عليّ - رضى الله عنها - فى قبة سيدنا إبراهيم عند عثمان بن مظعون^(٢) والظاهر كما قاله : أن جميع بناته هناك فى قبة سيدنا إبراهيم ، لما روى عنه - ﷺ - أنه قال لما وُضِعَ الحجر عند رأس عثمان بن مظعون «أَتَعْلَمُ به قبر أخى وأدفن إليه مَنْ مات من أهلى»^(٣) ونزل النبی - ﷺ - فى قبر فاطمة بنت أسد واضطجع فيه وقرأ القرآن . وقال : ﷺ - بعدما نزع قميصه وكفنها فيه ثم صلى عليها عند قبرها فكَبَّرَ تسعا وقال : «ما أغفى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنتُ أسد - رضى الله عنها»^(٤) قيل : يارسول الله - ﷺ - ولا القاسم ؟ قال - ﷺ - «ولا إبراهيم» وكان إبراهيم أصغرهما .

ونقل ابن شبة أنه - ﷺ - لم ينزل فى قبر أحد إلا خمسة قبور - قبر خديجة بمكة ، وقبر ابن لخديجة كان فى حجر النبی - ﷺ - ، وقبر أمّ رومان أمّ عائشة بنت أبى بكر الصديق - رضى الله عنهما ، وقبر عبد الله المزنى ، الذى يقال له : ذو البجادين ، وقبر فاطمة بنت أسد المذكورة^(٥) ، وعن أنس قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد ، دخل عليها رسول الله - ﷺ - فجلس عند رأسها وقال «رَحِمَكَ اللهُ يَا أُمِّى بعد

(١) الخلاصة (٤٢٠) . (٢) ترجمته فى الاستيعاب . (٣) انظر الخلاصة (٤٢٠) .

(٤) عزاه فى الخلاصة إلى محمد بن على بن أبى طالب (٤٢١) .

(٥) انظر الخلاصة (٤٢١) .

أُمِّي،^(١) وذكر ثناءً عليها وتكفينه ببرده وأمره بحفر قبرها ، قال : فَلَمَّا
بلغوا اللَّحْدَ حضره رسولُ الله - ﷺ - بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ
دخل رسولُ الله - ﷺ - فاضطجع فيه ثم قال :

«الله الذي يحيى ويميت وهو حي لا يموت ، اغفر لي ولأُمِّي فاطمة
بنت أسد ، ووسّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين قبلي فإنك
أرحم الراحمين»^(٢) .

وفى قبة إبراهيم «عبد الرحمن بن عوف» ، و«عبد الله بن مسعود» ،
و«سعد بن أبي وقاص» ، و«خُنَيْس بن حذافة السهمي»^(٣) زوج حفصة
بنت عمر قبل النبي - ﷺ - وكان من أصحاب البحرتين استشهد بأحد ،
ودفن عند عثمان بن مظعون - رضى الله عنهما ، وتوفى - أى عثمان بن
مظعون . فى شعبان فى السنة المذكورة الثالثة ، وأسعدُ بن زرارة^(٤)
ممن شهدَ العقبتين ، قال فى الخلاصة^(٥) : فينبغى السلام على هؤلاء
كلّهم عند زيارة مشهَد سيدنا إبراهيم بن رسول الله - ﷺ - قبة الأزواج
ما عدا خديجة فبمكة ، وميمونة فبسرف ، وعند قبة الأزواج مشهَدُ
«عقيل بن أبى طالب» فيه قبر «أبى سفيان بن الحارث»^(٦) قيل : إنه
حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام - رضى الله عنه - ودفن فيه بعد مقدّمه
من الحج سنة عشرين من الهجرة ، وأما «عقيل بن أبى طالب»^(٧) فتوفى
بالشام ، قيل : معه فى دار «عقيل» «عبدُ الله بن جعفر الطيّار بن أبى
طالب» الذى كان أجود العرب ، وقيل : توفى بالأبواء ، وقبة مالك
صاحب المذهب ، وعنده قبة نافع مولى ابن عمر ، وقبة ولد عمر بن
الخطّاب - رضى الله عنهما - أبو شحمة جلدَه أبوه الحدّ فمات - رضى

(١) ضعيف : أخرجه الحاكم فى المستدرک والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وفيه روح بن صلاح
اختلفوا فى توثيقه . انظر الخلاصة (٤٢١) .

(٢) انظر الخلاصة (٤٢٢) .

(٣) هو خنيس بن حذافة السهمي ، صحابى ترجمته فى الاستيعاب (٤٥٤/٢) .

(٤) ترجمته فى الاستيعاب (٨٠/١) . (٥) انظر الخلاصة (٤٢٣) .

(٦) ترجمته فى الاستيعاب (١٦٦٣/٤) . (٧) الاستيعاب (١٠٧٨/٣) .

الله عنهم قبة بنات النبي - ﷺ - وسبق أنهن عند قبة إبراهيم على الأظهر كما اختاره في الخلاصة^(١) ، قبة صفية عمة النبي - ﷺ - عند باب السور ، وفي داخل السور قبة سيدنا «إسماعيل بن جعفر الصادق» : يقابل مشهد «العباس» ، وفي البقيع عند قبة العباس دار الحزن لفاطمة - رضى الله عنها - وغيرهم من الصحابة ، ومن أهل البيت ، والأولياء الصالحين عدد كثير غير معلومين - رضى الله عنهم .

فينبغي أن يسلم على الجميع ويتوسَّل بالجميع ، حشرنا^(٢) الله في زمريتهم - ، قال في الخلاصة^(٣) : وأما مَنْ دُفِنَ في البقيع ، فأكثر الصحابة ممن توفى في حياة النبي - ﷺ - وبعده به ، وفي مدارك عياض عن مالك^(٤) ، أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف... انتهى .. ثم قال : وكذا سادة أهل البيت والتابعين غير أن غالبهم لا يعرف عين قَبْره ولا جهته ، لاجْتِنَاب السَّلَف البناء والكتابة على القبور مع طول الزمان غير من ذكرنا ، عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : كان كلما (كانت)^(٥) ليلتى منه يخرج النبي - ﷺ - من آخر الليل إلى البقيع فيقول :

«السلامُ عليكم دار قومٍ مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون ، وإن شاء الله بكم لا حقون .. اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد»^(٦) .

وفي رواية .. قالت : ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع ، فقام فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات .. الحديث وفيه : «أتانى - أى

(١) انظر الخلاصة (٤٢٨) .

(٢) هذا الكلام مرفوض لدى أهل السنة والجماعة ، فالزيارة المشروعة يجب أن لا يتخللها ما نهى الشارع عنه .

(٣) انظر الخلاصة الفصل الخامس في فضل مقابرهما وتعيين بعض من دفن بالبقيع من الصحابة .

(٤) الخلاصة (ص ٤١٨) . (٥) ساقطة من الأصل والتكميل من الخلاصة (٤١٤) .

(٦) صحيح : أخرجه مسلم في الجنائز . باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٦٦٩/٢) .

جبريل - حين رأيت، فناداني، فأخافه منك فأخفيتك منك، فقال : إن
 ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع ، فتستغفر لهم ، قلت : كيف أقول لهم
 يا رسول الله ؟ قال : «قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين
 يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا ، إن شاء الله ، بكم
 للاحقون» (١) .

وفي رواية الموطأ : «قام رسول الله - ﷺ - ذات ليلة فلبس ثيابه ، ثم
 خرج ، فأمرت جاريتي «بريرة» تتبعه ، فتبعته حتى جاء البقيع ، فوقف
 في أدناه ، ما شاء الله أن يقف ، ثم انصرف ، فسبقتني ، فأخبرتني ، فلم
 أذكر شيئاً حتى أصبح ، ثم ذكرت له ، فقال : «إني بعثت إلى أهل البقيع
 لأصلي عليهم» (٢) .

وفي رواية ابن شبة - قال - ﷺ - في دعائه :

«اللهم لا تحرمننا أجرهم ولا تفتنا بعدهم» (٣) .

وفي رواية .. وكان ذلك في ليلة النصف من شعبان ، وعن ابن عباس
 مراً - ﷺ - بقبور أهل المدينة ، فأقبل عليهم بوجهه ، وقال : «السلام
 عليكم يا أهل القبور ، ويغفر الله لنا ولكم ، أنتم لنا سلف ونحن
 بالآثر» (٤) .

ولابن شبة عن أبي موهبة مولى رسول الله - ﷺ - قال : أهبطني
 رسول الله - ﷺ - من جوف الليل ، فقال : «إني أمرت أن استغفر لأهل
 البقيع ، فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال :
 «السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح
 الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة
 (١) صحيح : أخرجه مسلم في الجنائز . باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها
 (٦٧٠/٢) .

(٢) صحيح : أخرجه مالك في الموطأ . باب جامع الجنائز من كتاب الجنائز (٥٥) ، والنسائي
 في كتاب الجنائز . باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين .
 (٣) راجع الخلاصة (٤١٤) . (٤) حسن : الترمذي في الجنائز .

شر من الأولى ، ثم استغفر لهم طويلاً، (١) .

ولابن زبالة تلميذ مالك - صاحب المذهب - عن خالد بن عوسجة -
قال : كنت أدعو ليلة إلى زاوية دار عقيل بن أبى طالب - رضي الله عنه - التى
تلى باب الدار ، فمر بى سيّدنا جعفر بن السيد محمد الباقر يريد
العُرَيْض ، معه أهله ، فقال لى : أَعَنْ أَثْرَ وَقَفْتَ ههنا ؟ قلت : لا ، قال :
هذا موقف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالليل ، إذا جاء يستغفر لأهل البقيع ،
قال المراغى : فينبغى الدعاء فيه ، والدُّعاء فيه مستجاب ، بل فى جميع
الأماكن التى دعا بها - صلى الله عليه وسلم - كلها أاماكن إجابة : يستحب الدعاء
فيها» (٢) .

وعن كعب القرظي - رفعه «مَنْ دُفِنَ فى مَقْبَرَتِنَا هذه شفّعنا له - أو
شهدنا له» (٣) .

رواه ابن شبة وابن زبالة ، وسبق أحاديث فى الحثّ على الموت بالمدينة
المنورة فى جوار سيد الأولين والآخرين . وأنه - صلى الله عليه وسلم - أول مَنْ يشفع
لهم ، وأنه شفيع وشهيد لهم ، وأنه من الأمنين يوم القيامة .. ، وقال -
صلى الله عليه وسلم :

«يُحْشَرُ من هذه المقبرة سبعون ألفاً ، يدخلون الجنة بغير حساب ،
كَانَ وجوههم القمر ليلة البدر» .. فقام رجل فقال : يا رسول الله وأنا ؟
فقال : «وَأَنْتَ» . فقام آخر ، فقال يا رسول الله ، وأنا ؟ فقال «سَبَقَكَ بها
عَكاشة» قال : قلت لها . أى لراوية الحديث «أم قيس» أخت عكاشة : لم
لَمْ يقل للآخر ؟ فقالت : أَرَأَهُ منافقاً» (٤) .

وفى رواية ابن شبة عن ابن المنكر - مرسلأ - «يحشر من البقيع

(١) عزاه فى الخلاصة (٤١٤) إلى ابن شبة فى تاريخ المدينة .

(٢) انظر الخلاصة (٤١٥) . (٣) انظر الخلاصة (٤١٦) .

(٤) ضعيف : عزاه فى الخلاصة إلى الطبرانى فى الكبير وابن شبة فى تاريخ المدينة ، وفيه من لا
يعتمد به من رجال الإسناد (٤١٥) .

سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر ، كانوا لا يكتوون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون»^(١) وفى التوراة .. أن مقبرة حرتين محفوفة بالنخيل اسمها «كفته» يبعث الله منها سبعون ألفاً على صورة القمر ، ومن أسماء البقيع فى التوراة «كفته» .

وعن كعب الأحبار قال : نجدها فى التوراة كفته ، محفوفة بالنخيل وموكل بها الملائكة كلها امتلأت .. أخذوا بأطرافها فكفوها فى الجنة .. قال الواقدي : يعنى «تسرع بالبلا» .

وعن جابر - رفعه - «يبعث الله من هذه المقبرة واسمها كفته مائة ألف كلهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يسترقون ولا يرقون ، ولا يتداوون وعلى ربهم يتوكلون»^(٢) .

وفى رواية المطلب بن خطب - رفعه - «يُحْشَرُ من مقبرة المدينة - يعنى البقيع - سبعون ألفاً لأحساب عليهم ، تضئ وجوههم غمدان اليمن»^(٣) .

وعن أبى سعيد - فى مقبر المدينة ، عن كعب الأحبار ، فى مقبرة بنى سلمة : «أن مقبرة بغربى المدينة على حافة سيل يحشر منها سبعون ألفاً ليس عليهم حساب»^(٤) .

وقال أبو سعيد المقبرى لابنه : إن أنا هلكت فادفنى فى مقبرة بنى سلمة التى سمعت من كعب ، وعن أبى هريرة مثله ، وعن جابر وأبى عتيق وغيرهما من مشيخة بنى حزام - رفعوه «مقبرة بغربى المدينة بين سيلين يضئ نورها يوم القيامة ما بين السماء إلى الأرض»^(٥) روى أنه دفن فى مقبرة بنى سلمة من شهداء أحد منهم «أبو عمرة ابن سكن»^(٦) أول من دفن فى هذه المقبرة بأمره - ﷺ .

(١) ضعيف : عزاه فى الخلاصة لابن شبة الذى رواه عن ابن المنكدر مرسلًا فى تاريخ المدينة (٤١٥) .

(٢) كل هذه الآثار من الإسرائيليات وقد ذكرها السهردى فى الخلاصة (٤١٦) .

(٣) عزاه فى الخلاصة لابن زبالة (٤١٧) . (٤) انظر الخلاصة (٤١٧) .

(٥) انظر الخلاصة (٤١٧) . (٦) ترجمته فى الاستيعاب



فصل : وينبغي أن يُزار



سيدنا مالك بن سنان فى مشهده أى مالك ابن سنان

فى سوق المدينة القديم ملاصق السُّور بها محراب ، وسبيل ، وهو مجرب لقضاء الحوائج^(١) وكان شهد الواقعة مع رسول الله - ﷺ - بأحد واستشهد بأحد ، وابنه أبو سعيد الخدرى - رضى الله عنهما - مدفون فى آخر البقيع مع قبة سعد بن معاذ - رضى الله عنهم - ويزور مشهد النفس الزكية : محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهم - المقتول أيام أبى جعفر المنصور ، وكان كثير من الناس قد بايعه ، فخرج على المنصور بعد حبسه لأبيه وأقاربه ، فجَهَّز إليه المنصور عَمَّهُ «عيسى» فى أربعة آلاف فاستشهد عند أحجار الزيت ، عند مشهد مالك بن سنان ، قيل : ويسبب النفس الزكية محمد المذكور . ضَرَبَ «عيسى» المذكور مَالِكاً - رضى الله عنه - وكان معه ذو الفقار سيف على - رضى الله عنه - ثم انتقل إلى الرشيد .

(١) كل هذه الأمور من قضاء الحاجات ونحوها بهذه الطريقة غير مشروعة .



فصل : وينبغي أن يزور



سيدنا حمزة - رضي الله عنه - وشهداء أحد

ويزور أحداً أيضاً لكونه ، كان يحبّ رسول الله - ﷺ - لقوله - ﷺ - :
 «هذا أحد يحبنا ونحبه»^(١) وهو من جبال الجنة ، ولما أقبل من تبوك .
 قال - ﷺ - «هذه طابة وهذا جبل يحبنا ونحبه»^(٢) وفي رواية ابن شبة .
 نظر - ﷺ - إلى أحد فكبر ، ثم قال : «جبل يحبنا ونحبه جبل ساير
 ليس من جبال أرضنا، وفي أخرى «وإذا جاء من سفر، فبدّله أحد» قال :
 «هذا جبل يحبنا ونحبه»^(٣) .

وعن أبي هريرة ... لما قدمنا من غزوة خيبر ، وبدا لنا أحد ، قال - ﷺ - :
 «هذا جبل يحبنا ونحبه على باب من أبواب الجنة ، وهذا غيرُ
 يبغيضنا ويبغيضه على باب من أبواب النار»^(٤) .

وعن أنس - رفعه : «أحدُ جبلٍ يحبنا ونحبه ، فإذا جئتموه فكلوا من
 شجره ولو من عِصَاهِهِ»^(٥) .

وعنه «أحد على باب من أبواب الجنة»^(٦) الحديث .

وكانت عيال أنس - رضى الله عنهما - كانت ترسل ولائدتها فتقول :
 اذهبوا إلى أحد فأتوني من نباته لحديث أنس ، وكانت تعطينا منه قليلاً
 قليلاً فَنَمَضُغُهُ .

وعن داود بن الحصين .. رفعه : «أحدُ على ركن من أركان الجنة ،
 وغير على ركن من أركان النار»^(٧) .

(١) صحيح : أخرجه مسلم في كتاب الحج . باب أحد جبل يحبنا ونحبه (١٠١١/٢) ،
 وأحمد ، والترمذي ، وابن ماجه .

(٢) (٣، ٤، ٥) صحيحه كلها . راجع مشكاة المصابيح ، والجامع الصغير للسيوطي

(٦) عزاه في الخلاصة لابن شبة في تاريخ المدينة مرفوعاً .

(٧) عزاه في الخلاصة إلى ابن يعلى في مسنده .

وعن عمرو بن عوف - رفعه : «أربعة أجيال من أجيال الجنة ، وأربعة
أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة ، قيل : فما
الأجيال ؟ قال : «أحدُ يحبنا ونحبه من جبال الجنة ، وورقان جبل من
جبال الجنة ، والطور جبل من جبال الجنة ، ولبنان جبل من جبال
الجنة» (١) الحديث .

وعن أنس رفعه - «لما تجلى الله - عز وجل - للجبل طارت لعظمته
سنة أجبل ثلاثة بالمدينة أحد ، وورقان ، ورضوى ، وثلاثة بمكة حراء ،
وثبير ، وثور» (٢) .

تنبه : قال في الخلاصة (٣) : وسمى أحداً لتوجهه وتوحيد أهله
ونصرهم لمُطهر التوحيد - ﷺ - ، وأما حبُّ أحد فعقيقة من الطرفين ،
كما صححه النووي وغيره ولذا كان من جبال الجنة ، إذ المرء مع مَنْ
أحبَّ ، كما وقع التسبيح من الجبال ..

وقد خاطبه - ﷺ - مخاطبة مَنْ يعقل لما اضطرب ، فقال : «اسكن
أحد، وحنَّ الجذعُ إليه - ﷺ - حتى سمع القومُ الحنين .

روى أن هارون توفى بالمدينة لما مرَّ هو وأخوه موسى - عليهما
السلام - حاجين فنزلا أحداً مستخفين من اليهود ، فدفن بأحدٍ عليه
السلام (٤) ، رواه ابن شبة عن جابر - رضى الله عنه .

وأما ما يذكرون ، أن النبي - ﷺ - اختفى بفار في أحد ، وموضع
في الجبل أيضاً منقور في صخرة على قدر رأس الإنسان وأنه - ﷺ -
قعد على الصخرة التي تحته ، فأدخل رأسه هناك ، كلُّ هذا لم يرد به
النقل ، فلا يعتمد عليه ، وأما الشهداء الذين عَيَّنَهُم في الخلاصة ،

(١) عزاه إلى الطبراني في الكبير عن عمرو بن عوف مرفوعاً . كذا في الخلاصة وهو ضعيف جداً .

(٢) عزاه إلى ابن شبة في تاريخ المدينة عن أنس بن مالك مرفوعاً .

(٣) الخلاصة (٤٣٦) . (٤) هذا الأثر من الإسرائيليات .

فحمزة - رضي الله عنه - هو سيد الشهداء ، أسد الله وأسد رسوله - ﷺ -
وعنده عبد الله بن جحش^(١) ، وهو ابن أخت حمزة - رضي الله عنه - ونفعا به ،
ومصعب بن عمير^(٢) فيسلم على هؤلاء الثلاثة ، في مشهد سيدنا حمزة
- رضى الله عنهم - ومنهم سهل بن خنيف وعمرو بن الجموح^(٣) وعبد
الله بن عمرو بن حرام^(٤) في قبر واحد ، ومنهم خارجة بن زيد^(٥) ،
وسعد ابن الربيع^(٦) ، والنعمان ، وعبد الله بن الحشاش^(٧) ، وقبرهم
مما يلي المغرب ، نحو خمسمائة ذراع وأبو أيمن مولى عمرو^(٨) معهم ،
وكذا خلاد بن عمرو بن الجموح^(٩) ، فيسلم على هؤلاء الثمانية هناك
بالريقة التي غربى المسيل ، ومجرى العين بقريهم من القبلة .

وأما بقية الشهداء ، فلا تعرف قبورهم ، والذي يظهر أنها بقرب
الموضع المذكور ، وقرب قبر حمزة - رضي الله عنه - بالريوة المذكورة من شاميها ،
وقد اتخذ على الريوة أعلاماً ، فيسلم عليهم - رضى الله عنهم ، وروى
أنه - ﷺ - أمر بدفن الشهداء حيث مضارعهم ، وكان - ﷺ - يزورهم
فى كل حول كما فى النسائي ، فيقول : «سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار، وكان إذا واجه الشعب قال : «سلام عليكم بما صبرتم فنعم
أجر العاملين، ولأبى داود أنه - ﷺ - خرج يريد قبور الشهداء حتى إذا
أشرفنا على حرة واقم فلما تدلينا منها ، فإذا قبور بمحنيه ، فقلنا يا
رسول الله . أقبور إخواننا هذه ؟ قال «قبور أصحابنا، فلما جئنا قبور
الشهداء بأحد قال «هذه قبور إخواننا» .

وفى صحيح البخارى أنه - ﷺ - صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين
كالمدود للأحياء والأموات .

وكانت فاطمة - رضى الله عنها - تزور قبر عمها حمزة - رضى الله

- | | |
|----------------------|---------------------|
| (١) الاستيعاب (٨٧٧/) | (٢) الاستيعاب . |
| (٣) الاستيعاب . | (٤) الاستيعاب (٩٤٥) |
| (٥) الاستيعاب . | (٦) الاستيعاب . |
| (٧) الاستيعاب . | |

عنه - تُرْمُهُ وتُصلحُهُ في كل جمعة ، فتصلى وتبكي عنده - رضى الله عنها - وتعلمه بحجر ، وفي رواية .. أنها كانت تختلف بين اليومين والثلاثة إلى قبور الشهداء بأحد ، فتصلى وتدعو وتبكي حتى ماتت - رضى الله عنها - وفي رواية البيهقي : زار النبي - ﷺ - قبور الشهداء بأحد ، فقال : «اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء وأنه من زارهم أو سلم عليهم إلى يوم القيامة زدوا عليه» وروى أن امرأة صالحة زارت الشهداء فسلمت عليهم ، فسمعت رد السلام ، وقالوا : والله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضاً ، قالت : فاقشعرت .

وسمع بعضهم رد السلام من سيدنا حمزة - رضي الله عنه - بقوله «وعليكم السلام ورحمة الله» .

وروى عن هاشم بن محمد القُمري أن والده زار سيدنا حمزة يوم الجمعة ، فرفع صوته ، فقال : «سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» فأجيب ، وعليكم السلام ، فجعل كلما يسلم ، يرد عليه السلام مرات ، فخر ساجداً شكراً لله تعالى ، والمشهور أن الشهداء الذين استشهدوا بأحد سبعون رجلاً - رضى الله عنهم - ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة .



فصل : فى فضل ترابها وثمرها

وأنَّ غبار المدينة شفاء من كل داءٍ ومن الجذام
وفى فضل تراب الشفاء وفضل المدينة المنورة مطلقاً
ونفيها الخبث والحيث . وإبقالها الطيب

رَوَى حديث «غبار المدينة شفاء من الجذام»^(١)، ولما رجع - ﷺ - من تبوك، وتَلَقَّاه رجال من المخلفين من المؤمنين ، فأثاروا غباراً فَخَمَّرُوا فَفَطَّى بعضُ من كان مع رسول الله - ﷺ - أَنْفَهُ ، فأزال رسولُ الله - ﷺ - اللثام عن وجهه ، وقال ﷺ : «والذى نفسى بيده إنَّ فى غبارها شفاءً من كل داءٍ ، ومن الجذام والبرص»^(٢) .

رواه ابن الأثير فى جامع الأصول كما فى الخلاصة ، وعن ابن عمر - رضى الله عنها - نحوه ، وقال : فَمَدَّ رسول الله - ﷺ - يده فأماطه عن وجهه ، وقال : «أما علمت أن عجوة المدينة شفاء من السقم ، وغبارها شفاء من الجذام»^(٣) .

وفى رواية .. قال «غبار المدينة يطفىء الجذام»^(٤) .

قال السيد العلامة السمهودى - رحمه الله - فى الخلاصة^(٥) : وقد شاهدنا من استشفى به منه وكان قد أضربه فنفضه جداً .. وعن ابن زباله عن يحيى بن الحسن بن جعفر الحجَّة العلوى أن النبى - ﷺ - أتى أبا الحارث^(٦) ، فإذا هم رُؤْيَى فقال : «ما بالكم يابنى الحارث رؤى؟»
(١) ضعيف جداً : أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وعزاه إلى أبى نعيم فى الطب ورمز له بالضعف (٧٥/٢) .

(٢) ضعيف جداً : أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وعزاه إلى ابن السنى وأبى نعيم عن أبى بكر بن محمد ورمز له بالضعف (٧٥/٢) .

(٣) ضعيف جداً : انظر تخريج الحديث السابق .

(٤) ضعيف جداً : أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وعزاه إلى الزبير بن بكار فى أخبار المدينة ورمز له بالضعف (٧٥/٢) .

(٥) انظر الخلاصة (ص ٤٤) فصل فى ترابها وثمرها .

(٦) كذا بالأصل والذى فى الأحاديث «بلحرت» ، وهم أهل حديقة الغرس .

قالوا : أصابنا يا رسول الله هذه الحمى . «قال أين أنتم عن صُعَيْب» قالوا يا رسول الله ما نصنع به ؟ قال «تأخذون من ترابه ، فتجعلونه فى ماءٍ تم يتفل عليه أحدكم بسم الله - تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا» .. ففعلوه ، فتركتهم الحمى (١) وصعيب وادى بُطْحَانَ دون الماجشونية المعروفة اليوم بالمدشونية ، وفيه حفرة مما يأخذ الناس منه ، وإذا أَوْبَى (٢) إنسان أخذ منه ، وقد جَرَّبُوهُ فوجدوه صحيحاً قال : وهذه الحفرة موجودة يأثرها الخَلْفُ عن السَّلَفِ ، وينقلون ترابها للتداوى وذكر صاحب القاموس المَجْد .. أن جماعة من العلماء ذكروا أنهم جربوه للحمى فوجدوه صحيحاً ، وأنا سقيته غلاماً لى مريضاً من نحو سنه تواظبه الحمى ، فانقطعت عنه من يومه وأن ترابه يجعل فى الماء، ويُغْتَسَلُ به من الحمى ، قلت (٣) : فينبغى أن يفعل أولاً ماورد ، ثم يجمع بين الشرب والغسل ، وفى الصحيحين - كان رسول الله ﷺ : إذ اشتكى الإنسان أو كان به قرحة أو جرح ، قال : بأصبعه هكذا ، ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها وقال : «بسم الله تُرْبَةُ أرضنا بريق بعضنا يُشْفَى سقيمنا بإذن ربنا» (٤) وفى رواية .. بريقة بعضنا ، ثم قال : به فى التراب ، ولابن زبالة :

أن رجلاً أتى به رسول الله - ﷺ - وبرجله قرحة ، فرفع رسول الله - ﷺ - طرف الحصير ثم وضع أصبعه التى تلى الإبهام على التراب بعدما مَسَّها بريقه ، وقال : «بريق بعضنا بترية أرضنا ، يُشْفَى سقيمنا بإذن ربنا ، ثم وضع أصبعه على القرحة ، فكانما حُلٌّ من عِقال (٥) ولابن زبالة مرفوعاً .

(١) ضعيف : أخرجه ابن النجار ويحيى بن الحسن كلاهما من طريق ابن زبالة . كذا فى الخلاصة (٤٢) .

(٢) أوبى : أصابه الوباء والمرض . (٣) انظر الخلاصة (٤٢) .

(٤) متفق عليه : البخارى فى كتاب الطب . باب الرقية ، ومسلم فى السلام ، باب استحباب الرقية .

(٥) انظر تخريج الحديث الذى قبله .

« مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ مِنَ الْعَجْوَةِ - لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ مِنَ الْعَالِيَةِ -
لَمْ يَضُرَّهُ يَوْمُهُذِ سُمٌّ وَلَا سَحَرٌ ^(١) » وفى رواية مسلم :- « من أكل سبع
تمراتٍ من ما بين لابتيها حين يصبح لم يضره شئ حتى يُمسي ^(٢) »
وفى رواية أحمد :- « من أكل سبع تمراتٍ مما بين لابتي المدينة على
الريق لم يضره فى يومه ذلك شئ حتى يمسي وإن أكلها حين يصبح لم
يضره شئ حتى يمسي ^(٣) » .

وفى الصحيحين « مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ فِى ذَلِكَ
الْيَوْمِ سُمٌّ وَلَا سَحَرٌ ^(٤) » ولمسلم « إن فى عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءً وَأَنَّهَا تَرِيَّاقٌ
أَوَّلُ الْبِكْرَةِ ^(٥) » .

ولأحمد « واعلموا أن الكمأة دواءٌ للعين ، وأن العجوة من فاكهة
الجنة ^(٦) » .

وللطبرانى : فى الثلاثة وغيره « الكمأة من المن وماؤها شفاءٌ للعين
والعجوة من الجنة وهى شفاء من السم ^(٧) » وعن سعد بن أبى وقاص -

(١) صحيح : أخرجه مسلم فى كتاب الأشربة . باب فضل تمر المدينة (١٦١٩/٣) .
(٢) صحيح : أخرجه مسلم فى كتاب الأشربة . باب فضل تمر المدينة (١٦١٨/٣) ، والعالية
فى الحديث ما كان من الحوائط والقرى والعمارات من جهة المدينة العليا مما يلى نجد ، والسافلة من
الجهة الأخرى مما يلى تهامة .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد فى المسند (١٦٨/١) ، (١٧٧) .

(٤) متفق عليه : أخرجه البخارى ومسلم .

(٥) صحيح : أخرجه مسلم فى كتاب الأشربة . باب فضل تمر المدينة (١٦١٩/٣) . وأول
البكرة يعنى فى الصباح . قال الإمام النووى : وفى هذه الأحاديث فضلة تمر المدينة وعجوتها ،
وفضيلة التصبح بسبع تمرات منه . وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها ، وعدد السبع من الأمور التى
علمها الشارع ولا نعلم نحن حكمتها ، فيجب الإيمان بها ، واعتقاد فضلها والحكمة فيها ، وهذا
كأعداد الصلوات ، ونصب الزكاة ، فهذا هو الصواب فى هذه الأحاديث .

(٦) صحيح : أخرجه أحمد فى المسند (٣٥١/٥) ، والكمأة : يفتح الكاف وسكون الميم :
نبات لا ورق له ولا ساق ، توجد فى الأرض من غير أن تزرع ، وسميت بذلك لاستئثارها .

(٧) صحيح : أخرجه الطبرانى فى الكبير . وأوله فى البخارى إلى قوله والعجوة ، كتاب الطب
باب المن شفاء للعين حديث (٥٧٠٨) ، وفى معنى المن عدة أقوال منها : المن الذى أنزل على بنى
إسرائيل ، وهو الطل الذى يسقط على الشجر ، فيجمع ويؤكل حلوا . ومنها : المن الذى امتن الله به
عباده عفواً بغير علاج .

رضى الله عنه قال : مرضت ، فأتاني رسولُ الله ﷺ - يعودني «فوضع يده بين ثديي ، حتى وجدتُ بردها على فؤادي ، فقال - ﷺ «إنك رجلٌ مفؤدات الحارث بن كَلْدَةَ أَخَا ثَقِيف ، فإنه رجلٌ يُطَبِّبُ ، فليأخذ سبع تمراتٍ من عجوة المدينة فليجأهُنَّ ثمَّ ليلُكَ بهنَّ»^(١) أى يسقيك ، يقال: لَدَهُ ، إذا سقاه الدَّوَاءَ فى أحد جانبي الفم . وعن عائشة - رضى الله عنها - أنها كانت تأمر للدَّوام والدَّوار بسبع تمراتٍ عجوة فى سبع غدوات على الريق ، وعن ابن عباس - كان أحب التمر إلى رسول الله - ﷺ - العجوة^(٢) ، ولأحمد قال ﷺ .

«خير تمرِكم البرتنى يُخْرِجُ الدَّاءَ ، ولاداء فيه»^(٣) وكان رسول الله - ﷺ - إذا أتى بالباكورة من الثمار قَبَّلَهَا ، ثم وضعها على عينيه ، ثم قال: «اللهم كما أطعمتنا أوله فأطعمنا آخره ، ثم أمر به للمولود من أهله»^(٤) وكان - ﷺ - إذا أتى بالباكورة من التمر قبلها ، وجعلها على عينيه..

وكان - ﷺ - إذا أتى بالباكورة من كل شىء قبلها ثم وضعها على عينيه اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً - الحديث .. كذا فى نوارد الأصول.. قال رسول الله ﷺ .

«يا عائشة إذا جاء الرطب فهينمى»^(٥) وكان رسول الله - ﷺ - يعجبه أن يفطر على الرطب فى أيام الرطب ، وعلى التمر إذا لم يكن رطب ، ويختم بهنَّ ويجعلهنَّ وتراً ثلاثاً أو خمساً أو سبعا ، قال فى الخلاصة : وأنواع تمر المدينة كثيرة ذكرنا فى الأصل نحو مائة . ويضع وثلاثين نوعاً منها الصيحاني ، وفى فضل أهل البيت لابن المؤيد عن

(١) ضعيف : أخرجه أبو داود فى كتاب الطب . باب فى تمر العجوة حديث (٣٨٧٥) ، والتبريزى فى مشكاة المصابيح حديث (٤٢٢٤) .

(٢) ضعيف جداً : ذكره السيوطى فى الجامع الصغير (١٠٥/٢) وعزاه إلى أبى نعيم فى الحلية.

(٣) ضعيف جداً : ذكره الذهبي فى الطب النوى وعزاه إلى أبى نعيم .

(٤) ضعيف جداً : ذكره السيوطى فى الجامع الصغير (١٠٦/٢) وعزاه إلى ابن السنى

والطبرانى .

(٥) ضعيف جداً : أخرجه الحكيم الترمذى فى نوارد الأصول (١٣٣) .

جابر - ﷺ - قال : كنت مع النبي - ﷺ . يوماً فى بعض حيطان المدينة ، ويدُ عليّ فى يده ، قال : فمررنا بنخل ، فصاح النخل هذا محمد رسول الله - ﷺ - سيد الأنبياء ، هذا على سيد الأولياء أبو الأئمة الطاهرين ، ثم مررنا بنخل فصاح النخل هذا محمد سيد الأنبياء ، وهذا على سيف الله ، فالتفت النبى - ﷺ - إلى على فقال له « سَمِعَهُ الصَّيْحَانِ (١) فَسَمِعُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ الصَّيْحَانِ ، والمراد نخل ذلك الحائط ، وفى المدينة موضع يعرف بالصيحيانى - انتهى .

وقال فى الخلاصة ، (٢) فى الباب الأولى فى الفصل الثانى : المدينة أفضل من سائر البلاد مطلقاً لوجوه ذكر منها . كونه ﷺ فيها - قال ابن الجوزى فى الوفا- عن عائشة - رضى الله عنها قالت : لما قبضَ رسول الله - ﷺ - اختلفوا فى دفنه ، فقال عليّ - رضى الله عنه إنه ليس فى الأرض بقعة أكرم على الله من بقعة قبضَ فيها نفسَ نبيّه - ﷺ - فهذا أصل الإجماع على تفضيله ، ولقول أبى بكر الصديق - ﷺ - حينئذ سمعت رسول الله - ﷺ يقول : « لا يقبض النبى إلا فى أحب الأمكنة إليه ، (٣) وأحبها إلى رسول الله ﷺ أحبها إلى الله تعالى - لأن حبه - ﷺ - تابع لحبِّ ربّه وقد صحَّ

«اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدَّ (٤)» أى بل أشد أو وأشد ، وأجيب دعاؤه - ﷺ - حتى إذا كان غائباً وجاء أَوْضَعَ أى أسرع- وحرك دابته إذا رآها من حبّها ، وقال - ﷺ .

«ما على الأرض بقعة أحب إلى من أن يكون قبرى منها» (٥) .

وقال - ﷺ «اللهم إنك أخرجتنى من أحبِّ البقاع إلئى فأسكننى فى أحبِّ البقاع إليك (٦)» .

(١) موضوع : الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول .

(٢) انظر الخلاصة (١٨) الباب الثانى فى تفضيلها على البلاد .

(٣) ذكره فى الخلاصة (١٩) . (٤) سبق تخريجه وبيان أنه حديث صحيح .

(٥) ذكره السهردى فى الخلاصة (٢١) . (٦) أخرجه الحاكم فى المستدرک .

وقد افترض الله على نبيه - ﷺ - الإقامة بالمدينة ، وحثَّ هو ﷺ - أمته على الاقتداء في سكنها والموت بها ، فكيف لا يكون أفضل ؟ ، ولما قيل للمالك صاحب المذهب - رضى الله عنه - : أيما أحب إليك المقام بالمدينة المنورة أو بمكة ؟ قال : بالمدينة المنورة وكيف لا أختار المدينة وما بها طريق إلا وسلك عليها رسولُ الله - ﷺ - وجبريلُ - عليه السلام - ينزلُ عليه من عند رب العالمين في أقلَّ من ساعة ، وقد ثبت في الأحاديث تفضيل الموت بالمدينة المنورة ، فثبت تفضيل سكنها لأنه طريقه ، وحديث «المدينة خير من مكة» (١) ، وفي رواية الجنيدي «أفضل من مكة» (٢) ، وقال - ﷺ - : «كما في الصحيحين : «أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب ، وهى المدينة ، تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد» (٣) أى إن الفضائل تضمحل في جنب فضلها وزيادتها على غيرها ، واعلم أن كل مؤمن له من نفسه سائق إليها في جميع الأزمان لحبه لسكانها - ﷺ - لقوله - ﷺ :

«إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تآرز الحية إلى جحرها» (٤) .

وقال - ﷺ «يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخا ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذي نفسى بيده لا يخرج أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه» (٥) «رواه مسلم - ، قال في الخلاصة : وفى هذا الحديث إشعارٌ بدم الخروج منها مطلقاً وهو عام أبداً ، كما نقله المحب الطبري ، وقال : إنه ظاهر اللفظ .

(١) اسناده ضعيف : أخرجه الطبراني في الأوسط .

(٢) ضعيف : عزاه السهردى في الخلاصة إلى الجنيدي ، وفيه محمد بن عبد الرحمن الرداد قال عنه ابن عدى فيه لين ، وروايته ليست بالمحفوظة ، وقال ابن أبي حاتم ليس بالقوى .

(٣) متفق عليه : أخرجه البخارى في كتاب فضائل المدينة . باب فضل المدينة وأنها تنفى الخبث ، ومسلم في كتاب الحج . باب المدينة تنفى شرارها (١٠٠٦/٢) ، ومالك في الموطأ كتاب الجامع باب الدعاء للمدينة وأهلها حديث (٥) .

وقوله : تأكل القرى أى تغلبها وتظهر عليها ، يعنى أن أهلها تغلب أهل سائر البلاد فتفتح منها .

(٤) سبق تخريجه وبيان درجته . (٥) سبق تخريجه وبيان درجته أنه حديث صحيح .

وفى الطبرانى حديث « من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به ، ومن لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلاً ، فَلْيَأْتِ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يكون الذى ليس له بها أصل منها كالخارج منها ، المجتاز إلى غيرها (١) » وفى رواية : « فليجعل له بها أصلاً ، ولو قَصْرَةً (٢) » أى ولو شجرة وزناً ومعنى ، ولابن شبة عن الزهرى رفعه « لا تتخذوا الأموال بمكة واتخذوها فى دار هجرتكم ، فإن المرء مع ماله (٣) » وعن ابن عمر « لا تتخذوا من وراء الرجاء مالاً ولا تَرْتَدُّوا على أعقابكم بعد الهجرة ولا تنكحوا بناتكم طُلُقَاءَ أهل مكة » (٤) الحديث .



(١) عزاه السمهودى فى وفاء الوفا والخلاصة (٢٦) إلى الطبرانى فى الكبير .

(٢) السابق نفس التخریج .

(٣) السابق نفس التخریج .

(٤) عزاه السمهودى إلى ابن عمر مرفوعاً ، ولم يذكر سوى ذلك (٢٦ ، ٢٧) من الخلاصة .



فصل : فى نقي المدينة الخبث وإبقائها الطيبين والاختيار



وفى مسلم فى الحديث السابق «إلا إن المدينة كالكير تخرج الخبث ،
لاتقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خُبثُ
الحديد» (١) .

وروى «تنفى الناس وتنفى الرجال - أى شرارهم وخُبثُهم» (١) وروى
«تنفى خُبثُ الرجال ، وروى «تنفى خبث أهلها» (٣) .

وفى صحيح البخارى « إنها طيبة تنفى الذنوب كما ينفى الكير خُبثُ
الفضة» (٤) .

وقصه الأعرابى القائل : أقلنى يَبْعَتِ ، فأبى - ﷺ ، فخرج الأعرابى ،
فقال - ﷺ - «المدينة كالكير تنفى خُبثُها ، وتنصع طيبُها» (٢) ، قوله
«وتنصع» بفتح الفوقائية وسكون النون ، وبالمهملتين ، أى تُمَيِّز وتخلص
طيبها ، بالنصب على المفعولية ، هذا هو المشهور قاله فى الخلاصة ،
وفى هذا الحديث دليلٌ ظاهرٌ فى أن المراد إبعادها أهل الخبث ،
ولاتختص بزمنه - ﷺ - قال عمر بن عبد العزيز (٣) إذ خرج لمن معه :
أتخشى أن نكون مِمَّنْ نفت المدينة ؟ ، وقد أَبْعَدَ الله عنها أريابَ الخُبثِ
الكامل ، وهم الكفار ، وأما غيرهم فقد يكون إبعاده أن مات بها بنقل
الملائكة له ، كما أشار إليه الأَقْشَهْرِيّ (٤) ، فقوله «تنفى خُبثُها» وتنفى
الذنوب، أى أهل ذلك ، أو المراد أهل الخبث الكامل فقط ، لعدم قبولهم
للسفاعة ، أو المراد فيما عدا قصة الأعرابى ، والدَّجَالُ أنها تخلص

(١) سبق تخريجه وبيان أنه حديث صحيح .

(٢) متفق عليه : البخارى فى كتاب الأحكام باب من بايع ثم استقال بالبيعة ، ومسلم فى
كتاب الحج . باب المدينة تنفى شرارها حديث (٤٩٨) .

(٣) الخلاصة (٢٦) .

(٤) الخلاصة (٢٧) .

النفوس من شرها وظلمات ذنوبها ، لما فيها من اللأواء والمشقات ومضاعفة المثوبات ، والرحمات إذ الحسنات يذهبن السيئات ، أو المراد بأنَّ مَنْ كان في قلبه خبث وفساد ميّزته عن القلوب الصادقة وأظهرت ما يخفى من عقيدته كما هو مشاهد بها ، ويؤيّد قوله - ﷺ - عند رجوع المنافقين في غزوة أحد : « المدينة كالكيرتنفى خبثها » (١) الحديث ، قال السيد السمهودي في الخلاصة (٢) :

والذي ظهر لي أنها تنفى خبثها بالمعاني الأربعة ، أقول : وهو الحق ، وقد شوهد جميع المعاني المذكورة ، - فنسأل الله - سبحانه - الحنان المنان أن يجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً ، وأن يرزقنا في هذه الحضرة كمال الأدب ، والتقوى ، ويحرسنا من كل سوء بجاهه (٣) - ﷺ - وبحرمة آله وأصحابه رضوان الله - تعالى - عليهم أجمعين .



(١) سبق تخريجه وبيان درجته .

(٢) الخلاصة (٢١١) .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

فصل : فى «أسمائها وخصائصها»

ذَكَرَ أَنَّ لَهَا أَلْفَ اسْمٍ ، والمذكور فى الخلاصة على ترتيب الحروف ، قال - رحمه الله - : وَزِدْتُ عَلَى شَيْخٍ مَشَايِخُنَا الْمَجْدَ اللَّغَوِيَّ نَحْوَ الثَّلَاثِينَ ^(١) مُمِيزَةً بِرَقْمِ «ز» فَبَلَغَتْ خَمْسَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا أَثَرِبَ : - بفتح الهمزة ، وسكون المثناة ، وكسر الراء وآخره موحدة ، لغة فى «يثرب» ^(٢) وروى ابن شَبَّة ، نهيهِ - وَاللَّهُ - عن تسمية المدينة يثرب ، ولأحمد وأبى يعلى قال رسول الله - وَاللَّهُ - «مَنْ سَمَى الْمَدِينَةَ يَثْرِبَ فَلَيْسَتْغْفِرَ اللَّهُ ، هِيَ طَابَةُ ، هِيَ طَابَةُ ، وَفِي رِوَايَةٍ «فَلَيْسَتْغْفِرَ اللَّهُ ثَلَاثًا» ^(٣) » وما فى الآية حكاية عن المنافقين وكره بعضهم وقال : «مَنْ سَمَاهَا يَثْرِبَ كَتَبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ^(٤)» وسبب الكراهة ، إما لأنه من «الثَّرِب» محركاً وهو الفساد ، أو من «التثريب» وهو المؤاخضة بالذنب والتوبيخ ، أو لأنه اسم كافر .. لكن فى الصحيحين فى حديث الهجرة «فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ» ^(٥) وفى رواية «لَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرِبُ» ^(٦) وقد يُجَاب بأنه قبل النهى - والله أعلم - أرض الله ^(٧) ، أرض الهجرة ، أَكَّالَةُ الْبُلْدَانِ ^(٨) ، أَكَّالَةُ الْقُرَى ^(٩) الدَّارُ ،

(١) قال فى وفاء الوفا : أعلم إن كثرة الأسماء يدل على شرف المسمى ، ولم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة ، وقد استقصيتها بحسب القدرة ، حتى أتى زدت على شيخ مشايخنا المجد اللغوى الشيرازى ، نحو ثلاثين اسماً راجع وفاء الوفا (٨/١) وما بعدها .

(٢) كَأَلَم ، وبلملم ، قيل سميت بذلك لأنه اسم من سكنها عند تفرق ذرية نوح عليه السلام فى البلاد ، وهل هو اسم لموضع مخصوص من أرضها ، أم هو اسم للناحية التى منها مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

أقوال ، الأول : لابن عباس ، والثانى لأبى عبيدة ، وعلى رأى ابن عباس سار الزمخشري . انظر وفاء الوفا (٨/١) .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند وأبو يعلى فى مسنده ، وإسناد الحديث صحيح .

(٤) هذا القول لميسى بن دينار كما فى وفاء الوفا (١٠/١) .

(٥) متفق عليه : أخرجه البخارى ومسلم . (٦) صحيح : أخرجه مسلم فى صحيحه .

(٧) فى الوفا (١٠/١) أرض الله - لقوله تعالى : «أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا» ذكر مقاتل والثعلبى وغيرهما ، أن المراد بها المدينة .

(٨) لتسلطها على جميع البلدان ، وارتفاعها على جميع البلدان .

(٩) للحديث الذى ورد فى الصحيحين «أمرت بقرية تأكل القرى» وقد استدلل به مثبتوا هذا

الاسم .

الإيمان^(١) ، البارة ، البرة^(٢) ، البَحْرة ، البحيرة^(٣) ، البلاط^(٤) ،
 البلد^(٥) ، بيت الرسول ، تتدد ، تتدر^(٦) ، الجابرة^(٧) ، جبار الجبارة ،
 جزيرة العرب ، الحبيبة ، الحرم^(٨) ، حرم رسول الله ، حَسَنَة ، الخَيْرَة ،
 الخَيْرَة الدار ، دار الأبرار ، دار الأخيار ، دار الإيمان ، دار السنة ، دار
 السلام ، دار الفتح ، دار الهجرة الدرع ، الحصينة ، ذات الحُجَر ، ذات
 الجرّاد ، ذات النخيل^(٩) ، السلقة ، سيدة البلدان ، الشافية ، طابة ،
 طيبة ، طيّبة ، وطائب ، طبابا ، العاصمة ، العذار ، العراء ، العروض ،
 الغرّا غلبة ، الفاضحة ، القاصمة ، قبة الإسلام ، القرية ، قرية الأنصار ،
 والقرية قرية رسول الله - ﷺ - قلب الإيمان ، المؤمنة ، المباركة ، مَبَوّأ
 الحلال والحرام ، مبين الحلال والحرام ، المجبورة ، المحبة ، المحبّة ،
 المُحَبَّبة ، المحبوبة ، المحبورة ، المُحَرَّمَة ، المحروسة ، المحفوفة ،
 المحفوظة ، المختارة ، مَدْخَل صدق المدينة مدينة الرسول ﷺ - ،
 المرحومة ، المرزوقة ، مسجد الأقصى ، المِسْكِينَة ، المسلمة ، مضجع

(١) يقول البيضاوى فى تفسيره لقوله تعالى : «والذين تبوءوا الدار والإيمان» قيل : سُمى الله
 المدينة الإيمان لأنها مظهره ومصوره .

وقال ابن زبالة : إن عثمان بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن جعفر قالا : «سُمى الله المدينة بالدار
 والإيمان» .

(٢) هما من قولك : امرأة بارة وبرة ، أى كثيرة البر . سميت بذلك لكثرة برها إلى أهلها
 خصوصا وإلى جميع العالم عموماً ، إذ هى منبع الإشراق ، بها العيشة الهنية .

(٣) كذا اسمها ياقوت فى معجم البلدان ونسب لها هذه التسمية . وعند القاضى عياض فى
 المشارق : البحيرة : مدينة النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) ذكره ابن خالويه فى كتاب «ليس من كلام العرب» .

(٥) على خلاف بين المفسرين فى المقصود بقوله تعالى : «لا أقسم بهذا البلد» فقد قالوا إنها
 مكة ، وقال بعضهم إنها المدينة ، والأول أرجح .

(٦) قال المجد اللغوى : الصواب يندر وما عداها خطأ . لأنها تنطق بالتحية .

(٧) لأنها تجبر الكسير أى تصلح منه ما فسد .

(٨) لتحريمها من الحرم ، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم حرمها فيما رواه مسلم فى
 صحيحه : «المدينة حرم» وفى رواية «إنها حرم آمن» .

(٩) لاشتغالها على الحجر النبوية وكثرة النخيل بها ، وفى ذلك يقول الشاعر :

أشجان قلبي بذات النخل والحجر وأختها تلك ذات الحجر والحجر
 تقسم القلب بين البلدين فلا أنفك من لهب الأشواق فى سحر

المطيبة ، المُقَدَّسَة ، المقر ، المَكَّانَ ، المكيّة ، مهاجر رسول الله - ﷺ -
الموفية ، الناجية ، نبلا النحر ، الهذرا ، يثرب ، يندد ، يندر ، كحيدر
وأعلم أن كثرة الأسماء تدلُّ على شرف المُسمَّى ، وقد ذكر وجوه
المناسبة في الخلاصة (١) ، فمن أراد الاستقصاء ، فليراجعها ، فطيبة
والمدينة وطابة ودار الإيمان ، وقبة الإسلام أشهر أسمائها .



(١) كل هذه الأسماء ذكرها السمهودي في وفاء الوفا (١٠/١) وما بعدها .

فصل : فى «خصائص المدينة المنورة»

قال فى الخلاصة (١) ، فى الفصل الثامن من الباب الأول : هى كثيرة تزيد على المائة ، (إلا أن) (٢) مكة ، شاركتها فى بعض ذلك من تحريم قطع الرطب من أشجارها ، وحشيشها ، وصيدها واصطيادها ، وتغييره ، وحمل السلاح للقتال بها ، وأمر لقطتها ، ونقل التراب ونحوه منها ، وإليها ، ونبش الكافر إذا دُفِنَ بها (٣) ، وامتازت المدينة المنورة - على خير ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام - بتحريمها على لسان أشرف الأنبياء بدعوته ، وكون المعترض لصيدها وشجرها يُسَلَب . كقتيل الكفار ، وهو أبلغ فى الزجر مما جاء فى مكة ، وعلى القول بعدمه ، هو أدل على عظيم حرمتها ، حيث لم يشرع له جابر (٤) ، وبجواز نقل ترابها للتداوى ، واشتمالها على أفضل البقاع ودَفَنَ أفضل الخلق بها ، وأفضل هذه الأمة ، وكذا أكثر الصحابة ، والسلف الذين هم خير القرون ، وخلقهم من تربتها ، وبعث أشرف هذه الأمة يوم القيامة منها على ما نقله فى المدارك عن مالك قال : وهو لا يقوله من عند نفسه ، وكونها محفوفة بالشهداء ، كما قاله أيضا ، وبها أفضل الشهداء الذين يذَلُّون أنفسهم فى ذات الله بين يدي نبيّه - ﷺ ، فكان شهيدا عليهم (٥) ، واختيار الله لها ، قراراً لأفضل خلقه ، وأحبهم إليه ، واختيار أهلها للنصرة ، والإيواء ، وافتتاحها بالقرآن وسائر البلاد بالسيف والسنان ، وافتتاح سائر بلاد الإسلام منها ، وجعلها مظهر الدين ، ووجوب الهجرة إليها قبل فتح مكة ، والسكنى بها لنصرتها - ﷺ - ومواساته بالأنفس على (٦) ما قال عياض إنه متفق عليه قال : «ومن هاجر قبل الفتح فالجمهور على منعه من الإقامة بمكة بعد الفتح ورحض له فى ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه ، والحث على سكنها وعلى اتخاذ الأصل بها وعلى

(١) انظر الخلاصة (ص ٦٢) . (٢) ساقطة من المخطوط والتكميل من الخلاصة .

(٣) الخلاصة (٦٢) . (٤) السابق نفس الصفحة .

(٥) السابق نفس الصفحة . (٦) الخلاصة (٦٣) .

الموت^(١) بها وحرصه - ﷺ - على موته بها وشفاعته ، أو شهادته لمن صبر على لأوائها وشدتها ، وطلبه لزيادة البركة بها على مكة بما سبق بيانه^(٢) ، ودعائه بحبها وأن يجعل الله له بها قرارا ورزقا حسنا ، وتحريكه الدأبة عند قدومها من حبها ، وطرحه الرداء عن منكبه إذا قاربها وتسميته لها بطيبة^(٣) وغيره مما سبق ومن خصائصها : طيب ريحها وللعطر فيها رائحة لا توجد في غيرها قال ياقوت^(٤) : وطيب العيش بها وكثرة أسمائها وكتابتها في التوراة مؤمنة وتسميتها فيها بالمحبة والمرحومة وغيره مما سبق و اضافتها إلى الله تعالى في قوله ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾^(٥) [النساء : ٩٧] وإلى الرسول - ﷺ - بلفظ البيت في قوله ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ [الأنفال : ٥٠]^(٦) وإقسام الله تعالى في قوله ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [البلد : ١٠]^(٧) والبداة في قوله (رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق)^(٨) مع أن المخرج مقدم على المدخل وكثرة دعائه - ﷺ - لها خصوصاً بالبركة ولثمارها ومكياها ولسوقها وأهلها وقوله - ﷺ : «إنها تنفي خبثها وأنها تنفي الذنوب ، وأنه لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ومن أرادها وأهلها بسوء أذابه الله ذوب الرصاص في النار أو الملح في الماء»^(٩) فرتب الوعيد فيه على الإرادة كما قال تعالى في حرم مكة : ﴿ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ ﴾ [الحج : ٢٥]^(١٠) الآية والوعيد الشديد لمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا والحدث الإثم فيشمل الصغيرة فهي بالمدينة المنورة كبيرة أى يعظم جزاؤها لدلائلها على جراً مرتكبها بحرم سيّد المرسلين وحضرته الشريفة ، والوعيد لمن لم يكرم أهلها ، وأن إكرامهم وحفظهم حق على الأمة وأنه - ﷺ -

(١) الخلاصة (٦٣) . (٢) السابق نفس الصفحة . (٣) السابق نفس الصفحة .

(٤) انظر الخلاصة فما زال المصنف يتقل حرفيا منه (٦٣) .

(٥) الآية من سورة النساء (٩٧) . (٦) الآية من سورة الأنفال (٧) .

(٧) الآية من سورة البلد (١) . (٨) الآية من سورة الإسراء (٨٩) .

(٩) سبق تخريجه وبيان درجته . (١٠) الآية من سورة الحج (٢٥) .

شفيع أو شهيد لمن حفظهم فيه وقوله ﷺ - «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي»^(١) واختصاصها بملك الإيمان والحياء ، ويكون الإيمان يأرز^(٢) إليها ، وأن الله تعالى أحاط بها الملائكة ، وجعل على كل نقب من أنقابها ملائكة تحرس المدينة المنورة وأهلها ، وأنها دار إسلام أبداً لحديث «إن الشياطين قد يئست أن تعبد ببلدي هذا وآخر قرى الإسلام خراباً»^(٣) وأن الله سبحانه - عصمها من الطاعون ومن الدجال مع خروج الرجل الذي هو خير الناس أو من خيرهم منها إليه ، ونقل وبائها وحماتها ، والاستشفاء بتمرها وترابها وغبارها ، وقوله - ﷺ : - «حق على كل مسلم زيارتها وسماعه - ﷺ - لمن صلى أو سلم عليه بها عند قبره - ﷺ - ، ووجوب شفاعته لمن زاره بالمدينة ، وغير ذلك مما ذكر في فضل الزيارة ، وكونها أول أرض اتخذ بها مسجداً لعامة المسلمين في هذه الأمة ، وتأسيس مسجدتها على يده - ﷺ - وعمله - ﷺ - فيه بنفسه ومعه خير الأمة ، وأن الله تعالى أنزل في شأنه ﴿لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ [التوبة : ١٠٨] الآية ، وكونها آخر مساجد الأنبياء والمساجد التي تشد إليها الرحال ، وكونه أحق المساجد أن يُزار ، ومابه من المضاعفة وأن من صلى فيه أربعين صلاة كتب له وبراءة من النار ، وبراءة من العذاب وبريء من النفاق^(٤) ، وأن من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فيه كان بمنزلة حجة^(٥) ، وما ثبت من إتيان مسجد قباء والصلاة فيه تعدل عمرة ، وغير ذلك مما في فضل قباء ، وأن ما بين بيته - ﷺ - ومنبره روضة من رياض الجنة ، مع ذهاب بعضهم إلى أن ذلك يعمُ مسجده - ﷺ - وأنه المسجد الذي لا تعرف بقعة في الأرض من الجنة غيره ، وأن منبره الشريف على ترعة من ترع الجنة ،

(١) سبق تخريجه وبيان درجته .

(٢) إشارة إلى حديث «إن الإيمان يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» .

(٣) الترمذي في جامعه . (٤) الطبراني في الأوسط .

(٥) الآية في سورة التوبة (١٠٨) . (٦) الخلاصة (ص ٦٤) .

(٧) لعل ذلك في الثواب إذ لا يراد حجة حقيقية بفرائضها وسننها .

وأنه على حوضه - ﷺ - وما جاء في أن ما بين منبره الشريف والمصلى روضة من رياض الجنة ، والمراد من المصلى مصلّى العيد وهو جانب كبير من البلدة الشريفة وقوله في أحد : «جبل يحبنا ونحبه»^(١) وقوله في ثمارها : «إن العجوة من الجنة»^(٢) ، وروى - ﷺ - أنه أصبح على بئر آبار الجنة ، ورأى - ﷺ - وأن أحداً على تُرعة من ترع الجنة ، وفي واديها بطحان أنه على ترعة من ترع الجنة والعقيق أنه يحبه - ﷺ - وأنه وادٍ مبارك قال في حقه - ﷺ - «يحبنا ونحبه» ، واختصاص مسجده بمزيد الأدب ، وخفض الصوت وتأكد التعلم والتعليم به ، وأنه لا يسمع النداء فيه ثم يخرج منه إلا لحاجة ثم لا يرجع إلا مناقق ، واختصاص هذا المسجد النبوى عند بعضهم بمنع أكل الثوم من دخول الملائكة والوحى ، والوعيد الشديد لمن حلف يميناً فاجرة عند منبره - ﷺ - ، ومضاعفة سائر الأعمال بها كما صرح به الغزالي وغيره ، وأن صيام رمضان في المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها ، وكون^(٣) أهلها أول من يشفع لهم - ﷺ - واختصاصهم بمزيد الشفاعة والإكرام ، وجاء بعث الميّت بها من الأمنين^(٤) ، وأنه يُبعث من بقيعها سبعون ألفاً على صورة القمر يدخلون الجنة بغير حساب ، ومثله في مقبرة بنى سلمة وتوكل ملائكة بمقبرة بقيعها كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفوها في الجنة ، وبعثه - ﷺ - ، واستجابة الدعاء بها في الأماكن التي دعا بها - ﷺ - عند الأسطوان المخلق وعند المنبر وعند دار عقيل^(٥) في البقيع وبمسجد الفتح ، وخُصّت بكثرة المساجد والتبركات بها كما سيوضح لك ، واستحقاق من عاب تربتها للتعزير وأفتى مالك^(٦) فيمن قال : تربتها

(١) صحيح : أخرجه البخارى ، ومن حديث سهل بن سعد ، والترمذى عن أنس ، وأحمد في المسند ، والطبرانى فى الكبير . (٢) موضوع : أخرجه الطبرانى على ما فى وقاء الوفا .

(٣) إشارة إلى حديث موضوع باطل سبق تخريجه .

(٤) إشارة إلى حديث «من مات بالمدينة» وقد سبق تخريجه وبيان درجته .

(٥) هى فى البقيع عند باب قبة سيدنا عقيل بن أبى طالب .

(٦) فتوى مالك فى الخلاصة (ص ٦٦) .

ردية بأن يُضرب ثلاثين دُرَّةً ، وأمر بسجنه وكان له قدر وقال : ما أَحْوَجُهُ إلى ضرب عنقه تربةٌ دُفِنَ فيها النبي - ﷺ - يزعم أنها غير طيبة ، واستحباب الدخول لها من طريق والرجوع من أخرى ، والاعتساف لدخولها ، وتخصيص أهلها بأبعد المواقيت (١) وذهب بعض السلف إلى تفضيل البداية بها قبل مكة ، وأن نفراً من أصحاب رسول الله - ﷺ - كانوا يبدؤون بالمدينة إذا حجّوا يقولون نبدأ من حيث أحرّم رسول الله - ﷺ - وممن بدأ بالمدينة علقمة ، والأسود ، وعمرو بن ميمون (٢) ، وذهب العبدى من علماء المالكية إلى أن المشى إلى المدينة لزيارة قبره - ﷺ - أفضل من الكعبة (٣) ، ومن نذر زيارة قبره - ﷺ - لزمه الوفاء ، قولاً واحداً فى وجوب غيره الوجهان ، ويكتفى بزيارته لمن نذر إتيان مَسْجِدِهِ وأن الجالب لسوقها كالمجاهد فى سبيل الله والمحتكر فى المدينة كالملاحد فى كتاب الله ويقول - ﷺ - : «يوشك الناس أن يضربوا أكباد الأبل فلا يجدوا عالماً أعلم من عالم المدينة» (٤) قيل هو مالك (٥) بن أنس لأنه يصدق عليه - ﷺ - : وقال مالك : إن إجماع أهلها مُقَدَّم على خبر الواحد (٦) لسكناهم فى مهبط الوحي ، ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ ، واختصاص أهلها فى قيام رمضان بست وثلاثين ركعة سوى الوتر ، قال الشافعى (٧) - ﷺ - : رأيت أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين ركعة منها ثلاث للوتر ، وأهل المدينة الآن يقومون بعشرين ركعة أول الليل وبست عشرة آخره ويجعلون لكل من الصلاتين إماماً غير الآخر ، ولا أعلم

(١) وهى ذى الحليفة لقرب المدينة بستة أميال .

(٢) انظر ترجمتهم فى الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر حسب حروف المعجم .

(٣) لعله أفضل من المشى إلى مكة .

(٤) صحيح : أخرجه الترمذى فى كتاب العلم حديث (٢٤٨٩) ، والحاكم فى المستدرک

(٩٠/١) ، وأحمد فى المسند . ويوشك أى يقرب .

(٥) القائل : هو سفيان وكذا عبد الرزاق الصغاني .

(٦) خبر الواحد هو الحديث الذى روى من طريق واحد ، وهو عكس المتواتر الذى يرويه جمع

كثير عن مثلهم من غير شذوذ ولا علة قاذحة .

(٧) الخلاصة (٦٧) .

ابتداء التفريق ، وقد تشارك المدينة مكة فى بعض ما سبق ومما اشتركا فيه أن كلا منهما يقوم مقام المسجد الأقصى لمن نذر الصلاة أو الاعتكاف فيه ، ولو نذرهما بمسجد المدينة لم يجزئه الأقصى ، وأجزأه المسجد الحرام بناء على زيادة المضاعفة عند الجمهور ، وإذا نذر المشى^(١) إليها رجّحوه ما اقتضاه كلام البغوى من علم لزوم المشى فى غير المسجد الحرام ، وإذا نذر تطيب مسجد المدينة والأقصى تردد فيه إمام الحرمين ، قال الفزالى : فإن نظرنا إلى التعظيم الحَقْنَاهُمَا بالكعبة . قلتُ : فينبغى الجزمُ بذلك فى نذر تطيب^(٢) القبر الشريف والله اعلم . ومما اختلفت به المدينة المنورة بظهور نار الحجاز وانطفائها لما قربت المدينة المنورة وحرّمها ، وقد أخبر - ﷺ - بها فقال - لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز^(٣) ، وفى رواية حتى تخرج نار من أرض الحجاز تُضئُ أعناق الإبل ببصرى^(٤) - وفى مسند الفردوس وكامل ابن عدى لا تقوم الساعة حتى يسيل وادى من أودية الحجاز بالنار تُضئُ له أعناق الإبل ببصرى^(٥) قال فى الخلاصة فى الفصل العاشر من الباب الأول^(٦) : قال النووى : تواتر العلمُ بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام قلت وكانت فى زمنه - ﷺ - وكانت قبلها زلازل وابتدأت الزلازل بالمدينة مستهل جمادى الآخرة سنة ٦٥٤ ستمائة وأربعة وخمسين ، واشتدت يوم الثالث فظهرت ظهوراً عظيماً فى ليلة الأربعاء ثالث الشهر فى الثلث الأخير من الليل حدث زلزلة عظيمة جدا أشفق الناس منها واستمرت تزلزل بقية الليل إلى يوم الجمعة ، ولها دوى كدوى الرّعد نساءُ الله العافية من كل بليّة ، ثم إن أهل المدينة المنورة

(١) الخلاصة (ص ٦٨) . (٢) الخلاصة (ص ٦٨) .

(٣) صحيح : أخرجه البخارى ومسلم كلاهما فى الفتن .

(٤) السابق نفس التخرىج . وبصرى : مدينة كانت بالشام بين عمان ودمشق ، وهذه النار قد

خرجت منذ زمان .

(٥) سبق تخریجه وانظر مسند الفردوس للدليمي حديث (٧٥٥١) .

(٦) انظر الخلاصة باب ظهور نار الحجاز المنذر بها من أرضها (ص ٧٨) .

التجأوا في أمرها إلى رسول الله - ﷺ - النبي الشفيع غوث الخلائق (١) وملجأ الأنام وغيائهم المبعوث رحمة للعالمين فصرف الله تعالى عنهم الزلازل والنار ذات الشمال فكانت بردا وسلاماً وظهرت بركة تربته - ﷺ - في أمته ، ولما ظهرت هذه النار فكانت لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته ولها دوى كالرعد تأخذ الصخور بين يديه ، وقربت إلى المدينة المنورة ومع ذلك فكانت تأتي لطيفة نسيمً بارداً طيباً ، ورؤيت (٢) من مكة ومن جبال بصرى كما أخبر - ﷺ - ، ورؤيت أعناق الإبل من بصرى من تلك النار فظهر أنها الموعود بها وتمت بذلك المعجزة لحصول ما أخبر به - ﷺ - ، وكانت هذه النار نعمة (٣) في صورة نقمة فوجلت القلوب منها وأشفت وأعتق أمير المدينة جميع ممالিকে ورد على الناس مظالمهم وأبطل المكس وهبط للنبي - ﷺ - وبات في المسجد الشريف ليلة الجمعة والسبت ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصفار وأهل النخل يتهزعون ويبكون كاشفين رعوسهم مقرّين بذنوبهم مستجيرين بنبيهم سيّد الشفعاء (٤) - ﷺ - فصرف الله عنهم تلك من وادى أجيلين إلى جهة الشمال واستمرت مدة ثلاثة أشهر على ما ذكره المؤرخون يشتهر أمرها وينزجر عامة الخلق بها وعظم أمرها ، يُشاهدُ منها عنوان نار الآخرة ، قال المؤرخون : إنها سالت سيلاً ذريعاً في وادٍ يكون طوله مقدار أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الأرض والصخر كالأنك ، ولم يزل يجتمع منه في آخر الوادى عند منتهى الحرّة أى في الشرق حتى قطعت في وسط وادى الشظاة إلى جهة جبل وغيره فسدت الوادى المذكور بسدّ عظيم من الحجر المسبوك بالنار وآثار السدّ موجوده اليوم هنا ويستمر الحبس ، وانقطع وادى الشظاة بسبب ذلك وصار السيل ينحبس خلف السدّ المذكور حتى يصير بحراً مدّ البصر عرضاً وطولاً ، ومن العجائب أن في

(١) سبق الحديث عن الاستغاثة والشفاعة في تعليقنا فارجع إليه .

(٢) الخلاصة (٧٩) . (٣) الخلاصة (٧٩) . (٤) الخلاصة (٨٠) .

تلك السنة احترق المسجد النبوى حريقه الأول ^(١) عقب انطفاء هذه النار ، وزادت دجلة زيادة عظيمة غرق بسببها أكثر بغداد وتهدمت دار الوزير ، ثم فى السنة بعدها ^(٢) وقعت الطامة الكبرى بأخذ التتار الكفرة بغداد وقتل الخليفة وأهلها بذل السيف فيهم نيفا وثلاثين يوماً ، وختل بغداد ، ثم استولى عليها الحريق حتى تربة الرصافة مدفن ولاية الخلافة وشوهد على بعض حيطانها أن تُرذ عبرة فهذى بنو العباس ^(٣) دارت عليهم الدائرات ، استبيح الحريم ، وقتل الأحياء منهم ، وأحرق الأموات وكثر الموت والفناء فى تلك الناحية وطوى بسلطان الخلافة منها ، سبجان محول الأحوال ومُغنى الأمم فى سائر الأعصار ، ونادى لسان الحال (لن الملك اليوم لله الواحد القهار) ^(٤) لا إله إلا هو العزيز الغفار الرحمن الرحيم الرؤوف الستار . قال أبو شامة ^(٥) : سبجان من أصبحت مشيئة جارية فى الورى بمقداره فى سنة أغرق العراق وقد أحرق أرض الحجاز بالنار ، وأنشد بعض أهل المدينة فى النار المذكورة :

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا لقد أحاطت بنا يارب بأساء
نشكو إليك خطوباً لا نطيق لها حملاً ونحن لها حقاً أحقاء
زلاً لا تخشع الصم الصلاب لها وكيف تقوى على الزلزال شماء
أقام سبعا يرج الأرض فانصدعت عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجرى فوقه سفن من الهضاب لها فى الأرض أرساء
ترمى لها شرراً كالقصر طائشة كأنها ديمة تنصب هطلاء
تنشق منها بيوت الصخر إن زفرت رعباً وترعد مثل السقف أضواء
منها تكاشف فى الجو الدخان إلى أن عادت الشمس منه وهى دهماء
قد أثرت سفة فى البدر لفحتها قليلة التم بعد النور عمياء

(١) انظر الخلاصه الباب السابق ذكره (ص ٧٨) وما بعدها . (٢) السابق نفس الصفحة .

(٣) السابق (ص ٩١) . (٤) الآية من سورة غافر .

(٥) هو أبو شامة الشافى المحدث المؤرخ العالم .

تحدث النيران السبع السنّها بما يُلَاقى بها تحت الثرى الماء
وقد أحاط لظاها بالبروج إلى أن صار تلفحها بالأرض أهواء
فباسمك الأعظمُ المكنون إن عظمت منا الذنوب وساء القلب أسواء
فاسمح وهب وتفضل بالرضا كرمًا وارحم فكلّ لفرط الجهل خطاء
فقوم يونس لما آمنوا كشف الـ تعذيب عنهم وعمّ القوم نعماء
ونحن أمة هذا المصطفى وثنا منه إلى عضوك المرجو دعاء
هذا الرسول الذي لولاه ما سلكت مَحَجَّةً في سبيل الله بيضاء
فارحم وصلّ على المختار ما خطبت على علا منبر الأوراق ورقاء

وقريب من هذه النار ما وقع في زمن خالد بن سنان العبسي الذي
نُبئ قبل ظهوره - ﷺ - في عالم الأجسام : قالوا : هو نبى ضيّعة قومه
وكانت النار سالت من حرّة النار في ناحية خيبر ، وكانت الإبل تعشى
بضوئها من مسيرة ثمانى ليال ، وأن خالدًا أطفأها عنهم .

قال في الخلاصة : وقد بسطنا خبرها في وفاء الوفا .

وما وقع في خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه ، كما رواه البيهقي في
الدلائل في خبر معاوية بن حرملة في قدومه المدينة ، وقول عمر له :
اذهب إلى خير المؤمنين ، وانزل عليه يعنى تميم الدارى . قال : فبينما
نحن ذات يوم إذ خرجت نار بالحرّة فجاء عمر - ﷺ - إلى تميم فقال
له قم إلى هذه النار فقال يا أمير المؤمنين ومن أنا وما أنا فلم يزل به
حتى قام معه قال وتبعتهما فانطلقا إلى النار فجعل تميم يحوشها بيده
حتى دخلت الشعب ودخل تميم خلفها وهذا شبّيه بما وقع لخالد بن
سنان المذكور ومعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء حق ، والأولياء هم
المتقون قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (١) [يونس : ٦٢-
٦٤] الآية .

(١) الآية من سورة يونس (٦٤) .



فصل : فى حكم حرم المدينة وحدودها وحكم تحريمها



على لسان محمد - ﷺ - وأقوال علماء الدين فى ذلك .

قال العلامة السمهودى فى الخلاصة (١) : اتفق الأئمة الثلاثة وغيرهم على تحريم قطع شجرها وصيدها . وقال أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - : بعدم التحريم ، والأحاديثُ الصحيحةُ الصريحةُ حجةٌ للتحريم ، وفى مسلم «أنَّ سعداً ركب إلى قصره بالعقيق فوجدَ عبداً يقطع شجرةً أو يخبطه ، فسلبه (ثيابه) (٢) برداً لمواليه ما أخذ من غلامهم وقال : معاذ الله أن أردَّ شيئاً نفلنيه رسول الله - ﷺ (٣) - وفى رواية أبى داود أن سعداً وجد عبداً من عبيد المدينة يقطعون شجراً من شجر المدينة فاخذ متاعهم (يعني لمواليهم)، وقال (٤) سمعت رسول الله - ﷺ - ينهى أن يقطع من شجر المدينة شئ وقال : «من قطع منه شيئاً فلمن أخذَه سلبه» (٥) وفى رواية ابن زبالة أن سعداً سلب جارية لعاصية وضربها وأخذ شملة لها وفأساً فشكت عاصية سعداً إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقال : «اردد إليها يا أبا إسحاق : فقال لا والله لا أرد إليها غنيمة غنمناها رسول الله - ﷺ - سمعته يقول : «من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه»، واتخذ من فأسها مسخاةً فما زال يعمل بها حتى لقي الله» (٦) وفى الموطأ وجد أبو أيوب الأنصارى

(١) الخلاصة (ص ٥٥) ، ووفاء الوفا (١٠٥/١) . (٢) ساقطه من المخطوط .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم فى كتاب الحج . باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة وبيان تحريمها ، وتحريم صيدها وشجرها ، وبيان حدود حرمها (٩٩١/٢) ، والحديث محرفٌ كما ترى فى المخطوط ونصه كما فى مسلم : أن سعداً ركب إلى قصره بالعقيق ، فوجد عبداً يقطع شجراً أو يخبطه ، فسلبه ، فلما رجع سعد . جاءه أهل العبد ، فكلّموه أن يرد على غلامهم ، أو عليهم ، ما أخذ من غلامهم . فقال : معاذ الله أن أرد شيئاً نفلنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبى أن يرد عليهم . (٤) زيادة من الخلاصة (ص ٥٦) .

(٥) صحيح : أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الحج . باب فى تحريم المدينة حديث (٢٠٣٧) .

(٦) ذكر هذه الرواية السمهودى فى وفاء الوفا (١٠٦/١) والخلاصة (ص ٥٦) .

غلمانا قد ألجئوا ثعلباً إلى زاوية فطردهم عنه^(١) وقال : «أفى حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يُصنع هذا»^(٢) وأخذ زيدُ بن ثابت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - طائراً من رجل فأرسله لأنه صاده بالأسواق من حرم المدينة المنورة وقال - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أما علمت أن رسول الله - ﷺ - حَرَمَ ما بين لابتيها ، وكان عبادة بن الصَّامِتِ يأخذ العصافير ممن صادها فيرسلها ويقول : إن رسول الله - ﷺ - حَرَمَ ما بين لابتيها كما حَرَمَ إبراهيمُ مكة^(٣) ولقى عبد الرحمن بن عوف ابنه إبراهيم اصطاد عصفوراً فعرك أذنه ثم أخذه منه فأرسله وقال إن رسول الله - ﷺ - حَرَمَ ما بين لابتيها قال رحمه الله وتمسك الحنفية - رضى الله عنهم - بقصة أبى عمير ما فعل النُّفَيْرُ^(٤) قالوا وإلا لما جاز حبس النفير ، ومحله (عندنا)^(٥) أنه من صيد الحل إذ لا يجب إرساله بل يجوزُ ذبحه في الحرم وهم يمنعون ذلك ، ويتقدير تسليمه ، فهو محتمل لأن يكون قبل التحريم ، وتمسك بعضهم بقطعه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - النخل لبناء المسجد وجوابه : أن ذلك كان في أول الهجرة ، وتحريم المدينة كان بعد رجوعه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - من خيبر كما أوضحه ابن حجر الحافظ ، مع أن النخل مما يستنبته الأدميون واستدلوا بحديث سلمة «أما انك لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا ذهبت وتلقيتك إذا جئت فإنى أحب العقيق»^(٦) أجاب البيهقي أنه حديث ضعيف لا يعارض به الأحاديث الصحيحة الثابتة ويجوز أن يكون الموضع الذى كان يصيد (فيه)^(٧) سلمة خارجاً من الحرم لأن العقيق يمتد إلى

(١) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الجامع . باب ما جاء في تحريم المدينة حديث (١٢) ص ٨٩٠ .

(٢) خلط المصنف هنا بين الحديث وبين قول مالك ، فنسب القول إلى أبى ايوب نسبة خاطئة والصواب . فقال مالك : لا أعلم إلا أنه قال : أفى حرم رسول الله ﷺ يصنع هذا .

(٣) حسن : عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد إلى الطبرانى فى الكبير وقال : رجاله ثقات ، وهو من طريق عبد الله بن عباد الزرقى . قال الهيثمى : لم أجد من ترجم له .

(٤) صحيح : وأبو عمير هو أخو أنس ، والنفير : طائر يشبه العصفور أحمر المنقار .

(٥) زيارة من الخلاصة (ص ٥٨) . (٦) البيهقي فى دلائل النبوة .

(٧) ساقطة من المخطوط والتصويب من الخلاصة .

النقيع ، فبعضه خارج من الحرم جزماً بخلاف موضع قصر سعد مع قصور العقيق فإنها بحريّة مع احتمال أن ذلك (كان) (١) قبل التحريم ، وقال الطحاوى من الحنفية : يحتمل أن يكون سبب النهى عن صيد المدينة وقطع شجرها كونُ الهجرة كانت إليها فكان بقاء ذلك مما يزيد فى رؤيتها ويدعو إليها ، كما روى ابن عُمر أن النبی - ﷺ - «نهى عن هدم أطام المدينة» فإنها من زينتها فلما انقطعت الهجرة زال ذلك . الجواب : إن أراد أن النهى ليس للتحريم فهو خلاف مقتضاه ما لم يقر دليل على خلافه ، وإن أراد نسخه فالنسخ لا يثبت إلا بدليل واختلف القائلون بالتحريم فمن أحمد فى الجزاء روايتان . وعن الشافعى : قولان الجديد عدمه وهو قول مالك . والقديم كما فى حرم مكة . وقيل يؤخذ السلب وهو الأصح تقرّيباً على القديم ، واختاره النووى وغيره لصحة حديث سعد .

والجواب عنه مشكل ، ويسلب كالقتيل من الكفار ، حتى يؤخذ فرسه وسلاحه» (٢) .

وقيل : الثياب فقط ، ويكون ذلك للسالب على الأصح . وقيل : لفقراء المدينة (٣) ويترك للمسلوب ما يستربه عورته . قال (٤) : ونقلُ تراب الحرم وأحجاره وما اتخذ منه مكروه . قال الرافعى أو حرام . صححه النووى . وقال أبو حنيفة - رحمه الله - «لابأس به والعكس أن نقل التراب والأحجار من الحل إلى الحرم خلاف الأولى أو مكروه ، قال : ويظهر أن محل ذلك فيما لم تدع الحاجة إليه كمن احتاج للسفر بأنية من تراب الحرم أو دخوله بها ، وهو أولى من جواز قطع نبات الحرم . ونحوه ، وأولى من تجويز أنية الذهب والفضة للحاجة وينبغى أن يستثنى من منع

(١) ساقطة من المخطوط والتكميل من الخلاصة .

(٢) انظر الخلاصة (ص ٥٩) ووفاء الوفا (١٠٧/١) .

(٣) انظر الخلاصة (ص ٥٩) ووفاء الوفا (١٠٨/١) .

(٤) القائل هنا كما فى الخلاصة هو النووى فى المهذب .

نقل التراب تربة سيدنا حمزة - رضي الله عنه - أى المأخوذ من المسيل الذى به
مصرعه لاطباق السلف والخلف على نقلها للتداوى من الصّداع^(١) ،
وتربة صعيب أى تراب الشفاء أولى بالجواز والله أعلم ومن أراد معرفة
الفروع فى الباب فليطالع المطولات .



(١) وذلك نقلا عن الزركشى كما فى الخلاصة (٦١) .

فصل : فى مساجد المدينة المأثورة

والآبار والبقاع المباركة المشرفة

التي ينبغى زيارتها والتبرك بها والدعاء عندها

منها مسجد قباء : وقد سبق كما فى البخارى أنه - ﷺ - كان يأتى قباء راكباً وماشيًا زائراً كل سبت ^(١) ، وأن الصلاة فيه تعدل عمرة ^(٢) ، وفى رواية ابن حبان فى كل يوم سبت ، وفى رواية شريك بن عبد الله بن أبى نمر «كان ﷺ يأتى قباء يوم الاثنين» ^(٣) وكان يأتى قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان ، وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس قال سيدنا عمر : والذى نفسى بيده ، لقد رأيتُ رسول الله ﷺ ، وأبا بكر فى أصحابه ينقلُ حجارته على بطونهما ، يؤسسهما رسول الله ﷺ بيده ، وجبريل يؤم به البيت ، ومحطوفٌ لو كان مسجُدنا هذا بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل ^(٤) .. الأثر .

وفى فضل مسجد قباء والترغيب فى الصلاة فيه أخبار كثيرة وآثار شهيرة . وما يتبرك به فى قباء دار سعد بن خيثمة ^(٥) ، وفى قبلته ركن المسجد الغربى موضع يسمونه مسجد علي ، لعله مسجد دار سعد بن خيثمة ، وأن النبى - ﷺ - اضطجع فى البيت الذى فى دار سعد بن خيثمة بقباء - رضى الله عنه - وفى قبلة المسجد أيضا دار كلثوم بن الهدم ^(٦) الذى نزل عليه - ﷺ - لما قدم قباء ، ثم أهله وأهل أبى بكر - رضى الله عنه - ، وبئر أريس سيأتى فى الآبار المأثورة ، وهى فى قباء عين المدينة المنورة ، له شعبة منها .

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٤٨٦/٣) ، والبيهقى (٢٤٨/٥) ، وابن حبان (١٦٣٢) والحميدى فى مسنده (٦٥٨) وأحمد فى المسند (٥٨/٢) ، ووكيع فى الزهد (٣٩٠) ، وكذلك البخارى (١١٩٤) . (٢) سبق تخريجه وبيان درجته . (٣) سبق تخريجه وبيان درجته . (٤) عزاه فى وفاء الرقا إلى رزين وأسندته إليه .

(٥) ترجمته فى الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (٥٨٨/٢) ، وانظر الخلاصة (٤١١) حيث تحدث عن مسجد دار سعد بن خيثمة .

(٦) ترجمته فى الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (١٣٢٧/٢) .

ومنها مسجد الجمعة : لما أدركته - ﷺ - الجمعة في بني سالم بن عوف^(١) فصلاها في بطن الوادي - وادي رانونا - فكانت جمعة أول جمعة صلاها بالمدينة المنورة في «وادي ذي صلب» وسيل رانونا ، وسيل ذي صلب يصلان إلى موضع هذا المسجد .

قال بعضهم : وهو المسجد الذي يحول بينه وبين عتبان بن مالك^(٢) إذا سال الوادي ، لأن بني سالم بن عوف كانت غربي هذا الوادي على طرف الحرة ، وآثارهم باقية هناك فسأل عتبان رسول الله - ﷺ - أن يصلى في بيته في مكان يتخذه مسجداً ، ففعل ﷺ .

قال في الخلاصة^(٣) : قلت : والذي يظهر أن عتبان إنما أراد مسجد بني سالم الأكبر الذي بمنازلهم غربي الوادي إذ هو محل إمامته بهم وكذا قال كما في الصحيح ، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلى بهم . وقد تهدم بناء هذا المسجد فجده بعضهم ، مقدمه رواق^(٤) مسقف فيه عقدان بينهما أسطوان وخلفه^(٥) رحبة ، وطوله من القبلة إلى جداره الشامي عشرون ذراعاً ، وعرضه بين المشرق والمغرب مما يلي محرابه ستة عشر ذراعاً وجدد سقفه بعضهم^(٦) .

مسجد الفضيف : صغير شرقي مسجد قباء على شفير الوادي على نشز من الأرض ، مرضوم^(٧) بحجارة سود ، وهو مربع ، أحد عشر ذراعاً بين المشرق والمغرب ، وكذا من القبلة إلى الشام .

عن جابر - رضى الله عنه - قال : حاصر رسول الله - ﷺ - بني النضير ،

(١) انظر الخلاصة (٣٧٨) ووفاء الوفا . (٢) ترجمته في الاستيعاب (١٢٢٦/٢) .

(٣) انظر الخلاصة (٣٧٩) .

(٤) في الخلاصة (٣٧٩) فجده بعض الأعجام على هيئة اليوم مقدمه رواق مسقف .

(٥) هو الخواجا شهاب الدين قاوان كما في الخلاصة وفي نسخة شمس الدين .

(٦) النشز . (٧) مرضوم .

فَضْرَبَ قُبْتَهُ قَرِيبًا مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ» (١) ، وَكَانَ - ﷺ - يَصَلِّي فِيهِ سِتَ لَيَالٍ ، فَلَمَّا حُرِّمَتِ الْخَمْرُ ، خَرَجَ الْخَبْرُ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ وَنَفَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَشْرِبُونَ فِيهِ فَضِيخًا فَحَلُّوْا وَكَاءَ السَّقَاءَ فَهَرَّاقُوهُ (٢) فِيهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ اتِّخَاذِهِ مَسْجِدًا وَقَبْلَ الْعِلْمِ بِنَجَاسَةِ الْخَمْرِ ، وَلَعَلَّ مِنْ سَمَاءِ مَسْجِدِ الشَّمْسِ لِكَوْنِهِ عَلَى مَكَانٍ عَالٍ أَوَّلُ مَا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، وَلَا يَظُنُّ أَنَّهُ الْمَكَانُ الَّذِي «أُعِيدَتِ الشَّمْسُ فِيهِ بَعْدَ الْغُرُوبِ لَعَلَّ» - ﷺ - ، وَكَانَ رَأْسُ النَّبِيِّ - ﷺ - وَهُوَ يُوْحَى إِلَيْهِ فِي حَجَرٍ عَلَى فُفْرِيَّتٍ ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى صَلَى الْعَصْرِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - «اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ ، فَارْدَدْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ» (٣) .. الْحَدِيثُ . رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَابْنُ مَرْدُؤَيْهِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عَمَيْسَ ، وَابْنُ مِنْدَةَ وَابْنُ شَاهِينَ . قَالَ الْحَافِظُ بْنُ حَجَرٍ : أَخْطَأَ مِنْ ذِكْرِهِ فِي الْمَوْضُوعَاتِ ، لِأَن رَدَّ الشَّمْسِ لَعَلِّي كَانَ بِالصَّهْبَاءِ مِنْ خَيْبَرَ .

مَسْجِدُ بَنِي قَرِيظَةَ (٤) : قَرِبَ حَرْتَهُمُ الشَّرْقِيَّةَ عَلَى بَابِ حَدِيقَةِ تُعَرَّفُ بِحَاجِزَةٍ ، وَقَفَّ الْفُقَرَاءُ . وَفِي الصَّحِيحِ : نَزَلَ أَهْلُ قَرِيظَةَ عَلَى حَكَمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، فَأَتَاهُ عَلَى حِمَارٍ ، فَلَمَّا دَنَا قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أَوْ خَيْرِكُمْ» (٥) .. الْحَدِيثُ .

طَوَّلُ هَذَا الْمَسْجِدِ وَعَرْضُهُ سَوَاءٌ ، أَرْبَعٌ وَأَرْبَعِينَ ذِرَاعًا ، وَكَانَ مَبْنِيًا عَلَى شَكْلِ مَسْجِدِ قَبَاءَ وَهُوَ بِبَلَا سَقْفٍ وَعَلَيْهِ حَظِيرَةٌ (٦) .

مَسْجِدُ مَشْرِئَةِ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٧) : وَقَدْ صَلَّى رَسُولُ

(١) عزاء في الخلاصة ووفاء الوفا إلى ابن شبة في تاريخ المدينة (٣٨٠) .

(٢) كذا بالأصل والخلاصة ، والمعنى : رموه وألقوه على الأرض .

(٣) ضعيف جداً : أخرجه ابن مندة ، وابن شاهين . (٤) انظر وفاء الوفا (٨٢٣/٣) .

(٥) متفق عليه . (٦) وفاء الوفا (٨٢٥/٣) .

(٧) وفاء الوفا (٨٢٥/٣) ، والمشرية بالكسر : إثناء يشرب فيه ، والمشرية : بالفتح الغرفة ، وكذلك بالضم ، والمشرية المذكورة : مسجد شمالي بني قريظة من ناحية الحرة .

الله ﷺ فى مشربة أم إبراهيم ، وهى من صدقاته ﷺ من أموال مخيريق ، وكان ﷺ أسكن مارية هناك ، والمشرية لغة الغرفة ، وولدت مارية إبراهيم عليه السلام هناك والمسجد من القبلة إلى الشام أحد عشر ذراعاً ، ومن المشرق إلى المغرب نحو أربعة عشر ذراعاً يتصل به فى المشرق سقيفة لطيفة ، وهى (١) كما قال المجد : عريضة صغيرة على رويّة حوّط عليها برضم لطيف من الحجارة السود .

مسجد بنى ظفر : من الأوس ، شرقى البقيع بطرف الحرة الغربية ، ويعرف اليوم بمسجد البغلة ، صلى رسول الله ﷺ فى مسجد بنى ظفر وروى أنه ﷺ جلس على الحجر الذى فى مسجد بنى ظفر (وقال : ما من امرأة تجلس عليه إلا حملت) .

وعن محمد بن فضالة الظفرى ، وكان ممن صحب رسول الله ﷺ أنه عليه السلام أتاها فى مسجد بنى ظفر ، فجلس على الصخرة التى فى مسجد بنى ظفر اليوم ، ومعه عبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأناس من أصحابه ، وأمر النبى ﷺ قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾ [النساء : ٤١] ، فبكى رسول الله ﷺ حتى اخضلت وجنتاه فقال : دأى رب شهيد على من أنا بين ظهرائيه ، فكيف بمن ثم أرهم ، (٢) .

قال : وليس اليوم الحجر المذكور إلا ما فى كتف بابه عن يسار الداخل ، وعند هذا (المسجد) (٣) آثار فى الحرة من جهة القبلة . يقال : إنها أثر حافر بغلة النبى ﷺ ، وأثر مرفق (٤) يذكر أن النبى ﷺ اتكا ووضع مرفقه عليه (٥) ، وعلى حجر آخر أصابع ، والناس يتبركون بها ،

(١) انظر وفاء الوفا (٨٢٧/٣) .

(٢) عزاه السهوى فى وفاء الوفا إلى يحيى عن ادريس بن محمد بن يونس الظفرى .

(٣) زيادة من الخلاصة وهى ساقطة من المخطوط ، وبإثباتها يستقيم المعنى .

(٤) المرفق من الذراع . (٥) لم أر دليلاً صحيحاً على هذا الأمر .

(وهو) (١) مسجد مربع أحد وعشرون طولاً ونحوه عرضاً .

مسجد الإجابة : لبنى معاوية بن مالك (٢) بن عوف من الأوس ، وعن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية ، حتى إذا مرَّ بمسجد بنى معاوية دخل فركع ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا ربه طويلاً ، ثم انصرف إلينا فقال : «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة . سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» (٣) ﷺ . على يمين المحراب نحواً من ذراعين وفي رواية ابن شبة ، وهو في الموطأ : «دعا أن لا يظهر عليهم عدوهم ، وأن لا يهلكهم بالنسب فاعطيتهما ، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمُنِعَها» (٤) فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة .

وهذا المسجد شمالى البقيع على يسار السالك إلى العريض وذراعه من المشرق إلى المغرب نحو خمسة وعشرون ذراعاً ، ومن القبلة إلى الشام نحو العشرين ، وأهل المدينة المنورة إذا استقوا الفيث يخرجون عند مسجد الإجابة فيفأثون سريعاً ببركته ﷺ .

مسجد الفتح والمساجد التي في قبلته (٦) : وتعرّف اليوم كلها بمساجد الفتح ، والأول المرتفع على قطعة من جبل سلع في المغرب ، يُصْعَد إليه بدرجتين شمالية وشرقية ، هو المراد بمسجد الفتح عند الإطلاق ، ويقال له : مسجد الأحزاب ، وعن جابر رضي الله عنه دعا رسول الله ﷺ في مسجد الفتح ثلاثاً ، يوم الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعُرف البشر في وجهه ﷺ . قال جابر - رضي الله عنه : فلم ينزل بي شدة أو أمرٌ منهم غليظ إلا توجهتُ تلك

(١) ساقطة من الأصل المخطوط ، والتكميل من الخلاصة .

(٢) ترجمته في الاستيعاب في معرفة الأصحاب . (٣) صحيح : أخرجه مسلم .

(٤) موطأ الإمام مالك . (٥) انظر وفاء الوفاء (٣/٨٢٩) .

(٦) انظر الخلاصة (٣٨٥) ووفاء الوفا (٣/٨٣٠) .

الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة» (١) .

وعنه «أن النبي ﷺ أتاه ، فوضع رداءه ، وقام فرفع يديه مَدّاً يدعو عليهم ، ولم يُصَلِّ ، ثم جاء ودعا عليهم وصلى » .

وعنه أنه - عليه السلام - قَعَدَ على موضع مسجد الفتح ، وحمد الله ، ودعا عليهم (٢) ، وعرض أصحابه وهو عليه .

وروى أنه - عليه السلام - أقبل من الجرف ، فأدركته صلاة العصر فصلاًها في المسجد الأعلى وروى أنه دعا في مسجد الفتح يوم الأحزاب حتى ذهب الظهر والعصر والمغرب ، ولم يصل منهم شيئاً ثم صلاًهن جميعاً بعد المغرب (٣) ، والموضع الذى دعا فيه الأسطوان الوسطى الشارعة في رحبة المسجد ، وهذا المسجد من الأماكن المباركة التى يستجاب فيها الدعاء ، فليحرص الإنسان على طلب خير الدنيا والآخرة ، وسبق بما يُدعى في هذا المكان المبارك » .

مسجد سلمان الفارسي (٤) : ومسجد أمير المؤمنين عليّ ، ومسجد أبى بكر الصديق - رضى الله عنهم - وينبغى التبرك بكهف سلع ، وهو كهف بنى حرام ، فقد جاء أن النبي - ﷺ - جلس به وكان يبىيت به ليالى الخندق ، قال فى الخلاصة : الظاهر أنه المشار إليه فى قول معاذ ابن جبل لما خرج يطلب النبي - ﷺ - فدلّ عليه فى جبل ثور ، فخرج حتى رقى الجبل ، فَبَصُرَ به فى الكهف الذى اتخذ الناس إليه طريقاً إلى مسجد الفتح ، فإذا هو ساجد ، قال : فهبطت من رأس الجبل وهو ساجد فلم يرفع حتى أسأتُ به الظن ، فظننته قُبِضَتْ روحه الشريفة المقدسة فقال ﷺ «جاءنى جبريل بهذا الموضع فقال : إن الله تعالى

(١) أخرجه أحمد فى المسند .

(٢) عزاه السهوبدى فى وفاء الوفا إلى ابن شبة فى تاريخ المدينة (٣/٨٣٠) .

(٣) عزاه فى وفاء الوفا لابن زبالة عن المطلب مرسلأ .

(٤) انظر الخلاصة (٣٨٩) ووفاء الوفا (٣/٨٣٦) .

يُقرئك السلام ويقول : ما تحب أن أصنع بأمّتك ؟ فقلت : الله أعلم ، فذهب ، ثم جاء ، فقال : إنه يقول : لا أسوءك في أمّتك ، فسجدت ، فأفضل ما تقرب به العبد إلى الله عز وجل السجود،^(١) .

مسجد القبلتين : لبنى سواد من بنى سلمة . قيل : إنه ﷺ زار أم بشر ابن البراء من بنى سلمة في بنى سلمة ، فصنعت له طعاماً . قال الراوى : فحانت الظهر ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه في مسجد القبلتين ، فلما أن صلى ركعتين أمر أن يوجّه إلى الكعبة ، فاستدار رسول الله ﷺ إلى الكعبة ، واستقبل الميزاب فهي القبلة التي قال الله تعالى : ﴿ فَلَنُرِيَنَّكَ قَبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ [البقرة : ١٤٤] ^(٢) ، فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين ^(٣) .

قال في الخلاصة ^(٤) : وهو الأرجح ، والجمع بين هذا وبين ما في الصحيح أنه ﷺ صلى بمسجده إلى الكعبة ، ثم خرج رجل بعدما صلى ، فمرّ على قوم من الأنصار في صلاة العصر فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول ﷺ إلى الكعبة ، فتخفّ القوم حتى توجّهوا نحو الكعبة ^(٥) .

وفي الصحيح أيضاً : « أن أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ العصر ^(٦) » .

فالجواب كما قال الحافظ ابن حجر ^(٧) : التحقيق أن أول صلاة صلاها في بنى سلمة الظهر ، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر ، ومرّ المار على قوم من الأنصار ، وهم بنو حارثة ، والمار عبّاد بن بشر في صلاة العصر ، فأخبرهم ، ووصل الخبر أهل قباء في صلاة الصبح فلا منافاة بين الروايات ، والله أعلم .

(١) ضعيف : أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط . كذا في وفاء الوفا ، وهو من حديث معاذ ابن جبل .

(٢) الآية من سورة البقرة (١٤٤) . (٣) انظر الخلاصة (٣٩٢) ووفاء الوفا (٨٤٠/٣) .

(٤) السابق نفس الصفحة . (٥) صحيح : البخارى ومسلم .

(٦) صحيح : البخارى ومسلم . (٧) فى الفتح .

وكان قدومه ﷺ في ربيع الأول والتحويل في نصف رجب من الثانية على الصحيح ، وبه جزم الجمهور ، ورواه الحاكم عن ابن عباس ، فصلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً بعد القدوم وقبل القدوم إلى المدينة ، كان ﷺ يصلي مستقبل القبلتين ، يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي ﷺ يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه ، وليس هذا المسجد هو الذي رأي النبي ﷺ النخامة فيه فتحته .^(١) ووضع في محله طيباً ، بل في مسجد بني حرام كان ذلك ، وسيأتي ذكره أن شاء الله تعالى . والله أعلم .

مسجد السقيا^(٢) : في شامي بئر السقيا ، وأنه ﷺ عرض جيش بدر بالسقيا ، وصلى في مسجدها ، ودعا هنالك لأهل المدينة أن يبارك لهم في مدهم وصاعهم ، وأن يأتيهم الله بالرزق من هنا وها هنا .

مساحته : سبعة أذرع في مثلها ، وهذا المسجد بأرض اسمها فلجان - بضم الفاء ثم سكون اللام ثم جيم ، أرض سقيا سعد بالحرّة الغربية .

وأخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه : خرجنا مع رسول الله ﷺ ، حتى إذا كنا بحرّة السقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص ، فقال رسول الله ﷺ : «أنتوني بوضوء» ثم نام فاستقبل القبلة فقال «اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليك»^(٣) . الحديث . ثم دعا ﷺ للمدينة في مدهم وصاعهم أن يجعل البركة بركتين ، وقد سبق الحديث بتمامه .

وفي رواية عن أبي هريرة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه ، حتى إنني لأرى بياض ما تحت منكبيه إلى أن قال : «اللهم بارك لأهل المدينة في مدهم وصاعهم وقليلهم وكثيرهم ضعفى ما باركت لأهل مكة ، اللهم ها هنا وها هنا» ، حتى أشار إلى نواحي الأرض كلها ، «اللهم من أرادهم

(١) حته : لغة في حكة ، وكلاهما بمعنى واحد أى أزاله بثوبه أو بخرقة .

(٢) انظر الخلاصة (٣٩٣) ، ووفاء الوفا (٨٤٣/٣) . (٣) سبق تخريجه وبيان درجته .

بسوء فاذبه كما يذوب الملح فى الماء^(١) .

وفى رواية أحمد بزيادة : «اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة ، واجعل ما بها من ولاءٍ بِخُمٍ»^(٢) .

وفى رواية : «كحبنا مكة وأشد ، وصحبها لنا وبارك لنا فى مدنها وصاعها ، وانقل حمأها واجعلها بالحققة»^(٣) ..

واعلم أنه تكرر دعاؤه ﷺ للمدينة فى أماكن متعددة ، فاستجاب الله دعاءه^(٤) ﷺ وأعطاه ما يرضيه ﷺ وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين .

مسجد ذباب^(٥) : ويعرف اليوم بمسجد الراية ، وهو على رأس جبل ذباب على يسار الداخل من الشام إلى المدينة المنورة قريب ثنية الوداع . ضرب ﷺ قبته فى رأس جبل ذباب ، وصلى فيه ﷺ ، ودعا فى قضية الأحزاب .

قال الواقدي ؛ وكان يزيد بن هارون فى موضع ذباب يحمل راية الموالى ، وصفهم كراديس بعضها خلف بعض إلى الثنية ثنية الوداع .

تتبيه : ثنية الوداع هذه معروفة شامى المدينة المنورة بين مسجد الراية ، وقبة النفس الزكية قرب سَلْع ، وسميت بذلك لتوديع النساء اللاتى استمتعن بها عند رجوعهم من خيبر .

وفى رواية : إلى خروجهم إلى تبوك ، وكان ﷺ ضرب عسكره حينئذ هناك .

وقيل : تسميته جاهلية . ووهم من جعله جهة مكة .

قال فى الخلاصة : وفى أحد مسجد جبل أحد لاصق به على عينك

(١) سبق تخريجه وبيان درجه . (٢) سبق تخريجه وبيان درجه .

(٣) سبق تخريجه وبيان درجه .

(٤) فى الأصل المخطوط «دعائه» وهو غلط ، والصواب ما أثبتناه وهو فى الخلاصة .

(٥) انظر وفاء الوفا (٨٤٥/٣) والخلاصة (٣٩٤) .

وأنت ذاهب في الشعب للمهراس ويسمى : مسجد الفسح^(١) : لنزول قوله تعالى فيه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾ [المجادلة : ١١] .^(٢) .. الحديث .

صلى فيه رسول الله ﷺ الظهر والعصر يوم أُحُد بعد انقضاء القتال . مسجد ركن جبل عيَّنين^(٣) : الشرقي على قطعة من الجبل ، وهذا الجبل في قبلة مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه ، وكان عليه الرماة يوم أُحُد ، وأن هذا المسجد هو الموضع الذي طُعِنَ فيه ﷺ ، يقال : إنه مشى بطعنته إلى مسجد الوادي على شفيره شامى جبل عيَّنين قريب من المسجد قبله ، وصرع حمزة رضي الله عنه هناك وأقام في مواضعه تحت جبل الرماة ، ثم أمر به النبي ﷺ فحمل من بطن الوادي ، وصلى رسول ﷺ يوم أُحُد هناك فصلى الصبح بأصحابه وعليهم السلاح .

مسجد الأسواف^(٤) : هو المسجد الذي بطريقه الساقلة اليمين الشرقية من مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه طوله ثمانية أذرع . وعن عبد الرحمن بن عوف أنه كان برحبة المسجد ، فرأى النبي ﷺ خارجاً من الباب الذي يلي المقبرة ، فخرج على إثره فدخل حائطا من الأسواف فتوضأ ثم صلى ركعتين فسجد سجدة أطال فيها السجود ، وأن النبي ﷺ قال له : «إن جبريل عليه السلام بشرني أن من صلى على صلى الله عليه ، ومن سلم على سلم الله عليه ،» .

وفى رواية : «فسجدتُ لله شكراً»^(٥) .

والأسواف ، بفتح الهمزة آخره فاء ، ويقال : الأساوييف ، شامى البقيع على الطريق المتوجه إلى أُحُد وفى الأوسط للطبرانى أن النبي ﷺ جاء زائراً لِسعد بن الربيع الأنصارى ، ومنزله بالأسواف ، فبسطت امرأته

(١) انظر الخلاصة (٣٩٦) ووفاء الوفا (٨٤٨/٣) . (٢) الآية من سورة المجادلة (١١) .

(٣) الخلاصة (٣٩٦) ووفاء الوفا (٨٤٨/٣) .

(٤) الخلاصة (٣٩٧) ووفاء الوفا (٨٥٢/٣) . (٥) أخرجه أحمد فى المسند .

لرسول الله ﷺ تحت صور من نخل فجلس .. « الحديث .

وفى الأوسط أيضا أن النبي ﷺ جلس على بئر الأسواف وأدلى رجله فيها ، وذكر مجئ أبى بكر وعمر ثم عثمان ، كحديث بئر أريس^(١) ، وأن بلالاً هو المأمور بالإذن لكل منهم ، وأن يبشره بالجنة ، ويسمى هذا المسجد مسجد أبى ذر الغفارى . قال فى الخلاصة : ولم يردفيه نقل يُعتمد عليه .

وأخرج أحمد بلفظ : خرج رسول الله ﷺ ، فتوجّه نحو صدقته فدخل ، فاستقبل القبلة ، فخر ساجداً^(٢) ..

وفى جهة هذا المسجد موضع يُعرف بالصدقة قديما وحديثا .

مسجد البقيع^(٣) : على يمين الخارج من درب البقيع غربى مشهد عقيل وأمّهات المؤمنين قال فى الخلاصة : والذى يظهر أن هذا المسجد هو مسجد أبى بن كعب .

ويقال له : مسجد بنى جديلة^(٤) : وكان ﷺ يختلف إلى مسجد أبى فيصل فى غير مرة ولا مرتين .

وقال ﷺ كما فى الخلاصة عن يحيى :

«لولا أن يميل الناسُ إليه لأكثرَت الصلاة فيه» .

ولابن زبالة أن النبي ﷺ صلى فى مسجد أبى ربيعة ، وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين .

(١) سبق تخريجه عند الحديث عن بئر أريس . (٢) انظر مسند الإمام أحمد .

(٣) انظر الخلاصة (٣٩٨) ووفاء الوفا (٨٥٢/٣) .

ومن أعجب الأمور أن هذا المسجد اتخذ مخزنا للحفارين يضعون فيه أدواتهم ولوازمهم ، وامتنع بذلك مدة طويلة من الدهر حتى جهل ونسى ، وصار لا يعرف إلا بمخزن الحفارين ، وبقي كذلك ، وفى سنة ١٢٩٥ هـ كتب الشيخ عبد الغنى العمري ، والشيخ /حسب الله المكى المدير الحرم الشريف ، وأجزاه عن ذلك ، وطلبا منه أن يخرج الحفارين ويصونه من الابتذال ويصلح منه ما يلزم ، فأستغفهما ، واهتم بذلك ، وأصلحه أتم إصلاح . عن هامش الخلاصة (٣٩٨) .

(٤) انظر وفاء الوفا (٨٥٣/٣) . (٢) عزاه السهوى فى وفاء الوفا إلى ابن شبة فى تاريخ المدينة .

﴿ واما الآبار الماثورة النبوية ﴾

فبئر أريس : كجليس بقاء ، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . (أنه) (١) توضاً في بيته ، ثم خرج فقال : لألزمَنَّ رسول الله ﷺ ، ولأكونَنَّ معه يومى هذا ، فجاءَ إلى المسجد ، فسأل عن النبي ﷺ فقالوا : خَرَجَ وَجَّةً هَاهُنَا . قال : فخرَجْتُ على إثرِهِ أسأل عنه حتى دخل بئر أريس (٢) .

قال : فجلستُ عند الباب وبابها (٣) من جريد ، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضاً ، فقمْتُ إليهِ ، فإذا هو قد جلسَ على بئر أريس وتوسط قُمَّها (٤) ، وكشف عن ساقِيهِ ، ودلَّهما في البئر . قال : فسلمتُ عليه ، ثم انصرفْتُ ، فجلستُ عند الباب ... الحديث (٥) ، وفيه دخول الصديق وشارته بالجنة ، ثم عمر وشارته

(١) ساقطة من المخطوط والتكميل من الخلاصة .

(٢) بئر أريس - بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون المثناة ، نسبة إلى رجل من يهود يقال له : أريس ، ومعناه بلغة أهل الشام الفلاح . كذا في وفاء الوفا .

(٣) الضمير يعود إلى البئر أى وباب البئر . (٤) القف بالضم : حجارة عظام في حافة البئر . (٥) تمامه : فقلت : لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم ، فجاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فدفع الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر . فقلت : على رسلك ، قال : ثم ذهبت فقلت : يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، قال : فأقبلت حتى قلت : لأبى بكر : ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر بالجنة . قال : فدخل أبو بكر وجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فى القف ودلى رجله فى البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت ، فجلست وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقنى فقلت : إن أراد الله بفلان خيراً يأت به ، فإذا إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت : على رسلك ، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه ، وقلت : هذا عمر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، فجئت عمر فقلت : ادخل ويشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . قال : فدخل ، فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القف عن يساره ودلى رجله فى البئر ، ثم رجعت فجلست ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيراً يعنى أخاه يأت به ، فجاء إنسان ، فحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال عثمان بن عفان ، فقلت : على رسلك ، قال : وجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه ، فجئت : فقلت : ادخل ويشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة مع بلوى تصيبك قال : فدخل فوجد القف قد ملئ ، فجلس وجاههم من الشق الآخر .

بالجنة ، ثم عثمان - رضى الله عنهم - وشارته بالجنة على بلوى
تصيبه ، فقال : الله المستعان ، فدخل وجلس وجأههم ، لأن القُف قد
ملئ بالنبى ﷺ ، والشيخين (١) رضى الله عنهما ، قال سعيد (٢) بن
المسيب : فأولتها قبورهم (٣) .

وسقط من عثمان رضي الله عنه خاتم رسول الله ﷺ فى بئر أريس فلم
يوجد (٤) .

وكان سقوطه بعد ست سنين من خلافته ، فكان مبتدأ الفتنة ،
ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ويثر غرس ، وأرومة ، ويضاعة ، ويصه ، ويثرحأ ، والعهن
وفى الخلاصة :

إذا رُمْتَ آبارُ النبى بطيبة فعدتها سبعُ مقالاً بلا وَهْنٍ
أريسُ وغرس رومة ويضاعة كذا بصة قل يثرحأ مع العهن (٥)

قال شريك : قال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم .
والحديث : صحيح . أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة . باب من فضائل عثمان بن عفان
(١٨٦٨/٤) .

(١) المقصود بهما الصديق أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفاروق عمر بن
الخطاب .

(٢) سعيد بن المسيب تابعى ثقة من كبار التابعين ومن أهل الحديث والورع .

(٣) فأولتها قبورهم : يعنى أن الثلاثة دفنوا فى مكان واحد ، وعثمان فى مكان بائن عنهم ،
وهذا من باب الفراسة الصادقة .

والحديث سبق بيان أنه صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه .

(٤) فى صحيح البخارى من حديث أنس قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
يده ، ثم فى يد أبى بكر بعده ، وفى يد عمر بعد أبى بكر . قال : فلما كان عثمان جلس على بئر
أريس ، فأخرج الخاتم ، فجعل يبعث به فسقط ، فقال : فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ، فنزع البئر
فلم نجده .

وفى مسند الحميدى عن ابن عمر أنه سقط من معيقيب . وثبت ذلك من رواية فى صحيح
مسلم .

(٥) انظر البيتين فى التحفة اللطيفة للسخاوي (٦٦/١) .

فَفَرَسَ : بضم الفين المعجمة وسكون الراء ، وقال المجد صاحب القاموس بفتح الفين . بقاء شرقي مسجد قباء على نصف ميل إلى جهة الشمال ، وكان رياح ^(١) مَوْلَى رسول الله ﷺ يستقى للنبي ﷺ من بئر غُرْس مَرَّةً ، ومن بئر السقيا مَرَّةً ^(٢) .

وعن أنس أنه قال : اتتوني من بئر غُرس ، فإني رأيت رسول الله ﷺ يشربُ منها ويتوضأُ منها، ^(٣)

وعن علي بن أبي طالب قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس »، ^(٤) .

وكانت بقاء ، وكان يشربُ منها .

وفى رواية يحيى : « يا علي إذا أنا مت فاغسلني من بئري بئر غُرس بسبع قرب لم تحلل أوكيتهن » ^(٥) .

وعن محمد الباقر أنه ﷺ غُسل من بئر يُقال لها : بئر غُرس لسعد ابن خيثمة ، وكان ﷺ يشرب منها .

وروى أنه ﷺ توضأ من بئر الأغراس ، فاهراق بقية وضوئه فيها .

وعن أنس أنه ﷺ جاء بئر غُرس وإنها لتُسَنَّى على حمار ، فدعا النبي ﷺ بدلو من مائها ، فتوضأ منه ، ثم سَكَبَهُ فيها ، فما نزلت بعد ^(٦) .

(١) ترجمته في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤٧٨/٢) .

(٢) ذكره السهودي في وفاء الوفا (٩٧٨/٣) .

(٣) عزاه السهودي في وفاء الوفا (٩٧٩/٣) إلى ابن حبان في الثقات .

(٤) ضعيف : أخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز . باب ما جاء في غسل النبي صلى الله عليه كان رافضيا داعيا ، ومع ذلك كان يروى المناكير في المشاهير .

(٥) ضعيف : انظر تخريج الحديث السابق .

(٦) عزاه السهودي في وفاء الوفا (٩٧٩/٣) إلى ابن زبالة من حديث أنس .

وروى أنه ﷺ قال : « رأيتُ الليلة أنى أصبحت على بئر من الجنة ^(١) » ،
فأصبح على بئر غرس ، فتوضأ منها ، وبزق فيها ، وأهدى له غسل
فصبه فيها .

وعرض هذه البئر عشرة أذرع وطولها يزيد على ذلك وماؤها يغلب
عليه الخضرة وهو طيبٌ عذب ، ويدخل (لها) ^(٢) بدرجة ، وأنشأ ^(٣)
بجانبيها مسجدٌ عامٌ اثنين وثمانين وثمانمائة .

بئر رومة ^(٤) : لما قال النبي ﷺ : « من يشتري رومة بشرب رواء في
الجنة » ^(٥) .

فاشترها عثمان - ﷺ - فتصدق بها .

وأما رواية : « من حفر بئر رومة فله الجنة ، فحفرتها ^(٦) » كما في
الصحيح . مع أن المعروف أن عثمان اشترى أولاً نصفها بمائة بكرة ،
وكان البئر ليهودي ^(٧) يبيعُ ماءها ، ثم لما نزل الناس يوم اليهودى باعه
لعثمان بثمن يسير ، فتصدق بجميع البئر ﷺ .

فالجواب كما في الخلاصة ^(٨) : قيل : إن ذكر الحفر وهم من بعض
الرواة ، وقد يُجمع بأنه رغب في شراها فاشترها ، ثم احتاجت إلى
الحفر ، فرغب في حفرها . وهى بئر جاهلية بأسفل العقيق قريب
مجتمع السيول .

(١) ذكره صاحب القاموس ، ولم يعزه .

(٢) ساقطة من الأصل المخطوط والزيادة من الخلاصة .

(٣) أنشأ هنا بمعنى بنى وهياً .

(٤) رومة ، بضم الراء ، وسكون الواو ، وضع الميم ، بعدها هاء ، وقيل : رومة .

(٥) صحيح : وقد اشترى عثمان هذه البئر بخمسة وثلاثين ألف درهم ، وحفرها ووسعها وطواها
والحديث في الترمذى ، والنسائى ، وغيرهما .

(٦) صحيح : أخرجه البخارى في كتاب الحج . باب إذا أوقف أرضاً أو بئراً ... الخ .

(٧) اسمه رومة اليهودى ، وإليه تنسب البئر . انظر وفاء الوفا .

(٨) انظر الخلاصة ، ووفاء الوفا (٩٦٩/٣) .

بُضَاعَةٌ^(١) : بضم الباء على المشهور ، وَحُكِيَ كَسْرُهَا ، وضاد معجمة ، وأهملاها بعضهم ، وبالعين المهملة ، غريبٌ بَيَّرْحَاء إلى جهة الشمال .

عن أبي سعيد الخدري قيل . يا رسول الله إنْ بَثْرَ بُضَاعَةٍ يُلْقَى فِيهَا لحوم الكلاب ، والمخايض ، وعذر الناس . فقال ﷺ : «الماء طهور ولا ينجس بشيء»^(٢) وفي رواية «إلا ما غلبَ على ريحه وطعمه ولونه» .

وفي رواية «الماء لا ينجسه شيء»^(٣) ، وفي رواية .. «سقيت رسول الله ﷺ من بثر بضاعة، روى أنه - ﷺ - دعا بالبركة لبثر بُضَاعَةٍ ، وبصق، فهي يبشر بها وَيَتَيْمَنُ ، وكان إذا مرض المريض في أيامه يقول : أغسلوني من بثر بُضَاعَةٍ ، فيغسل ، فكانما نشِطَ من عقال »^(٤) .

وقالت أسماء بنت أبي بكر - رضى الله عنهما - كنا نفسل المرضى من بُضَاعَةٍ ثلاثة أيام فيعافون» وعن أبي أسيد - رضى الله عنه ، وله - بثر بضاعة قد بصق فيها النبي - ﷺ - فهي يبشر بها ويتيمن بها ، قال : فلما قطع أبو أسيد تمرَ حائطه^(٥) ، جعله في غرفة ، فكانت الغول تخالفه ، فتسرق تمره ، فشكى ذلك للنبي ﷺ فقال :

«تلك الغول فاستمع فإذا سمعت اقتحامها ، فقل : بسم الله أجيبى رسول الله ﷺ ، فقالت الغول : يا أبا أسيد أعفنى إن تكلفنى أن أذهب إلى رسول الله - ﷺ - وأعطيك موثقاً من الله أن لا أخالفك إلى بيتك وأدلكَ على آية تقرأها على بيتك ، فلا يخالف إلى أهلك وتقرأها على إنائك ، فلا يكشف غطاءه ، فأعطيته الموثق الذي رضى منها ، فقالت

(١) انظر وفاء الوفا (٩٥٦/٣) باب بثر بضاعة ، وقال باقوت : هي دار بنى ساعدة بالمدينة .
(٢) حسن : أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة (٣٤) باب ما جاء في بثر بضاعة من طريق أبي أسامة ، عن الوليد بن كثير ، وفي أبو داود كذلك (٥٥/١) من طريق سليط بن أيوب ، كما أخرجه الترمذى في أبواب الطهارة . باب ما جاء في أن الماء لا ينجسه شيء ، والنسائي (١٧٤/١) باب ذكر بثر بضاعة من كتاب المياه .

(٣) انظر تخريج الحديث السابق .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ، وانظر ابن شبة في تاريخ المدينة .

(٥) الحائط : الحديقة والبستان .

الآية آية الكُرْسِيِّ ، فأتى النبي ﷺ - فَقَصَّ عليه القصة ، حين دُلَّته ، فقال النبي ﷺ : «صَدَقْتُ وهى كذوب»^(١) قال الهيثمى - رحمة الله - : رجاله وثقوا ..

بئر بُصَّة^(٢) .. بضم الموحدة ، وتخفيف الصاد المهملة ، كما هو الدائر على آلِ سِنَةِ أهل البلد ، قال المجد : إنه بالتشديد ، كأنه من بصّ الماء - أى رشح - وإن روى بالتخفيف ، فمن وبص إذا بلغ أو من وبص لى من المال - أى أعطانى ، وعن أبى سعيد الخدرى قال :

كان رسول الله - ﷺ - يأتى الشهداء وأبناءهم ، ويتعاهد عيالاتهم ، قال : فجاء يوماً أباً سعيد الخدرى ، فقال «هل عندكم من سدر أخسل به رأسى فإن اليوم الجمعة» قال : نعم . قال : فأخرج له سدرأ ، وخرج معه إلى البُصَّة ، فغسل رسول الله ﷺ - رأسه وصبَّ غسالة رأسه ، ومراقبة شعره فى البُصَّة^(٣) ، وهى قريبة من البقيع على طريق قباء بين^(٤) نخل وعرضها سبعة أذرع ، وهناك بئر أصغر منها ، عرضها ستة أذرع ، وكان نخلها وفقاً على الصادر والوارد من الفقراء .

بَيْرُحَاءَ^(٥) بفتح الموحدة وكسرهما ، ويفتح الراء وضمها ، وبالماء فيهما ويفتحهما ، والقصر فيعنى من البراح ، وهى الأرض المنكشفة ، وفى الصحيحين عن أنس - رضى الله عنه . كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بَيْرُحَاءَ ، وكانت مستقبله المسجد ، وكان رسول الله - ﷺ - يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب^(٦) -

(١) ضعيف جداً : ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ، وقال : رجاله وثقوا ، وفى بعضهم ضعف ، وانظر وفاء الوفا (٩٥٧/٣) .

(٢) فى الوفا (بئر البصة) .

(٣) عزاه السهردى فى وفاء الوفا (٩٥٤/٣) إلى ابن زباله ، وابن عدى من طريق عن أبى

سعيد .

(٤) كذا قال ابن النجار . (٥) انظر وفاء الوفا (٩٦١/٣) .

(٦) متفق عليه : أخرجه البخارى ومسلم كلاهما فى كتاب الزكاة .

الحديث - وفى رواية ، وكانت حديقة - كان رسول الله - ﷺ - يدخلها ويستظل فيها ويشرب من مائها فتصدق به أبو طلحة على ذوى قُرْبَى رَحِمِهِ ، وكان منهم ، أُبَيٌّ ، وحِسان (١) ، فباع حصته من معاوية ، فقبل له : تبيع صدقة أبى طلحة ؟ فقال : ألا أبيع صاعاً من تمر بصاع من دراهم .

وبيرحاء اليوم فى وسط حديقة صغيرة جداً قريبة من السور شمالى السور ، وماؤها عَذْب يُعْرَف الآن بالنويرة ، اشترتها امرأة من نساء النوبرين من خطباء مكة ، وأوقفتها على الفقراء والمساكين .

بِيرِ الْعَهْن : بالعالية ، يزرع عليها ، مليحة جداً ، منقورة فى الجبل قال فى الخلاصة :

والذى ظهر لى بعد التأمُّل ، أن العهن هى بئر بنى أمية ، اليسيرة : لابن زبالة عن سعد بن عمرو قال : جاء رسول الله - ﷺ - بنى أمية بن زيد ، فوقف على بيرلهم فقال «ما اسمها» فقالوا : عسيرة ، قال « لا ولكن اسمها اليسيرة» قال : وبصق فيها وبرك فيها ، وتوضأ - ﷺ - منها - ، وقد ذكر فى الخلاصة نحو تسعة عشر بئراً ، وقال : فَحَصَرُهَا فى سبع مَرْدُودٍ ولكن الذى اشتهر معرفته من ذلك سبع ، قال فى الأحياء : وهى سبعة آبار ، واختلف فى السابع هل هى بئر السقياء أو بئر العهن أو بئر جمل (وبير جمل) .. (٢) لابن زبالة عن عبد الله بن رواحة وأسامة بن زيد قال : ذهب رسول الله - ﷺ - إلى بئر جمل ، وذهبنا معه ، فدخل رسول الله - ﷺ - ودخل معه بلال ، فقلت : لانتوضأ حتى نسال بلالاً كيف توضأ رسول الله - ﷺ - ، فسألناه ، فقال : توضأ رسول الله - ﷺ - - ومسح على الخُفَيْن ..

(١) يعنى أبى بن كعب ، وحسان بن ثابت الأنصارى .

(٢) بئر العهن : بكسر العين المهملة ، وسكون الهاء ، . انظر تفاصيل الحديث عن هذه البئر فى وفاء الوفا (٩٧٧/٣) وما بعدها .

(٣) بلفظ الجمل من الإبل ، انظر فى ذلك وفاء الوفا (٩٦٠/٣) .

وفى الصحيح .. (١) أقبل النبي - ﷺ - من نحو جمل ، فلقى رجلٌ فسلم عليه ، وفى رواية الدارقطنى .. أقبل من الغائط ، فلقى رجل عند بئر جمل ، وفى آخر ، وذهب نحو بئر جمل ليقضى حاجته ، فلقى ، وهو مُقْبِلٌ ، فسلم عليه .. قال المجد : فى رواية للنسائى (٢) .. أقبل من نحو بئر جمل ، وهو من العقيق ، وهى بئر معروفة بناحية الجرف بآخر العقيق ، وعليها مال من أموال المدينة ، سُمِّيَتْ .. بجمل مات فيها أو بِرَجُلٍ اسمه جمل حفرها - انتهى -

قال فى الخلاصة : وتبع ذلك ياقوت ، والمعروف بقضاء الحاجة ناحية بئر أبى أيوب شمالى البقيع ، قال : وقد سبق فى الثالث من الباب الثالث : بروك الناقة بين أظهر بنى النجار ثم نهضت حتى أتت زقاق الحبشى بئر جمل ، - وسبق فى الدور المطيفة بالمسجد ما يقتضى أنه المعروف اليوم عند مؤخر المسجد من المشرق بخرق الجمل يصل إلى سور المدينة فالأصوب أنها (من هذه) (٣) الناحية والله أعلم .



(١) صحيح : أخرجه البخارى ، والبيهقى ، والنسائى .

(٢) انظر سنن النسائى .

(٣) ساقطة من الأصل ، والتكميل من الخلاصة .

فصل : فى أودية المدينة (١)

وادی العقیق : عن ابن عمر قال رسول الله - ﷺ - «أتانى اللیلة أت ، فقال : صل فى هذا الوادى المبارك» (٢) العقیق وادٍ مبارك (٣) ، وكان عمر - رضی اللہ عنہ - إذا سأل الوادى بالعقیق قال : «اذهبوا بنا إلى هذا الوادى المبارك ، وإلى الماء الذى لو جاعنا جاء من حيث جاء ، لَمَسَحْنَا به» (٤) ولابن زبالة عن عامر : أن النبى - ﷺ - ركب إلى العقیق ثم رجع فقال : «يا عائشة جئنا من هذا العقیق فما ألین موطأه وأعذب ماءه» قالت : فقلت : یرسل الله أفلا تتنقل إليه ؟ فقال ، «وكيف وقد ابتنى الناس» (٥) وروى عنه - ﷺ - أنه قال فى عرصة العقیق «نعم المنزل العرصة لولا كثرة الهوام» (٦) وروى عن أنس - رضی اللہ عنہ - قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى وادی العقیق ، فقال : «یا أنس . خذ هذه المطهرة املاها من هذا الوادى فإنه یحببنا ونحبُّه» (٧) .

قيل : سُمى عقیقاً لأن سیله عقی فى الحرّة ، أى شق وقطع ، وقيل : لحرمة موضعه . وروى عن سلمة بن الأكوع قال : كنت أصید الوحش ، وأُهدى لحومها إلى رسول الله - ﷺ - ففقدنى . فقال - ﷺ - «یا سلمة أين كنت تصید الوحش؟ فقلتُ : یرسل الله تباعد الصیّدُ ، فانا أصید

(١) يقول الدكتور / صالح أحمد العلى فى دراسة له عن الحجاز فى صدر الإسلام : تخترق المدينة عدة أودية تجرى عموماً من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى ، وتتوافر فيها المياه وخاصة بعد الأمطار ، ولكن يبدو أن مياهها غیر دائمة ، ولا تكفى للإرواء الدائم أو الشرب ، ومن هذه الأودية وادی العقیق .

(٢) صحيح . السيوطى فى جمع الجوامع .

(٣) عزاه السهوى فى الخلاصة لابن شبة فى تاريخ المدينة عن ابن عمرو موقوفاً (ص ٤٩٠) .

(٤) ذكره السهوى فى الخلاصة من طريق أبو غسان قال : أخبرنى غیر واحد من الثقات ، وذكره انظر الخلاصة (ص ٤٩٠) .

(٥) عزاه السهوى إلى ابن زبالة من حديث عامر بن سعد انظر الخلاصة (ص ٤٩٠) .

العرصة : هى كل جوبة متسعة لا بناء فيها لاعتراض الصبيان أى لعبهم فيها ، وعرصة العقیق تنقسم إلى عرصة صغرى وكبرى ، والحديث ذكره صاحب الخلاصة (ص ٤٩٠) .

(٧) عزاه السهوى فى الخلاصة (ص ٤٩٠) إلى السيد العباسى العراقى .

بصدور قناة نحو ثيب ، فقال رسول الله - ﷺ - «لو كنت تصيد بالعقيق لَشَيَّعْتُكَ إِذَا خَرَجْتَ ، وَتَلَقَّيْتُكَ إِذَا جِئْتَ» (١) وسبق الجواب عن جواز صيد العقيق . بأنَّ العقيق مُمْتَدُّ إلى النقيع (٢) ، فالصيد كان فى الحل من العقيق . والله أعلم .

وادی بطحان (٣) .. عن عائشة ، «وادی بطحان على تَرْعة من تَرْع الجنة» (٤) .

وادی رانونا .. (٥) يأتى سيلها من مَقَمَل فى جبل فى يمانى غير ومن حرش شرقى الحرة ، ثم يصبُّ على قرين صريحة المعروف بقرين الظرطة ثم على سَدِّ عبد الله بن عمرو بن عثمان المعروف بسَدِّ عنتر ، ثم يعترض قُبَاء ، ثم يستبطن بنى بياضة ، فتعرف فرقتين وتصبَّان فى وادی بطحان ، ووادی قناة المسمَّاه بالشظاة (٦) وفى القاموس . أنه عند المدينة يُسمَّى قناة ، ومن أعلى منها عند سَدِّ نار الحرة ، يسمى بالشظاة وقال ابن شبة : وادی قنا : يأتى من وَجِّ : أى وج الطائف :- قال المدائنى : قناة . وادٍ يأتى من الطائف ، ثم يأتى قبور الشهداء بأحد ، ثم ينتهى الى مجتمع السيول بزغابة ، قال ابن زباله : سيل قناة . إذا استجمعت يأتى من الطائف ، وهو أحد فحول أودية الغرب فيأتى من المشرق حتى يصل السد الذى أحدثته نار الحرة ، وانقطع هذا الوادى بسببه ، ثم انْحَرَفَ

-
- (١) عزاه السهمودى إلى ابن شبة فى تاريخ المدينة ، وعند الطبرانى نحوه .
(٢) فى الخلاصة : يبدأ العقيق من برام إلى خفير ، وهو آخر النقيع . أما العقيق فإنه يبدأ من العرصه وينتهى بالنقيع (ص ٤٩١) .
(٣) كان وادی بطحان يتوسط بيوت المدينة فى زمن ابن شبة ، وهو يأخذ من ذى الحدر ، ثم يستمر حتى يرد الجسر ، وعند ابن شبة أن ابتداءه من جسر بطحان إلى آخر غربى مسجد قباء كذا قال السهمودى فى وفاء الوفا (٢٨١/٢) وانظر الحجاز فى صدر الإسلام (ص ٤٨٦) .
(٤) عزاه فى الخلاصة إلى ابن شبة فى تاريخ المدينة .
(٥) يذكر السيد كبريت أن رانونا يأتى من جبل فى يمانى «غيره يمر بالعصبة» ويعترض قباء يمينا ويدخل الشرق والبستان ، ثم يخرج إلى العليقة ، ثم يشارك وادی بطحان المعروف بأبى جيهده من غرب العصبة قبل المصلى . كذا فى الجواهر الثمينة (ص ٩١) .
(٦) كذا عند ابن شبة فى تاريخ المدينة (ص ١٦٨) .

سنة تسعين وسُتمائة ، فجرى الوادى سنة يملأ ما بين الجبلين ، ثم انحرف بعد السبعمائة ، فجرى سنة أو أزيد ثم انحرف فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، بعد تواتر الأمطار ، فحضر وادياً آخر عند مَجْرَاهُ الذى على مشهد سيدنا حمزة ، قبليّه وقبلى جبل عينين جبل الرّماة فى غزوة أُحُد ، وبقي المشهد والجبل فى وسط السيل نحو أربعة أشهر لا يقدر أحدٌ على المرور ، ولا الوصول إليها إلا بمشقة ، وكان أهل المدينة المنورة يقفون على التل الذى خارج باب البقيع ، فيشاهدونه ، ولو زاد مقدار ذراع فى ارتفاع ، وصل المدينة لكن الله لَطَفَ بحفظ ببركته - ﷺ - المدينة ، وأهلها .

قال فى الخلاصة : ثم استقر فى الوادى بين القبلى والشمالى قريباً من سنة ، وكشف عن عين قديمة قبلى الوادى جَدَّدَهَا الأمير ودى ثم دثرت - (١) والله أعلم .

وادى مذنيب : ويقال : مذنيب ، وهو شعبة من (سيل) (٢) بطحان ، لأنه يفرغ فيه ، وفى الخلاصة : عن ابن شبة - أن مذنيب من أصل مهزور وأنه يجتمع معه بفضاء بنى خطمة ، وأن أصل الجميع حرة واحدة ، ومذنيب يشق فى زماننا من الحرة الشرقية قبلى بنى قريظة ثم يأتى الفضاء الذى خلف الماجشونية ، فيلقاه هناك شعبة من مهزور ، ويصيان هناك جميعاً اليوم فى بطحان (٣) .

وادى مهزور : يصب فى أموال بنى قريظة ، ثم يأتى المدينة ، وكان يسقى هو ومذنيب . صدقات رسول الله - ﷺ - كلها إلا مشرية أم إبراهيم .. ، قال فى الخلاصة : والشعبة التى تلقى مذنيب من مهزور

(١) من أول قوله : وفى القاموس إلى آخر هذه العبارات مأخوذ بالنص من الخلاصة (ص ٥٠١) ، وما بعدها ، وانظر فى هذا الوادى ياقوت الحموى فى معجم البلدان (٧٥٤/٣) ، وابن سعد فى الطبقات .

(٢) زيادة من الخلاصة (ص ٥٠٠) .

(٣) الخلاصة (ص ٥٠٠) .

إنما تصب اليوم معه فى بطحان ، والذى يسقى الصدقات شعبة أخرى تمر بالصافية وما يليها من الصدقات ، ثم بما حول البقيع واتخذ لها مُزجان شيخ الخدام طريقاً من ناحية الصدقات حتى تصب فى بطحان أيضاً حتى لا تفسد النخيل التى حول البقيع ، وتشق شعبة من مهزور فى الحرة الشرقية إلى العريض وهى معظم مهزور ، بسبب السد الذى هناك ، فتصب فى قناة ، وقد سال مهزور فى زمن ولاية عثمان - رحمته الله - سَيْلاً عظيماً خيف على المدينة منه الفرق فعمل عثمان الردم عند بئر مدرى لِيُرَدَّ بِهِ السيل عن المسجد النبوى والمدينة^(٢) .

قيل : إن عثمان - رحمته الله - صرفه حتى يصب فى بطحان ، وسال مهزور فى خلافة المنصور سنة بضع وخمسين ومائة ، حتى مَالاً الصدقات النبوية ، وصار الماء فى برقة إلى أنصاف النخيل فخيف على المسجد النبوى ، فخرج الناس فدلوا على مصرفه ، فحضرُوا فى برقة ، فأبدوا عن حجارة منقوشة ففتحوها ، فانصرف الماء فيها ، وغاض إلى بطحان ، دَلَّهُمْ على ذلك عجوزٌ مُسَنَّةٌ من أهل العالية وهدمت بيوت بطحان ، وبنى جشم بن الحارث لصرف الماء إلى جهتهم ، والخصام مع الزبير فى شراج الحرة التى يسقون بها كان فى مهزور ، وتجتمع السيول بزغابة عند أرض سعد بن أبى وقاص وذلك أعلى وادى أَضْمٍ ، سُمِّيَ به لاتضام السيول واجتماعها به ، ثم تمضى هذه السيول على الغابة ، ثم تلتقى مع جمع من الأودية ، وتذهب إلى البحر من ثلاثة أمكنة ، اليعيب والنيحة وحقيب ، وأن مصَبَّهُ فى البحر من ناحية أكرأ من طريق مصر^(٣) . والله أعلم ...

(١) انظر فى وادى مهزور ياقوت الحموى فى معجم البلدان (٧٠١/٤) ، والخلاصة (٥٠٠) وما بعدها ، وابن شبة فى تاريخ المدينة (٢٣١/٢) ، والحجاز فى صدر الإسلام (٤٨٨) وما بعدها .

(٢) كذا فى الخلاصة للسمهودى (٥٠١) .

(٣) خلاصة الوفا (ص ٥٠٢) ، والحمى فى الأصل : هو المكان المحمى الذى ليس بمباح .



فصل : فى الاحماء



حمى النقيع ، وحمى الرينة

وحمى الشرف ، وحمى ضريه ، وحمى قيد

الحمى . بالقصر ، بكسر الحاء وفتح الميم ، وقد يمد ، موضع من الموات يمنع من التعرض ليتوافر فيه الكلاً فيرعاه مواشى مخصوصة ، وقد اشتهر لذلك مواضع من المدينة المنورة (١) فاما .

النقيع (٢) : قيل : هى على أربعة بُرد فى يمانيه ، وقيل : على ستين ميلاً من المدينة ، ولعلّ مُرادَ قائله طرفه الأقصى من المدينة ، والنقيع أوّل الأحماء وأفضلها وأشرفها ، وأن طوله بريد ، وعرضه ميل ، لأن النبى - ﷺ - لما حماه لخيّل المسلمين ، أمر رجلاً صيتاً فأوفى (٣) على عسيب ، وصاح بأعلى صوته ، فكان مدى صوته بریداً وهو قاع مدر طيب يُنبِت أحرار البقل والطرائف ويستأجم ، أى يستأصل أصله ، ويغلظ نبتة حتى يعود كالأجمة ، يغيب فيه الراكب إذا أحيا وفيه العضاة والفرقد ، والسدر ، والسال ، والسلم ، والطلح والسمر والعوسج (٤) عن الصعب بن جثامة أن النبى - ﷺ - حمى النقيع ، وقال : « لا حمى إلا لله ورسوله » (٥) .

(١) انظر خلاصة الوفا (ص ٥٠٣) .

(٢) النقيع : بنون مفتوحه ، وقاف مكسورة ، هو كل موضع يستنقع فيه الماء ، وبه سمي هذا الوادى .

(٣) فى الخلاصة : فاتكا .

(٤) انظر الخلاصة (ص ٥٠٤) .

(٥) صحيح : أخرجه البخارى فى كتاب المساقاة . باب لا حمى إلا لله ورسوله من حديث الصعب بن جثامة وأحمد فى المسند (٧١/٤ ، ٧٣) ، وأصل هذا : أن الشريف فى الجاهلية كان إذا نزل منزلاً خصباً فى حيه استعوى كلباً من مكان عالٍ ، فإلى حيث انتهى صوته حماء من كل جانب فلا يرى فيه غيره ، وهو يشارك الغير فيما سواه ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأبطل تلك السنة الجاهلية ، وأضاف الحمى لله ورسوله ، أى ليس لأحد أن يحمى أرضاً لنفسه ويستأثر بها دون الناس إلا ما يحمى للماشية التى ترصد للجهاد من الخيل والركاب وغيرها من أنواع الصدقات .

وعن ابن عمر :- حَمَى النَّبِيُّ ﷺ - النقيع لخيّل المسلمين (١) .

ولابن شبة: أن النبي ﷺ حمى قاع النقيع لخيّل المسلمين وحمّر الزَّيْذَةَ للصدقة (٢) ... وفى الخلاصة - عن هيضم المزنى أن رسول الله ﷺ - أشرف على مقعَل ظرب وسط النقيع ، فصلى عليه ، فسجد هناك ، وقال لهيضم «إنى مستعملك على هذا الوادى فما جاء من ههنا وههنا - يشير إلى مطلع الشمس ومغربها - فامنعها، فقال : إنى رجل ليس لى إلا بنات وليس معى أحدٌ يعاوننى ، قال : فقال رسول الله ﷺ «إن الله - عزوجل . سيرزقك ولداً ويجعل لك ولياً، قال : فعمل عليه ، وكان له بعد ذلك ولدٌ فلم تزل الولاة يولّون عليه من المدينة المنورة إلى سنة تسعين ومائة ، لأن الناس جُلّوا عنه للخوف فلم يبق أحد حتى يستعمل عليهم (٣) ، وزادت بنو أمية والأمراء أضعاف ما حمى رسول الله ﷺ - بالنقيع ، وحمى أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق بعد النبي ﷺ - غير النقيع لكثرة خيول المسلمين وإبلهم ، .. وفى الموطأ - أن عمر - رضي الله عنه - كان يحمل فى العام الواحد على أربعين ألف بغير يحمل الرجل إلى الشام على بغير ، ويحمل الرجلين إلى العراق على بغيرين (٤) ويُقَلَّ عن مالك . أن الخيل التى أعدّها عمر - رضي الله عنه - ليحمل عليها فى الجهاد مَنْ لا مركب له عدتها أربعون ألفاً .. وأمّا حمى الريدة ، فبقرية بنَجْدٍ على نحو أربعة أيام منها . نزلها أبو ذر الغفارى وتوفى بها ، عن ابن عمر ، حمى النبي ﷺ - الريدة لإبل الصدقة ، وحمى أبو بكر من الريدة أيضاً وزاد ، ثم زاد عمر - رضي الله عنه - بعده (٥) - رضي الله عنه .

(١) أخرجه ابن شبة فى تاريخ المدينة كذا قال السهوى فى الخلاصة (ص ٥٠٤) .

(٢) الخلاصة (ص ٥٠٤) .

(٣) فى الخلاصة (يستعمله عليه) بدل (يستعمل عليهم) .

(٤) صحيح . انظر الموطأ للإمام مالك .

(٥) صحيح . أخرجه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح . وانظر الخلاصة (ص ٥٠٦) .

وأما حمى الشرف: (١) فبنجد أيضاً حماها سيدنا عمر - رضي الله عنه ،
وقيل: وادى عظيم تكتفه جبال حمى ضريبة

وأما حمى ضريبة: بالضاد المعجمة ، وكسر الراء ، وتشديد المشاة
التحتية ، قرية على نحو سبع مراحل من المدينة بطريق حاج البصرة إلى
مكة ، وضريبة اسم بئر عذبة هناك ، وقيل : اسم امرأة اسمها ضريبة
بنت نزار (٢) وأول مَنْ حمى ضريبة عمر - رضي الله عنه (٣) ستة أميال من كل
ناحية ، وضريبة وسط الحمى فكثرت النعم في زمان عثمان - رضي الله عنه - حتى
ضاق عنه الحمى ، وبلغ أربعين ألف بعير ، فأمر عثمان أن يزداد فزاد
- رضي الله عنه - ما يسع إبل الصدقة ، وظَهَرَ ان الغزاة ، واشترى ماءً من مياه
بنى ضيبية ، (٤) .

وأما حمى قيد : بالفاء المفتوحة وياء ساكنة .. منزل بنجد في طريق
حاج العراق وعلى تسع مراحل من المدينة وأول من حمى قيد عثمان
- رضي الله عنه - واحتفر عثمان عين النخل هناك .

(١) قال الأصمعي : الشرف : كيد نجد ، وكانت منازل بني حجر أكل المرار الكندي وفي أول
الشرف الريدة ، وهي الحمى الأيمن ، والشريف إلى جنبه يفصل بينهما السرير ، وكذا في الخلاصة .

(٢) قاله ابن الكلبي : كما في الخلاصة .

(٣) قاله الهجري . كما في وفاء الوفا .

(٤) وفي حمى ضربه يقول ذا الجوشن :

دعوت الله إذ سبغت عيالي ليجعل لي لذي وسط طعاماً

فأعطاني ضربه خمير بئر تمنح الماء والحب التوأماً

(٥) قيل : سميت بقيد بن حام لأنه أول من سكنها . وكذا في الخلاصة .

فصل : فى صدقات النبى ﷺ وما غرس بيده الشريفة

قال فى الخلاصة (١) : كانت صدقات رسول الله - ﷺ - أموالاً ،
لمخيريق اليهودى (٢) وكان حَبْرًا عالماً من بنى النضير آمن بالنبى - ﷺ -
ولذا عدّه الذهبى فى الصحابة ، وقيل : وكان من بقايا قينقاع .. وقيل :
لم يسلم ولكنه قاتل بأحد وهو يهودى ، فلما مات دفن فى ناحية مقبرة
المسلمين - والله أعلم - ، وأوصى بأمواله للنبى - ﷺ - ...

قال ابن شهاب : وشهد أحدًا ، فقتل بها ، فقال رسول الله - ﷺ -
«مخيريق سابق يهود وسلمان سابق فارس ، وبلال سابق الحبشة» (٣)
وأسماء أمواله (٤) : الدلال وبرقة ، والأعواف ، والصّافية ، والمثيب ،
وحُسْنًا ، ومشرية أم إبراهيم (٥) وهذه الصدقات مما طلبته فاطمة
رضى الله عنها - من أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - مع سهمه - ﷺ -
بخيبر وفدك كما فى الصحيح ، فأبى أبو بكر عليها ذلك ، وقال : لستُ
تاركاً شيئاً كان رسولُ الله - ﷺ - يعمل به إلا عملتُ به ، فإنى أخشى
إن تركت شيئاً من أمره أن أزيع ، واحتج - رضى الله عنه - عليها ، بقوله - ﷺ -
«لأنورث ما تركناه صدقة» (٦) .

(١) وذلك نقلاً عن ابن شهاب .

(٢) من يهود بني النضير ، اختلف فى إسلامه .

(٣) لم نعر إلا على حديث : «سلمان سابق الفرس» وهو ضعيف أخرجه ابن سعد فى
الطبقات ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير (٣٥/٢) أما هذا الحديث بتمامه فلم نجده ، وبخاصة
لفظه «مخيريق»

(٤) يعنى أموال مخيريق التى تركها . (٥) انظر الخلاصة (ص ٤٦٩) .

(٦) صحيح : أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض . باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : لا
نورث ما تركناه صدقة ومسلم فى كتاب الجهاد والسير . باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لا
نورث ما تركناه صدقة (١٣٨٣/٣) . قال ابن حجر : الحكمة فى كونه لا يورث حسم المادة فى
تمنى الوارث موت المورث من أجل المال .
وقيل : لأن النبى صلى الله عليه وسلم كالأب فى أمته ، فيكون ميراثه للجميع ، وهذا معنى
الصدقة العامة .

ففضبت ثم دفع عمر صدقة بالمدينة إلى على وعباس ، وأمسك خبير
وقدك، وقال : هما صدقةُ رسول الله - ﷺ - ، وكانت لحقوقه التي
تعروهُ ، وفى الصحيح .. أَنَّ عَلِيًّا وَالْعَبَّاسَ طَلَبَا مِنْ عُمَرَ مَعَ اعْتِرَافِهِمَا
بِالْحَدِيثِ ... ، قال فى الخلاصة، (١) ، والجواب عنها وعنهما - رضى
الله عنهم أنهم فَهَمُوا مِنْ قَوْلِهِ «مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةً» الْوَقْفَ ، ورأوا أَنَّ حَقَّ
النَّظَرِ عَلَى الْوَقْفِ يورث دون رقبته ، ورأى - أبو بكر - ﷺ - أَنَّ الْأَمْرَ
فِي ذَلِكَ لَهُ ، وَلِذَا لَمَّا أُعْطِيَ عُمَرُ عَلِيًّا وَعَبَّاسًا أَخَذَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَعْمَلَا بِمَا
عَمِلَ فِيهَا - رسول الله - ﷺ ، وأبو بكر بعده ، وكانت هذه الصدقة بيدِ
عليّ - ﷺ - منعها العباسُ فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ كَانَتْ بِيَدِ الْحَسَنِ ثُمَّ
الْحُسَيْنِ ثُمَّ عَلَى بْنِ حُسَيْنٍ ، وَالْحَسَنِ بْنُ الْحَسَنِ ، ثُمَّ بِيَدِ زَيْدِ بْنِ
الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ كَانَتْ بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ حَتَّى وَلِيَ بَنُو الْعَبَّاسِ ،
فَقَبَضُوهَا ، وَكَانَتْ غَلَّتْهَا فِي أَهْلِ الْحَاجَةِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى قَدَرِ مَا
يَرَى مَنْ هِيَ فِي يَدِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، قَالَ الشَّافِعِيُّ : وَصَدَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ -
ﷺ - قَائِمَةٌ وَقَرِيبٌ مِنْهَا صَدَقَةُ الزُّبَيْرِ ، وَصَدَقَهُ عُمَرُ ، وَصَدَقَهُ
عُثْمَانُ ، وَعَلَى وَفَاطِمَةُ ، وَصَدَقَاتُ مَنْ لَا يُحْصَوْنَ مِنْ أَصْحَابِ - ﷺ -
رسول الله - ﷺ - بِالْمَدِينَةِ وَأَعْرَاصِهَا ، قُلْتُ : ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْأُمُورُ بَعْدَ ذَلِكَ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ (٢) .

وَأَمَّا مَا عَرَسَهُ - ﷺ - (٣) فموضع يسمى بالفقير بالعالية لخلاص
سلمان - ﷺ - مِنْ أَيْدِي الْيَهُودِ ، قَالَ سَلْمَانُ . قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -
ﷺ - «كَاتِبٌ» فَكَاتَبْتُ عَلَى ثَلَاثَةِ نَخْلَةٍ ، أُجْبِيهَا بِالْفَقِيرِ ، وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَةً
ذَهَبٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «أَعَيْنُوا أَخَاكُمْ» فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ ، حَتَّى
اجْتَمَعَ ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ فَقَالَ : «اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَعَقِّ لَهَا» ثُمَّ قَالَ : فَخَرَجَ
رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مَعِيَ إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نَقْرُبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّةَ ، وَيَضَعُهُ رَسُولُ

(١) انظر الخلاصة ص ٤٧٣ .

(٢) الخلاصة (ص ٤٧٣) ، والحجاز فى صنىر الإسلام (ص ٥٠٦) .

(٣) انظر الخلاصة (ص ٤٧١) .

الله - ﷺ - بيده حتى فرغنا (١) .. الحديث بطوله والفقير حديقه
 بالعالية قُربَ بنى قريظة من صدقة على - ﷺ - ، وأهل المدينة
 يقولون فقير. بالتصغير ، وبتشديد الياء ، وأما العين ، فنقر ﷺ -
 موضعاً قريباً من كهف بنى حرام ، فجرى عَيْناً ، ذكره فى الخلاصة ،
 وأما عين الزرقاء (٢) ، فالصواب : الأزرق - كما فى الخلاصة منسوب
 إلى مروان الأزرق لَزُرْقَة عَيْنِيهِ أجراه فى زمن معاوية - ﷺ - وهذه
 العين فى مقابل المصلى ، وأهلها من قباء من بئر كبيرة غربى مسجد
 قباء ، قال المطرى : وقد أخذ الحطين (٣) بن أبى الهيجاء فى حدود
 الستين وخمسائة منها شعبة من عند مخرجها من القبة ، فساقها إلى
 باب المدينة باب المصلى ، ثم أوصلها إلى الرحبة التى عند المسجد
 النبوى من جهة باب السلام المقابلة للمدرسة (الزمنية) (٤) وبنى لها
 هناك مَنْهَلاً بدرج من تحت الدُّور يستسقى منه أهل المدينة ، وجعل لها
 مصرفاً من تحت الأرض يشق وسط المدينة على الموضع المعروف
 بالبلاط ثم تخرج إلى ظاهر المدينة من جهته الشمال ، ثم تخرج عند
 قبر النفس الزكية ، ثم تخرج من هناك ، وتجتمع هى وما يتحصل من
 مصبها فى قناة واحدة إلى البركة ، ينزلها الحُجَّاجُ الآتين من الشام ،
 وتمر من شمال جبل سلع (٥) ، ولها مَنْهَلٌ عند جبل مسجد الراية ، ثم
 تسير فى المغرب فَمَرُّ من غربى الجبلين الذين فى غرب مساجد الفتح ،
 هكذا حتى تصل إلى مغيضها وبه (تخلو) (٦) بيد أمراء المدينة من بنى
 الحسين قال فى الخلاصة : ومن الفرائث - كما ذكره فى الخلاصة عن
 الشيخ بدر الشهابى شيخ الخدام .. أنه بلغه أن مiazza وقعت فى عين

(١) صحيح : أخرجه أحمد فى المسند (٤٤٣/٥) .

(٢) قال فى الخلاصة : العامه تسميها الزرقاء ، وصوابه عين الأزرق (٤٦٨) .

(٣) كذا فى الأصل وفى الخلاصة (الحسين بن أبى الهيجاء) .

(٤) ساقطة من الأصل والتكميل من الخلاصة (ص٤٦٧) .

(٥) انظر الخلاصة (٤٦٧) .

(٦) كذا بالأصل والصواب (به نخيل بيد أمراء) عن الخلاصة (٤٦٧)

الأزرق بالطائف فخرجت بعين الأزرق بالمدينة قال : وكان فى المدينة وما حولها عيون كثيرة ، وكان لمعاوية - رضي الله عنه - اهتمام بهذا الباب .. قال الواقدي : وكان بالمدينة على زمنه صوافى كثير ، وكان يجُدد بالمدينة وأعراضها مائة ألف وسق وخمسين ألف وسق ، ويحصد مائة ألف وسق حنطة ، وكل هذا ببركة حلوله - عليه السلام - فيها ^(١) ، اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً بجاء سيد الأولين والآخرين الذى مننت بجواره ، وكحلت أبصارنا وبصائرنا بفيض أنواره ، نسأله سبحانه حسن الجوار والدخول فى حزب أوليائه الْمُصْطَفَيْنِ الأخيار آمين ..



(٣) الخلاصة ص ٤٦٦ .

فصل : فى ذرع المسجد النبوى وأمر الجذع الذى كان والأتساطين وفضيلة الصلاة عندها وما وقع من الزيادة فى المسجد وفضل الروضة

قال فى الخلاصة . فى الباب الرابع (١) : قد تلخص لنا من كلام أهل السير أن ناقتة - ﷺ - بركت عند باب مسجده ، فقال رسول الله ﷺ .

«هذا المنزل . إن شاء الله - تعالى - ، ثم أخذ فى النزول - فقال
 ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون : ٢٩] (٢) وكان مريداً ،
 أى يجفف فيه التمر لفلامين يتيمين (٣) فى حجر أسعد بن زرارة ، وهو
 يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين فى مسجد ابتناه به أسعد بن زرارة ،
 وكان يُجمعُ بهم فيه ، وفى صحيح البخارى فى باب الهجرة ، بعد ذكر
 تأسيس مسجد قباء .. ما يؤيده ، وأن اسمَ الفلامين ، سهل ، وسهيل
 وأنه - ﷺ - سَاوَمَهُمَا بِالْمَرِيد - لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِداً ، فقالا : بل نَهَبُهُ لَكَ
 يارسول الله ، فأبى أن يقبله منهما هبةً ، حتى ابْتَاغَهُ مِنْهُمَا ، ثم بناه -
 ﷺ ، وطلق رسول الله - ﷺ - ينقل معهم اللَّبَنَ فى ثيابه ، ويقول -
 ﷺ .

«هذا الحمالُ لأحِمَالُ خَيْبَر .. هَذَا أَبْرَرِينَا وَأَطْهَرُ» (٤) . ويقول - ﷺ :
 «اللهم إنَّ الأجرَ أجرُ الأخرة ، فارحم الأنصار والمهاجرة»
 وفى رواية للبخارى .. أرسل إلى مَلَأَ بَنَى النَّجَارِ ، فقال : «ثامنونى
 بحائطكم هذا» (٥) .

(١) (ص ٢٠٨) . (٢) الآية من سورة المؤمنون (٢٩) .

(٣) هما ابنا رافع بن عمر بن النجار ، والمريد هو الموضع تحس فيه الإبل والغنم .

(٤) قال فى المواهب : قال ابن شهاب الزهري : لم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم تمثل بشعر
 تام غير هذا . وقيل : إن الممتنع عليه من الشعر إنشاؤه لا إنشاده ، والحديث فى البخارى (٣٩٠٦) .

(٥) البيهقى فى دلائل النبوة (٢/٥٤٠) .

فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله .. ، وأنه - ﷺ - لما أخذه كان فيه نخل . وقبور المشركين وخرب ، فأمرَ النبي - ﷺ - بالنخل فَّقَطَّعَ ، وبقبور المشركين فَنَبَشَت ، وبالخرب فَسَوَّيْتُ ، فصَفَّوْا النخل قِبْلَةً له ، أى جعلوه سَوَارَى لسقف القبلة وجعلوا عَضَادَتِيهِ حجارة ، فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، والنبي - ﷺ - معهم ..

ويذكر أن هذا البيت لابن رواحة ، وفى الصحيح (١) كان المسجد على عهد رسول الله - ﷺ - مَبْنِيَا باللبن ، وكان سَقْفُهُ الجريدَ وعُمُدُهُ الخشب ، من جذوع النخل ، وَبُنِيَ ﷺ - مسجده فى البناء الأول سبعين فى ستين ، ثم زاد ثانيا لما كثروا ، وجعل طوله من القبلة إلى الشامى مائة ، وعرضه كذلك ، مُرْتَبِعاً ، ورفعوا أساسه قريبا من ثلاثة أذرع (٢) بالحجارة ، ولابن زبالة ، أنه ﷺ زاد فى جهة المشرق والمغرب دون القبلة والشام ويؤيد أنه - ﷺ - زاد فى المسجد ما رواه الطبرانى عن أبي المليح عن أبيه قال : قال النبي - ﷺ - لصاحب البقعة التى زيدت فى مسجد المدينة وكان من الأنصار «لك بها بيت فى الجنة» (٣) فقال : لا ، ثم جاء عثمان - رضى الله عنه - فقال لك بها عشرة آلاف درهم ، فاشتراها عثمان منه ، ثم جاء عثمان إلى النبي - ﷺ - فاشتراها منه ببيت فى الجنة ، فوضع النبي - ﷺ - لبنة ، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة ثم دعا عمر فوضع لبنة ، ثم دعا عثمان فوضع لبنة ، ثم قال للناس «ضَعُوا»

وعن أبى هريرة . كانوا يحملون اللبن إلى بناء المسجد ، ورسول الله - ﷺ - معهم قال ، فاستقبلت رسول الله - ﷺ - وهو عارض لبنة على بطنه ، فظننت أنها ثقلت عليه فقلت : ناولنيها يا رسول الله ، فقال ﷺ : «خُذْ غيرها يا أباهريرة فإنه لا عيش إلا عيش الآخرة، وهذا فى البناء

(١) صحيح : البخارى فى الفتح (٢٣٩/٧ ، ٢٤٠) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٥٤١/٢) وأبو داود حديث (٤٤٧) .

(٢) انظر وفاء الوفا (٣٨٠/١) وعيون الأثر (٣١٦/١) ، ووفاء الوفا (٦٦٣) .

(٣) حسن . عزاه الهيثمى إلى الطبرانى فى الكبير والأوسط وقال : رجاله رجال الصحيح .

الثانى لتأخر إسلام أبى هريرة ^(١) وكذا ما فى الصحيح .. كنا نحمل
لبنة لبنة ، وعَمَّارَ لِبْنَتَيْنِ ، فرأه النبى - ﷺ - فجعل رسول الله - ﷺ -
ينفض عنه التراب ، ويقول :

«وَنَحْ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ .. ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى
النَّارِ» ^(٢) .

لأن البيهقى روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال لأبيه : قد
قتلنا هذا الرجل ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فيه ، ثم قال لأبيه : أما
تذكر يوم بنى رسول الله - ﷺ - - المسجد . فكنا نحمل لبنة لبنة ،
ويحمل عَمَّارُ لِبْنَتَيْنِ ^(٣) فذكر نحو حديث الصحيح ، قال : فكلَّم عمرو
معاوية فقال له معاوية : هو الله ما تزال تدحض فى قولك أنحن قتلناه ؟
إنما قتله الذين جاءوا به حتى ألقوه بيننا ، وإسلام عمرو كان فى
الخامسة ، فلم يحضر إلا البناء الثانى ، ولابن زبالة .. ولما أراد رسول
الله - ﷺ - بحجر لبناء المسجد قيل له : عرش كعرش أخيك موسى -
عليه السلام - سيع أذرع - أى فى السماء - كما فى الإحياء ^(٤) عن
الحسين لما أراد رسول الله - ﷺ - أن يبني مسجد المدينة أتاه جبريل -
عليه السلام - فقال : «ابنه سبعة أذرع طولاً فى السماء ولا تزخرفه ولا
تتقشه» .

وفى دلائل البيهقى ^(٥) .. أن الأنصار جمعوا مالاً ، فأتوا رسول الله
- ﷺ - فقالوا : يا رسول الله . ابن بهذا المال المسجد إلى متى تصلى تحت
هذا الجريد ، فقال - ﷺ - «مالى رغبة عن أخى موسى ، عريشى

(١) أسلم أبو هريرة فى السنة الثامنة من الهجرة وقيل : السادسة ، وقد دعا له النبي صلى الله
عليه وسلم . بالحفظ فكان أكثر الصحابة حفظاً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) صحيح . البخارى فى الصلاة (٥٤١/١) وأحمد فى المسند (٩١/٣) من حديث أبى
سعيد والترمذى فى مناقب عمار بن ياسر (٦٦٩/٥) .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى (٥٤٩/٢) . (٤) انظر إحياء علوم الدين للغزالي .

(٥) انظر دلائل النبوة للبيهقى (٥٤٢/٢) .

كعريش موسى ، وكان عريش موسى - عليه السلام - إذا رفع يده بلغ العريش - أى السقف (١) ولابن زيالة .. كانت سوارى المسجد فى عهده - ﷺ من جذوع النخل ، وسقفه جريداً وخُوصاً ، ليس على السقف كثير طين ، وكان يسيل إذا كان المطر (٢) ثم زاد عمر - ﷺ من جهة المغرب عشرين ذراعاً على المسجد الأصيل النبوى - عليه الصلاة والسلام - ، وزاد عثمان - ﷺ - بعده فى المغرب أيضاً أسطوانة ، وزاد فى قِبَلَتِهِ ، ولم يزد فى شَرْقيه ، وزاد فى غَرْبِهِ قَدْرَ أُسْطُوَانَةٍ ، كما ذكرنا ، وزاد فيه من الشام خمسين ذراعاً ، وذلك بعد هدمه المسجد ، وبعد مشاورته الصحابة ، وتحسينهم ذلك لأنه ضاق بالمسلمين فَوَسَّعَهُ - ﷺ من جميع الجهات إلا من جهة المشرق وبناء بالحجارة المنقوشة والقَصَّة (٣) .

وخشب النخل ، وبيضه بالقصة ، وجعل فيه طيقان مما يلى المشرق والمغرب ، وبَاشَرَ بناءه بنفسه - ﷺ - وكان يصوم الدهر ، ويصلى الليل ، وكان لا يخرج من المسجد الشريف ، وكان أوَّلُ عمله فى شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين ، وفرغ منه فى هلال محرم سنة ثلاثين ، وقيل : فى آخر سنة خلافته خمس وثلاثين .

وقال فى الخلاصة (٤) : ولعله بنى فيه حينئذ غير البناء الأول ، وقدر زيدُ بنُ ثابت أساطينه على قدر النخل ، وليحيى .. بنى عثمان - ﷺ - المسجد بالحجارة المنقوشة والقَصَّة وجعل عمُدَه حجارة منقوشة ، وبها عمُدُ الحديد فيها الرصاص ، وسقفه ساجاً ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائة ذراع ، وجعل أبوابه ستة على ما كان على عهد عمر - ﷺ - ، باب عاتكة المعروف الآن بباب الرحمة ، والباب الذى يليه فى المشرق ، باب النساء ، وباب مروان المعروف بباب السلام ، والباب الذى يقال له : باب النبى - ﷺ - لكونه كان يدخل منه ، وهو (١) ذكره الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (١١٥/٣) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه .

(٢) الخلاصة (٢١٣) .

(٣) القصة : حجارة من الجص بلغة أهل الحجاز . (٤) الخلاصة (٢١٣) .

باب جبريل ، وبابين في مؤخر المسجد والآن الموجود من الأبواب الأربعة السابقة فقط ،

قال في الخلاصة^(١) : وما ذكره في العرض مردود ، لأنه لم يزد - عليه السلام في جهة المغرب سوى أسطوانة واحدة ، والاتفاق على أنه لم يزد في المشرق شيئاً ، وإنما الزيادة الباقية من الوليد ، ولا بن زبالة .. مدَّ عمرُ - عليه السلام - في جدار القبلة إلى الأساطين التي إليها المقصورة اليوم ، ثم زاد عثمان في القبلة حتى بلغ جداره اليوم ، وأول من عمل المقصورة بَلْبَنٌ - عثمان بن عفان - عليه السلام وكانت فيه كوى ينظر الناس منها إلى الإمام ، وأن عمر بن عبد العزيز جعلها من ساج - حين بنى المسجد ، وذلك خوفاً مما وقع لسيدنا عمر - عليه السلام - ولما طَعَنَ مروان اليماني الذي ظلمه عامله ، جعل المقصورة بالحجارة المنقوشة ، وجعل لها كوى ، وقال النووي^(٢) : **أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْمَقْصُورَةَ فِي الْمَسْجِدِ مَعَاوِيَةَ حِينَ ضَرِبَهُ الْخَارِجِيُّ ، وَجَعَلَهَا الْمَهْدِيُّ مِنْ سَاجٍ أَيْضاً ، وَخَفَضَهَا ، وَكَانَتْ مَرْتَفَعَةً ذِرَاعَيْنِ عَنْ وَجْهِ الْمَسْجِدِ ، وَقَدْ احْتَرَقَتْ فِي الْحَرِيقِ الْأَوَّلِ ، وَفِي الْخُلَاصَةِ^(٣) .. وَلَمْ يَزِدْ عَلَى - عليه السلام - فِي خِلَافَتِهِ ، وَلَا مَعَاوِيَةَ - عليه السلام - وَلَا يَزِيدُ ابْنَهُ وَلَا مَرْوَانَ وَلَا ابْنَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ شَيْئاً فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ عُثْمَانَ - عليه السلام - حَتَّى كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ عَامِلَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، فَبَعَثَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِمَالٍ ، وَقَالَ : مَنْ بَاعَكَ فَأَعْطَهُ ، وَمَنْ أَبَى فَاهْدمْ عَلَيْهِ وَأَعْطَهُ الْمَالَ ، فَإِنْ أَبَى أَنْ يَأْخُذَهُ فَاصْرِفْهُ إِلَى الْفُقَرَاءِ ، وَأَدْخَلَ حُجُرَاتِ النَّبِيِّ - عليه السلام - فِي الْمَسْجِدِ ..**

وللواقدي عن عطاء الخراساني قال^(٤) : أدركت حجرات أزواج رسول الله - عليه السلام - فحضرت كتاب الوليد يُقْرَأُ ، يأمر بإدخالها في

(١) الخلاصة (٢١٤) وما بعدها .

(٢) الخلاصة (ص ٣١٦) .

(٣) السابق (٣١٤) .

(٤) السابق (٣١٢) .

المسجد ، فما رأيت يوماً أكثرَ باكِياً من ذلك اليوم ، وسمعتُ سعيدَ بن المسيب يقول : والله لوددت أنهم تركوها على حالها ينشأ ناسٌ من أهل المدينة ، ويقدم قادمٌ من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسولُ الله - ﷺ - في حياته ، ويكون ذلك مما يُزهدُ الناسَ في التكاثر والتفاخر فيها ، وكان ذرعه في زمن الوليد مائتاً ذراع طولاً ، ومائة وسبعة وستون ذراعاً ونصف من مقدمه في القبلة ، ومن مؤخره في الشام مائة وخمسة وثلاثون (١) ..

ولابن زبالة (٢) .. أن الوليد كتب الى ملك الروم .. إننا نريدُ أن نَعمرَ مسجد نبينا الأعظم فَأَعْنَى فيه بعمال وفسيفساء ، فبعث إليه بأعمال من فسيفساء ، وبضعة وعشرين عاملاً وقال بعضهم (٣) بعشرة ، وقال : بعثت إليك بعشرة يَعْدُلُونَ مائة ، وبثمانين ألف دينار وبهذه السلاسل التي فيها القناديل ، فهدم عمر بن عبد العزيز سنة إحدى وتسعين ، وبناء بالحجارة المنقوشة وقصَّه بطن نخل ، وعمله بالفسيفساء والمرمر ، وعمل سقفه بالساج وماء الذهب ، وهدم حجر أزواج النبي - ﷺ - ونقل لَبِنَهَا وَلَبِنَ المسجد ، فَبَنَى به داره بالحرّة ، وروى فبينما العمال يعملون في المسجد إذ خلى لهم الوقت ، فقال بعض عمال الروم ألا أبول على قبر نبيّهم ، فنهاه أصحابه ، فَلَمَّا هَمَّ بذلك ، اقتلع على رأسه فانتثر دماغه فأسلم بعضهم ، وعمل بعضهم في جدار قبلة صحن المسجد صور قنذير ، فاطلع عليه فأمر به عمرٌ ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ (٤) ، وأما صورة الفسيفساء (٥) فكانت صور الأشجار ، قيل : إنه ابتدأ في بنائه سنة ثمان وثمانين ، وفرغ سنة إحدى وتسعين ، وفيها حجّ الوليد بعد ما تَمَّ بناء المسجد ، روى أنه قال لأبان بن عثمان - رضى الله عنه - أين بناؤنا من بنائكم ؟

(١) الخلاصة (٢٦٦) والحجاز في صدر الإسلام (٢٦٦) .

(٢) الخلاصة (٢٦٦) والحجاز في صدر الإسلام .

(٣) الخلاصة ، والحجاز في صدر الإسلام ووفاء الوفا . (٤) الخلاصة (٢٦٧) ، (٢٧٠) .

(٥) الخلاصة (١٦٨) وذلك نقلاً عن العقد الفريد لابن عبد ربه .

قال أبان : بنيناه بناء المساجد ، وبنيتموه بناء الكنائس ، وجعل عمر للمسجد أربع منارات في زواياه الأربع وكان قبل ذلك يؤذن بلال - رضي الله عنه - في دار عبد الله بن عمر على أسطوان في قبلة المسجد يرقى إليها بأقتاب ، .. ولأبي داود والبيهقي .. أن امرأة من بنى النجار قالت : كان بيتي من أطول بيت حول المسجد ، وكان بلال يُؤذّن عليه الفجر ، ووضع عمر بن عبد العزيز حرساً للمسجد لا يحرف ولا يدخل الجنائز ، وقد أنكر عثمان بن أبي الوليد لإنكار عروة عليه وقال : أما إن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قد صلى عليه في المسجد ^(١) ؟ قيل : كان المنع أيضاً في زمن مروان ، وفي صحيح مسلم . أن عائشة أمرت أن تمر بجنازة سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - المسجد فتصلي عليه ، فأنكر الناس ذلك عليها ، فقالت - رضی الله عنها - : ما أسرع ما ينسى الناس ، ما صلى رسول الله - ﷺ - على سهل بن بيضاء إلا في المسجد ، وفي رواية ، والله لقد صلى رسول الله - ﷺ - على ابني بيضاء في المسجد سهل وأخيه ^(٢) .

قال في الخلاصة ^(٣) : ويُفهم منه أنه كان نادراً ، ونلخص مما رواه ابن شبة - أن الذي استقرّ عليه الأمر أنهم كانوا يحملون موتاهم ، حتى يُصلى عليها النبي - ﷺ - عند بيته في موضع الجنائز ، وذكر ابن النجار .. أن الأمر كان إلى زمنه بالمنع إلا العلويين ، ومن أرادوا من الأعيان .. قال في الخلاصة ^(٤) : وفي زماننا يُصلى على الجنائز بالمسجد ، وتُخصّ الأعيان بالروضة إلا ما كان من جنائز الشيعة والرافضة ، فإنهم مُنعوا غير الأشراف من إدخال جنائزهم المسجد في دولة الظاهر جقمق ، أقول : والعمل باقٍ على ذلك إلى الآن ، ونسأل الله

(١) الحجاز في صدر الإسلام (٤٢٧) . (٢) صحيح . أخرجه مسلم .

(٣) انظر الخلاصة (ص ٢٧٤) . وتفصيل ذلك في كتب الفقه ، فقد قال البعض بالجواز ،

وقال آخرون بالكراهة .

(٤) الخلاصة (ص ٢٧٥) .

- سبحانه - العفو والغفران بجاه سيدنا محمد خير ولد عدنان - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه - على مر الأزمان آمين .. ثم زاد المهديّ ابن أبي جعفر سنة ١٩٠ لما حج ، وقدم المدينة المنورة منصرفه عن الحج^(١) وزاد فيه مائة ذراع من ناحية الشّام ، وولى بناء عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز وآخر سنة إحدى وستين ولم يزد في القبلة ولا في المشرق ولا في المغرب شيئاً ، وذلك عشر أساطين في صحن المسجد .. قال في الخلاصة : واختبرت ذرع المسجد فكان مائتي ذراع وثلاثة وخمسين ذراعاً وفرغ من البناء سنة خمس وستين ومائة ، وزخرف كالوليد ، ولم يزد بعد المهديّ وفي سنة ٢٠٢ ثنتين ومائتين جدّد بناء المأمون وأتقن ، كما قاله الزين المراغي ، وقال في الخلاصة^(٢) : وهو بعيد لأن من أدرك زمن المأمون من مؤرّخي المدينة لم يذكروا ذلك - والله أعلم - ثم في سنة ٦٥٤ أربع وخمسين وستمائة ليلة الجمعة أول شهر رمضان أول الليل احترق المسجد ، وأزالت النار جميع الزخارف وذلك لترك الفراش أبو بكر بن أُوحد الضوء الذي في يده على قفص من أقفاص القناديل المنائر بالمسجد ، فاشتعلت النار في مشاق هناك ، وأعجز الناس طفيهاً لأمر يُريدُه الله - سبحانه وتعالى العليم الحكيم ، قالوا : وقد كان الاستيلاء حينئذ على المسجد للروافض ، وأسأعوا الأدب ..

قال في الخلاصة^(٣) : ولذا وجد عقيب الحريق على بعض جدران المسجد الشريف .

لم يحترق حرم النبي لحادثٍ يخشى عليه وما به من عارٍ
لكنما أيدي الروافض لامتست تلك الرسوم فظهرت بالنار

(١) الخلاصة (٢٧٧) .

(٢) انظر الخلاصة (٣٢٢) وما بعدها . باب احراق المسجد للمرة الثانية .

(٣) السابق نفس الصفحات .

وَوُجِدَ أَيْضاً :

قل للروافض بالمدينة ما بكم لقيادكم للذم كل سفيه
ما أصبح الحرم الشريف محرقاً إلا لسبكم الصحابة فيه^(١)

ولم يَسَلَمَ من المسجد سوى القبة التي في وسط صحن المسجد ،
وكان فيها المصحف العثماني وعُمِّرَتِ الْقُبَّةُ لِدُخَانِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ سَنَةَ
سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةً ، عَمَرَهَا النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ وَبَقِيَتْ قَائِمَةً كَأَنَّهَا
جَذْوَعُ النَّخْلِ ، فَظَهَرَ الْقَهْرُ الْإِلَهِيُّ الْفَعَّالُ لَمَّا يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ، فَكَتَبُوا لِلْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ بْنِ الْمُنْتَصِرِ ، فَوَصَلَتْ الْأَلَاتُ يَصْحَبُهَا
الصَّنَاعُ مَعَ رَكْبِ الْعِرَاقِ فِي الْمَوْسَمِ ، وَابْتَدَأَ بِالْعِمَارَةِ فِي أَوَّلِ سَنَةِ ٦٥٥
خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةً ، وَفِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ٦٥٦ حَصَلَتْ وَقْعَةُ التَّنَارِ
الطَّامَةِ الْكُبْرَى ^(٢) فَأَبَادَ اللَّهُ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ لظُلْمِهِمْ وَفَسَادِهِمْ فِي
الْأَرْضِ وَعِلْوِهِمْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى . ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا
يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] فَوَصَلَتْ
الْأَلَاتُ وَالصَّنَاعُ مِنْ صَاحِبِ مِصْرَ وَالْيَمَنِ بَعْدَمَا عَمَرُوا بَعْضَ الْمَسْجِدِ
إِلَى الرُّوْضَةِ جَمِيعَهَا ، وَالْحِجْرَةُ وَمَا حَوْلَهَا ثُمَّ فِي آخِرِ سَنَةِ ٦٦٨ تَوَلَّى
مِصْرَ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبَرَسُ الصَّالِحِي ، فَحَصَلَ مِنْهُ اِهْتِمَامٌ بِأَمْرِ الْمَسْجِدِ ،
ثُمَّ جَدَّدَ الظَّاهِرُ جَقْمَقُ كَثِيرًا مِنْ سَقْفِ مَقْدَمِ الْمَسْجِدِ مِنَ الرُّوْضَةِ ،
وغيرها في سنة ٨٥٣ ، ثُمَّ جَدَّدَ فِي زَمَانِ مُؤَلَّفِ الْخُلَاصَةِ قَايْتَبَايَ
الْأَشْرَفُ جَانِبًا مِنَ السَّقْفِ الشَّرْقِيِّ بَعْدَ هَدْمِ عَقُودِهِ الَّتِي تَلَى صَحْنَ
الْمَسْجِدِ ، وَمَا يَلِي الْمَنَارَةَ الشَّامِيَّةَ الشَّرْقِيَّةَ ، وَفُوضَ الْعِمَارَةُ لِلشَّمْسِ ابْنِ
الزَّمَنِ ، ثُمَّ احْتَرَقَ الْمَسْجِدُ ثَانِيًا فِي الثَّلَاثِ الْآخِرِ مِنْ لَيْلَةِ الثَّلَاثِ عَشَرَ

(١) البَيَّانُ لِلْمَجْدِ فِي الْقَامُوسِ وَقِيلَهُمَا :

لَمْ يَحْتَرَقْ حَرَمُ النَّبِيِّ لِحَادِثِ يَخْشَى عَلَيْهِ وَلَادِعَاهُ الْعَارِ
لَكِنَّمَا أَيْدَى الرُّوْافِضُ لَامَسَتْ ذَاكَ الْجَنَابَ فَطَهَرَتْهُ النَّارُ

(٢) انْظُرْ وِفَاءَ الرُّوْفَا (٥٩٨/٢) بَابُ فِي الْحَرِيقِ الْأَوَّلِ .

من شهر رمضان عام ست وثمانين وثمانمائة ، وقد قام رئيس المؤذنين يُهَلِّلُ بالمنارة الرئيسية مع بقية المؤذنين ، وقد تراكم الغيم ، وحصل زَعْدٌ قاصف فسقطت صاعقة^(١) ، وأصاب هلال المنارة ، فسقط شرقي المسجد له لهب كالنار وانشق رأس المنارة وتوفى الرئيس صعباً لحينه ، وأصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد الأعلى فالتهمت النار ، وأعجز الناس فلم يمكن طفيتها^(٢) لحكمة يعلمها الله - تعالى - العليم الحكيم ومات في هذا الحريق زيادة على عشرة ، وصار المسجد كبحر لُجئٍ من النار ، ترمى بشرر كالقصر ويسقط شررها بيوت الجيران ، فلا يؤذيها ببركة جواره - ﷺ وقد أثرت هذه النار في أحجار الأساطين، وعدة ما سقط منها مائة وبضع وعشرين أسطواناً ومنَّ الله - تعالى - بسلامة قُبَّة - المصطفى - ﷺ وبسلامة الأساطين الملاصقة للحجرة الشريفة^(٣) ونظفوا المسجد ، ونقلوا هدمه إلى مؤخر المسجد ، وعمل في ذلك جميع أهل المدينة ، من أمير وقاض وأعيان ، والعامّة ، حتى النساء والصبيان تقريباً إلى الله - تعالى - وفي ذلك كله عبرة تامة ، وموعظة عامة ، أبرزها الله تعالى - للإنذار في حضرة سيد المنذرين - ﷺ - وقد ثبت أن أَعْمَالَ أُمَّتِهِ - ﷺ - تُعَرَضُ عليه ، فَلَمَّا سَاءَتْ مَنَّا الأعمال المعروضة نَاسَبَ ذلك الإنذار ، بإطهار عنوان النار المجازي بها في موضوع عرضها^(٤) ، قال تعالى

﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩ ﴾ [الإسراء: ٥٩] ^(٥) وقال تعالى
﴿ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ۝١٦ ﴾ [الزمر: ١٦] ^(٦) ومن العجب أنه لم يتأت إخراج ردم هذا الحريق من مؤخر المسجد حتى حضر الحجاج من سائر الآفاق فشاهدوا هذه العبرة العظيمة ، ورأوا ما اجتمع من آثارها كالآرام ، والتلول الجسيمة عجيبه ثم بالقعدة الحرام قبل

(٢) وفاء الوفا (٥٩٩/٢)

(١) وفاء الوفا (٥٩٨/٢)

(٤) خلاصة الوفا (٣٢٤) .

(٣) وفاء الوفا (٥٦١/٢) .

(٦) الزمر (١٦) .

(٥) الإسراء آية (٥٩) .

دخول الحجاج مكة من العام الثانى أرسل الله سَيْلاً عظيماً بمكة ملأ ما بين الجبلين ، وعلا جدار أبواب المعلاة وارتفع فى جوف الكعبة أزيد من قامة ، وهدم دوراً كثيرة ، وذهب من الأموال والأنفس ما لا يحصى إلا الله - تعالى - ووجد فى الردم بالمسجد الحرام عند تنظيفه نحو ثمانين نفساً ، وقيل مائة^(١) . نسأل الله - تعالى - العفو والعافية والسلامة من كل سوء ، ونعوذ بالله من غضبه وعقابه ، قال فى الخلاصة^(٢) : ولم أقف فى سيول الجاهلية والإسلام على مثله .. قال : ولم يتأت إخراج هذا الردم بعد جمعه بالمسجد الحرام كالآرام حتى قَدِمَ الْحُجَّاجُ ، وشاهدوا هذه الآية العظيمة ، والله سبحانه يفعل فى مَلِكِهِ ما يشاء سبحانه لا إله إلا هو القَوِيُّ الْقَهَّارُ الْعَزِيزُ الْفَقَّارُ ، ولما وصل المقاصد إلى مصرٍ بخبر الحريق الثانى عَظُمَ ذلك على الأشرف قايتباى ، ورأى أن فى تأهيل الله تعالى - له لعمارة ذلك المحل الشريف زيادة التشريف ، فاستقبل أمر العمارة بهمةً عليّةً وجدٍ واجتهادٍ ، ومدد وإمداد بَرّاً وبحراً ، وكان ابن الزمن من جملة المأمورين بالعمارة ، وقطعوا من أخشاب الشجر من جهات المدينة شيئاً كثيراً ، وهدموا المنارة الرئيسية إلى أساسها ، وهدموا من سور المسجد أولاً من باب السلام الجدار القبلى ، ثم السور الشرقى ، ثم أتقنوا بناء المسجد .

قال السيد السمهودى فى الخلاصة^(٣) : وكنت قد تَوَجَّهْتُ لزيارة والدتى وأهلى فرجعت آخر عام سبع وثمانين وثمانمائة ، فوجدتهم فرغوا من مقدم المسجد وجانباً وكمِلتْ سَقْفَ المسجد كلها وأَخر رمضان عام ثمان وثمانين وثمانمائة و أرسل كُتِباً كثيرة فى العلوم ، وَرِيعَاتٍ ومصاحف وجعل النظر فى طائفة منها للسيد السمهودى ، صاحب الخلاصة كما ذكره فى الخلاصة .

(٢) انظر الخلاصة (ص ٣٢٥) .

(١) خلاصة الوفا (٣٢٥) .

(٣) الخلاصة (ص ٣٢٦) .

فصل : فى الأروقة والأساطين والذرع وتحصيه ومصابيحه وتخليقه وإجماره

قال فى الخلاصة (١) : وعدد أساطين المسجد مائتان وستة وتسعون أسطواناً ، على ما ذكره ابن زبالة بما فى جدار القبر وهو ستة ، وذكر ابن زبالة أن ذرع مقدم المسجد اليوم بين المشرق والمغرب مائة وخمسة وستون ذراعاً ، وعرضه من مؤخرة بينهما مائة وثلاثون ذراعاً ، وطوله من اليمن إلى الشام مائتان وأربعون ذراعاً ، انتهى .

وحررتُ ذرعه فكان عرضه من مقدمه مائة ذراع وسبعة وستين ذراعاً ، وعرضه من مؤخرة مائة وخمسة وثلاثون ذراعاً ، وكان طوله من القبلة إلى الشام مائتى ذراع ، وثلاثة وخمسين ذراعاً ، وذكر ابن النجار نحوه ، وطول صحنه بين القبلة والشام مائة ذراع واثنان وخمسون ذراعاً وعرضه خمسة وتسعون ذراعاً بتقديم التاء الفوقانية على السين وإذا أضفت للطول ما تحرر من انتقاص منه لرواق وهو نحو عشرة أذرع قُرب مما ذكره ابن زبالة فى ذرعه ، والتفاوت لاختلاف الأذرع ، قال : وكان سابقاً فى صحن المسجد أربع وستون بالوعة عليها أرحا ولها صمائم من حجارة دخل الماء من خلالها ، ولا يظهر به اليوم غير بالوعة واحدة لها فوهتان لعلو الأرض الآن عمّا كانت عليه قرب القامة ..

وذكر ابن زبالة (٢) أنه كان فى زمنه سنة ١٩٩ تسع وتسعين ومائة . تسعة عشر سقاية .. قال ابن النجار : وأما الآن فسقاية واحدة ، كانت

(١) وفاء الوفا (٦٧٣/٢) . باب فيما احتوى عليه المسجد من الأروقة والأساطين ، والبالوعات والسقايات والدروع ، وغير ذلك مما يتعلق من الرسوم الفصل الحادى والثلاثون ، وانظر الخلاصة (٣٢٩) الفصل الرابع عشر فيما احتوى عليه المسجد من الأروقة والأساطين ، والحواصل وانظر ايضا الدراسة التى كتبها الدكتور / العلى عن الحجاز فى صدر الإسلام (٥٢٠) . وابن شبة فى تاريخ المدينة (ص ١٦) .

(٢) الخلاصة (ص ٣٣٠) وفاء الوفا (٦٧٥/٢) .

متقدمة على النخيل بناها بعض مشايخ الحرم ونصب بها مواجيز للماء وَمَصْرَفًا مُرَحِّمًا ، ثم كثر الشر وصار يدخلها من يتوضأ فيها وَرَبِّمَا أزال فيها الأذى مَنْ اسْتَقْرَبَ المدا ، فأزيلت دفعا للأذى عن البقعة الْمُطَهَّرَة وذكر ابن النجار (١) أنه كانت بركة بصحن المسجد غربى النخيل ينبع الماء من فوارة فى وسطها من العين عملها بعضُ أمراء الشام ، اسمه شامة ، فحصل انتهاك الحرمة بسببها فَسُدَّتْ وعملت أم الخليفة الناصر لدين الله سقاية كبيرة للوضوء فيها عدة من البيوت الألفية وفتحت لها باباً إلى المسجد فى الحائط الذى يلى الشام ..

وَأَمَّا تَحْصِيبُ (٢) المسجد النبوى .. ففى سُنَنِ أبى داود عن أبى الوليد قال : سألت ابن عمر عن الحصباء التى فى المسجد ، فقال - رضي الله عنه - : مُطَرْنَا ذات ليلة ، فأصبحت الأرض مُبْتَلَّةً فجعل الرجل يأتى بالحصباء فى ثوبه فيبسطه تحته ، فلما قضى رسول الله - ﷺ الصلاة قال «مَا أَحْسَنَ هَذَا» (٣) . وعن أبى ذر .. قال رسول الله - ﷺ .

«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تَوَاجَّهُ فَلَا يَمْسَحُ الْحَصَى» (٤) رواه أصحابُ السُّنَنِ وَحَصَبَهُ عمرُ بْنُ الخطاب - رضي الله عنه - لَمَّا بنى المسجد من وادى العقيق وفرش المسجد من رَمَلٍ وادى العقيق من الرمل الأحمر بعد أن غُرِبِلَ ..

وَأَمَّا مصابيح (٥) المسجد .. فقليل : أَوَّلُ مَنْ عَلَّقَ المصابيح فى المسجد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما جمع الناس فى التراويح على إمام وَاحِدٍ .. ، قال فى الخلاصة (٦) ولم يزل المسجد النبوى بإمام واحد

(١) الخلاصة (ص ٣٣١) ووفاء الوفا (٦٧٦/٢) .

(٢) التحصيب : الفرش بصغار الحجارة ، والحصباء الحجارة الصغيرة .

(٣) ضعيف . أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة . باب فى حصى المسجد حديث (٤٥٨) .

(٤) ضعيف . أخرجه أحمد فى المسند () ، وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة باب مسح الحصى فى حديث رقم (١٠٢٧) وكذلك أبو داود والترمذى .

(٥) انظر الخلاصة (٣٣٣) ، ووفاء الوفا (٦٧٠/٢) . (٦) المصدر السابق نفس الصفحة .

يصلى بالمقام النبوى إلا فى الموسم فبالمحراب القبلى للاتساع ، حتى سعى بَعْضُهُمْ فى اتخاذ إمام حَنَفِى بعد الستين وثمانمائة فى دولة الأشرف إينال .. أقول : كان ينبغى الاقتداء بالسلف وجميع الناس على إمام واحد لأن الدينَ عندَ الله الاسلام ، وأما التفريقُ فيؤدّى إلى الفُرْقَة (١) لكن لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم..

وَرَوَى القرطبى فى تفسيره عن أبى هند قال : حمل تميم الدارى من الشام إلى المدينة قناديل وزيتا ومقطاً ، فجاء فوافق ليلة جمعة ، فأمر غلاماً يقال له : أبو البراد ، فقام فبسط المقط ، وعلّق القناديل ، وصَبَّ فيها الماء والزيت ، وجعل فيها الفتل ، فلما غربت أمر الغلام فأَرْجَعَهَا وخرج رسول الله - ﷺ - إلى المسجد فإذا هو بها تُزْهِرُ ، فقال رسول الله - ﷺ - «مَنْ فعل هذا» قالوا تميم الدارى يارسول الله - ﷺ - فقال «نُورَتِ الْإِسْلَامُ» (٢) وَأَمَّا تَخْلِيقُ الْمَسْجِدِ (٣) .. فلأبى داود عن ابن عمر .. بينا رسول الله - ﷺ - يخطبُ يوماً . إذا رأى نُخَامَةً فى قبلة المسجد فَتَغَيَّظَ على الناس ، ثم حَكَّهَا ، وأحسبه قال : فدعا بزعفران فلطخه به ، وقال ﷺ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ - قَبِلَ وَجْهَ أَحَدِكُمْ فَلَا يَبْرُؤُنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ» وقد سبق أن أوَّلَ مسجدَ خُلِقَ مسجد بنى حرام ، وقال ابن عمر : فمن هناك جعلتم الخلق فى مساجدكم وأما رواية ابن شبة ، أن أوَّلَ مَنْ خَلَقَ الْمَسْجِدَ وَرَزَقَ الْمُؤَذِّنِينَ عثمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فمحمول على أنه رَتَّبَ له ذلك .. وَأَمَّا إِجْمَارُ الْمَسْجِدِ (٥) .. روى أنه قدم على ابن الخطاب بسَفَطٍ من عود فلم يَسَعِ النَّاسَ ، فقال : أجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون ، فثَبَّتَ سُنَّةً فى الخلفاء إلى اليوم ، يؤتى كل عام

(١) هذه لفظة طيبة ينبغى العمل بها فى كل زمان ليجمع شمل المسلمين .

(٢) انظر الخلاصة (ص ٣٣٣) .

(٣) ذكره القرطبى فى تفسيره ، والسمهودى فى الخلاصة (٣٣٤) .

(٤) تجديده بالخلق ، وهو الرائحة الطيبة والمراد تنظيفه .

(٥) الإجمار : البخور الذى يوضع فيه والجمر الإناء المستعمل فى البخور .

بسفط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة ، ويوم الجمعة . عن نعيم المجر عن أبيه .. أن عمر بن الخطاب قال له : تحسن تطوف على الناس بالمجمره تجمرهم فقال : نعم .. فكان يجمرهم يوم الجمعة ، رواه بن زبالة ، وكان ابن عمر - رضي الله عنه - يجمّر في كل جمعة ، وعن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال «جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صَبِيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَشُرَاءَكُمْ وَبَيْعَكُمْ ، وَخُصُوفَاتِكُمْ ، وَرَفَعَ أَصْوَاتَكُمْ ، وَإِقَامَةَ حَدُودِكُمْ وَسَلَّ سَيُوفِكُمْ ، وَاتَّخَذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ وَجَمَرُهَا فِي الْجُمُعِ» (١) .

وعن عليّ - رضي الله عنه - قال : صَلَّيْتُ الْعَصْرَ مَعَ عَثْمَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَرَأَى خِيَّاطاً فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّهُ يَكْسُو الْمَسْجِدَ ، وَيَفْلُقُ الْأَبْوَابَ ، وَيُرْشُ أَحْيَاناً ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ : «جَنَّبُوا صُنَاعَكُمْ مَسَاجِدَكُمْ» (٢) .

قال في الخلاصة (٣) : قلت ومن المنكرات تَسَاهُلُ بعض ولاة العمارة في استعمال النشارين والنجارين والحجّارين بالمسجد النبوي ، لعمل آلاته واكتساب أولئك العمال بذلك ، مع ما يتولّد عنه من القمامات والدقّ العنيف مع إمكان ذلك خارجه ، ونقله إلى المسجد مصنوعاً وقد كانت عائشة - رضي الله عنها - تسمع الوتدَ والمسمار يُضْرَبُ في بعض الدّور المطيفة بالمسجد ، فترسل إليهم .. لا تؤذوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وعمل عليّ - رضي الله عنه - مصراعى داره بالمناصع توقياً وخوفاً من ذلك .

وعن كعب الأحبار (٤) أن سليمان عليه السلام - قال للعفريت الذي أحضره لقطع الرّخام لعمارّة بيت المقدس : هل عندكم حيلة أقطع بها

(١) ضعيف . ذكره السيوطي في الجامع الصغير (١٤٨/١) ، وعزاه إلى البيهقي .

(٢) موضوع . ذكره السهودي في الخلاصة ، وعزاه لابن عدى (٣٣٦) .

(٣) انظر الخلاصة (٣٣٦) .

(٤) هذا الأثر من الإسرائيليات .

الصَّخْرَ فَإِنِى أَكْرَهَ صَوْتَ الْحَدِيدِ فِى مَسْجِدِنَا هَذَا ، وَالَّذِى أَمَرْنَا اللَّهَ بِهِ هُوَ الْوَقَارُ وَالسَّكِينَةُ .. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى أَبِي أُسَيْدٍ قَالَ : كَانَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَعْصِي الْمَسْجِدَ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، فَلَا يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَخْرَجَهُ إِلَّا رَجُلًا قَائِمًا يَصَلِّى ، فَمَرُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِيهِمْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ ، فَقَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالَ أَبِي : نَفَرٌ مِنْ أَهْلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فَقَالَ : مَا خَلَفَكُمْ بَعْدَ الصَّلَاةِ ؟ قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ . فَجَلَسَ مَعَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : لِأَدْنَاهُمْ خُذْ فِى الدُّعَاءِ ، فِدْعَا ، فَاسْتَقْرَأْهُمْ رَجُلًا رَجُلًا ، حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ ، فَقَالَ هَاتِ ، فَحَصَرْتُ وَأَخَذْتُ رَعْدَةً ، فَقَالَ : قُلْ ، وَلَوْ أَنَّ تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا ، ثُمَّ أَخَذَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِى الدُّعَاءِ فَمَا كَانَ أَكْثَرَ دَمْعِهِ وَلَا أَشَدَّ بَكَاءَ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - تَفَرَّقُوا الْآنَ (١) .

وأول ما أحدث السور بالمدينة المنورة فى سنة ٣٦٣ ثلاث وستين ومائتين ، وكان لها أربعة أبواب ، ثم لم يزل التجديد والترميم فى السور للحفاظ من الأعراب ، وكانت الملوك لها كمال الاعتناء بالسور وتجديده بعد خراب أطراف المدينة ، ولم يكن قبل ذلك سور ، بل كانت منازل القبائل من المهاجرين مع منازل الأنصار متصلة عامرة ، ولذا لم تقم الجمعة فى قراها مع كثرتهم بها واستطانتهم ، وأن قباء كانت مدينة عظيمة متصلة بالمدينة النبوية ، وأوّل من جدّد السور «عضد الدولة بن بويه» وبناه أولاً «إسحاق بن محمد الجعدي» (٢) سنة ٣٦٣ ، وكانت مصلّى الأعياد داخل فى السور هذا ، ثم تهدم مع طول المدة ، ثم حدّد لها جمال الدين محمد بن أبى المنصور الجواد الأصفهانى ، وزير زنگى ، والد نور الدين الشهيد محمود العادل (٣) ، ثم (بنى) (٤) وزير أخيه غازى

(١) عزاه السهمودى فى الخلاصة للبلاذرى .

(٢) انظر وفاء الوفا . باب اتخاذ سور المدينة (٧٦٦/٢) .

(٣) ترجمته فى البداية والنهاية لابن كثير .

(٤) ساقطة من المخطوط والزائدة من الخلاصة .

بن زكى سوراً محكماً حول المسجد الشريف على رأس الأربعين وخمسمائة من الهجرة ، ثم كثر الناس من خارج السور ، ووصل السلطان نور الدين الشهيد المذكور المدينة لرؤيا رآها ، وهى أنه رحمه الله تعالى رأى النبى - ﷺ - كما فى الخلاصة^(١) فى ليلة ثلاث مرات ، وهو يشير إلى رجلين أشقرين كافرين ، يقول : انجدنى ، انقذنى من هذين ! فأرسل إلى وزيره ، وتجهزاً فى بقية ليلتها على رواحل خفيفة فى عشرين نفراً ، وصحب مالا كثيراً ، فقدم المدينة المنورة فى ستة عشر يوماً من الشام ، فزار ، ثم أمر بإحضار أهل المدينة بعد كتابتهم وصار يتصدق عليهم ويتأمل تلك الصفة إلى أن انفضت الناس ، فقال رحمه الله : هل بقى أحد ؟ قالوا : لم يبق أحد سوى رجلين صالحين عفيفين غريبين ، يكثران الصدقة ، فطلبهما ، فرآهم الرجلين اللذين أشار إليهما النبى - ﷺ - فسأل عن منزلهما ، فأخبر أنهما فى رباط بقرب الحجرة ، فأمسكهما ومضى إلى منزلهما ، فلم يرَ غير ختمتين وكتباً فى الرقائق ومالا كثيراً ، فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير ، فرفع السلطان حصيراً فى البيت ، فرأى سرّداً محفوراً ينتهى إلى صوب الحجرة ، فارتاعت الناس لذلك ، وقال لهما السلطان : أصدقانى ، وضربهما ضرباً شديداً ، فاعترفا أنهما نصرانيان بعثهما النصارى فى زى حُجَّاج المغاربة وأمالوهما بأموال عظيمة ليتحिला إلى الوصول إلى الجنب الشريف ونقله وما يترتب عليه فنزلا بأقرب رباط ، وصار يحفران ليلاً ولكل منهما محفظة جلد ، والذى يجتمع من التراب يخرجانه من محفظتهما إلى البقيع بعة الزيارة ، فلما قربا من الحجرة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجيف عظيم ، فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة ، فلما ظهر حالهما بكى السلطان بكاءً شديداً وأمر بضرب رقابهما ، فقتلا تحت الشباك الذى يلى الحجرة الشريفة ، ثم أمر

(١) باب اتخاذ سور المدينة

بإحضار رصاص عظيم ، وحفر خندقاً عظيماً إلى الماء حول الحجرة المعطرة ، وأذيب ذلك الرصاص ، وملئ به الخندق ، فصار حول الحجرة سوراً رصاصاً إلى الماء .

وذكر هذه القصة هكذا الجمال الأسنوى فى رسالة فى «منع الولاة من استعمال النصارى» وفى رواية المطرى^(١) : وكانا يجعلان التراب فى بئر عندهما فضرب أعناقهما عند الشباك الذى شرقى الحجرة خارج المسجد ، ثم أحرقا بالنار آخر النهار ، وأن رجلين كانا من بلاد الأندلس وأن السلطان كان معه مقدار ألف ، وأنه جاء بهال عظيم ، فلم يبق أحد إلا وتصدق عليه حتى أظهر الله سبحانه الحق وأزهق الباطل ، فالحمد لله الذى شرف المدينة بحلوله - ﷺ - فيها ، وظهرت معجزته ﷺ ، والمدينة كالكبر تنفى خبثها ، وينصع طيبتها بالمعاني كلها التى سبق شرحها . ثم توجه السلطان إلى الشام فصاح به : من كان نازلاً حول المدينة واستغاثوا وطلبوا أن يبنى عليهم سوراً يحفظ أبنائهم وماشيتهم ، فأمر ببناء السور الموجود إلى زمان مؤلف الخلاصة ، وكان تجديده سنة ٥٥٨ .

قال البدر بن فرحون^(٢) : إن نور الدين الشهيد كمل سور المدينة ، وأما السور الذى كان داخل المدينة فإنما أحدثه جمال الدين الجواد وزير والد نور الدين الشهيد المذكور ، وكان لجمال الدين هذا مآثر وخيرات وصدقات ونفع للفقراء والأرامل والأيتام خصوصاً الحرمين وهو المدفون فى رباط العجم جهة شباك النبی - ﷺ - الشرقى رحمه الله . وكان يُدعى له على منبر النبی - ﷺ ويقول الخطيب فى خطبته : اللهم صنّ حريم من صان حرم نبيك بالسور محمد بن على بن أبى منصور^(٣) . فلو

(١) فى المخطوط (الطبرى) وهو خطأ والتصويب من الخلاصة .

(٢) كما فى وفاة الوفا (٧٦٧/٢) عند ذكره لمحاسن نور الدين الشهيد رحمه الله .

(٣) وفاة الوفا (٧٦٨/٢) .

لم يكن له إلا هذه المكرمة لكفاه فخراً ، وكيف وقد أصابت صدقته تخوم الأرض .

قال فى الخلاصة : وأما عنايته بالحرمين خصوصاً أهل المدينة فكانت عظيمة . قال : وأنشأ رباطاً للفقراء مقابل الباب الذى كان ﷺ يخرج إلى دار عثمان رضي الله عنه شرقى الحجرة المطهرة ، وجعل تربة لها شباك لجهة النبى - ﷺ . ولما توفى فى السجن وكان بينه وبين أسد الدين شيركوه ، عم صلاح الدين أيوب ، عهد من مات قبل صاحبه حمله صاحبه الحى إلى المدينة ، فدفع أسد الدين أبى القاسم الصوفى مالا صالحاً فحمل إلى الحرمين ومعه جماعة يقرؤون بين يدي تابوته ، فلما كان بالحلة اجتمع الناس للصلاة عليه ، فإذا شاب قد ارتفع على موضع عال ونادى بأعلى صوته ، سرى نعشه فوق الرقاب ، وطال ما سرى جوده فوق الركاب ، ونائله يمر على الوادى فتثنى رماله عليه وبالننادى فتثنى أرامله . فلم يُرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم ، ثم وصلوا به ، فطافوا به حول الكعبة ، وصلوا عليه عندها ، ثم إلى المدينة فصلوا عليه ودفنوه بتربيته سنة ٥٥٩ تسع وخمسين وخمسمائة ، وفى قبلة رباطه من دار عثمان أيضاً تربة أسد الدين وأخيه نجم الدين ، حُملا من مصر بعد موتهما سنة ٥٧٦ ست وسبعين وخمسمائة . انتهى .

قال ﷺ «يموت ابن آدم وينقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له» (١) ... الحديث .

نسأل الله سبحانه وتعالى - الحنان المنان أن يجعل لنا بجواره - ﷺ - قراراً ورزقاً حسناً ، ويجعل لنا لسان صدق فى الآخرين ، ويجعلنا من ورثة جنة النعيم بجاء النبى الكريم والرسول العظيم ، صاحب الخلق والخلق العظيم ، الرعوف الرحيم ، الرحمة للعالمين ، صلى الله عليه وآله وأصحابه وأهل بيته أجمعين .

(١) صحيح . بلفظ : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث .

فانظر أيها البصير الراجى خير الدارين ، خصوصاً أن كنت راعياً على طيبة مدينة سيد المرسلين ، ورسول رب العالمين ، واعتبر بما نُقِلَ ، وأنو الخَيْرَ لجيرانه ﷺ دائماً ، وافعل الخيرَ ، واعمل وتوقَّ من الإيذاء والضير ، وسر طريقاً مستقيماً أحسن سَيْرَ ، وقد علمتَ مما سبق «أن من أراد المدينة بسوء أذابه الله ذوب الرصاص فى النار ، وذوب الملح فى الماء ، وأهلكه وجعله عبرةً للمعتبرين ، ومن فعل خيراً جعلَ له ذِكْراً جميلاً فى الآخرين ، وأسكنه فى جوار سيد المرسلين ، فالحذر الحذر من قصد الإيذاء له أو لجيرانه الأحياء أو الأموات ، فإن فيهم سيد السادات وراقب الله تعالى الرقيب ربَّ البريات واحفظ أنفاسك بالطاعات .

تنبه فى تحذير : قال فى الخلاصة : نقل ابن النجار فى تاريخ بغداد وقوع ما يقرب مما تقدّم ، وهو أن بعض الزنادقة أشار على الحاكم العبيدى (١) صاحب مصر بنقل النبى - ﷺ وصاحبيه من المدينة إلى مصر ، وقال : متى قُمتَ بذلك شدَّ الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر ، وكانت منقبة لسكانها ، فاجتهد الحاكم فى مدة ، وبنى بمصر حائزاً ، وبعث رجلاً إلى نبش الموضع الشريف ، فلما وصل إلى المدينة وجلس بها حضر جماعة المدنين وقد علموا ما جاء فيه ، وحضر معهم قارئ صيَّت حسن القراءة يُعرَف بالزلبانى ، فقرأ فى المجلس ﴿ وَإِنْ نَكُنُوا أَيْمَانُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ﴾ [التوبة : ١٢] إلى قوله تعالى ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٣] فماج الناس وكادوا يقتلون الرجل المرسول للنبش ومن معه وما منعهم من السرعة من ذلك إلا أن البلاد كانت لهم ، ولما رأى المرسول ذلك قال لهم : الله أحق أن يُخشى ، والله لو كان على من الحاكم قوات الروح فى هذه القضية ما تعرضتُ للموضع الشريف ،

(١) العبيدى : لفظة تطلق على كل الفاطميين الذين حكموا مصر انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى.

وحصل له من ضيق الصدر ما أزعجه ، كيف نهض فى هذه المخزية ،
فما انصرف النهار حتى أرسل الله ريحاً كادت الأرض تزلزل من قوتها
حتى دحرجت الإبل بأقتابها ، والخيول بسروجها كما يدحرج الكرة وهلك
أكثرها وخلق من الناس ، فانشرح صدر أبى الفتوح رسول الحاكم لقيام
عذره ، وكفى الله المؤمنين القتال .

وعن شمس الدين ، شيخ خدام النبى - ﷺ وكان رجلاً صالحاً كثير
البر للفقراء قال : كان لى صاحب يجلس عند الأمير ، ويأتينى من خبره
بما تمس حاجتى فبينما أنا ذات يوم إذ جاءنى فقال : أمر عظيم حدث
اليوم ! جاء قوم من أهل حلب وبذلوا للأمير مالا كثيراً يمكنهم من فتح
الحجرة الشريفة وإخراج أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وعمر الفاروق -
رضي الله عنه - منها ، فأجابهم إلى ذلك ، فلم ألبث أن جاء رسول الأمير
يدعونى ، فأجيبته ، فقال : يا صواب ! يدق عليك الليلة أقوام المسجد ،
فافتح لهم ، ومكثهم مما أرادوا ، ولا تعترض عليهم .

فقلت : سمعاً وطاعة ، ولم أزل خلف الحجرة أبكى حتى صليتُ
العشاء ، وغَلَقْتُ الأبواب ، فلم نلبث أن دقَّ الباب الذى حذاء باب الأمير ،
وهو باب السلام ، ففتحتُ الباب ، فدخل أربعون رجلاً أعدُّهم واحداً
بعد واحدٍ ، ومعهم المساحى والمكاتل والشموع ، وآلات الهدم ، والحفر ،
قال : وقصدوا الحجرة الشريفة ، فوالله ما وصلوا المنبر حتى ابتلعتهُم
الأرض جميعاً بجميع ما كان معهم ، فاستبطن الأمير خبرهم ، فدعانى
وقال : يا صواب ألم يأتك القوم ؟

قلتُ : بلى ، لكن اتفق لهم كيِّت وكيِّت .

قال : انظر ما تقول .

قلتُ : هو ذلك ، وقم فانظر هل ترى لهم أثراً ، فقال الأمير هذا
موضع هذا الحديث وإن ظهر منك كان بقطع رأسك ..

نقل القصتين في الخلاصة في الباب الرابع في الفصل الثاني عشر
في الخاتمة ، فرضى الله عن أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعن
جميع أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم الهداة فينا ، نَقَلُ الدين ،
والحافظون لبيضة الإسلام والمسلمين ، ولقد اصطفاهم الله تعالى
أصحاباً لسيد المرسلين ورسول رب العالمين ، فنسأله سبحانه أن يحشرنا
في زميرتهم ، وينفعنا بهم في الدارين . آمين . آمين . آمين .. رب
العالمين .



﴿﴾ فصل : فى سد الأبواب ﴿﴾

إلا باب أبى بكر الصديق وعلى رضى الله عنهما

عن أبى سعيد الخدرى قال : خطب رسول الله ﷺ الناس وقال : «إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال : فبكى أبو بكر ، فتعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير . وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال رسول الله ﷺ : «إن آمن الناس على فى صُحْبَتِهِ وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لا تأخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين فى المسجد باب إلا سدُّ إلا باب أبى بكر» (١) .

وفى رواية : «كل خَوْخَة إلا خَوْخَة أبى بكر» (٢) .

والخوخة : طاقة تفتح فى الجدار للضوء حيث تكون سفلى يمكن الاستطراق ، وهو المراد هنا ، ولذا أطلق عليها باب . وقيل : لا . إلا إذا كانت تغلق .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن هذا الكلام (٣) كان فى مرضه الذى توفى فيه بخمس ليال وهو الباب الثالث ، النافذ فى المسجد وأنت داخل فى باب السلام شاميته .

كذا فى الخلاصة .

قال الحافظ ابن حجر وفى أحاديث سد الأبواب ما يُخَالَف ظاهره ما سبق لحديث سعد بن أبى وقاص . أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب الشارعة فى المسجد ، وترك باب على (٤) . أخرجه أحمد والنسائى

وسنده قوى ، زاد الطبرانى فقالوا : يا رسول الله سديت أبوابنا . فقال

(١) صحيح : أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل . باب فضائل أبى بكر ، والترمذى فى سننه .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم من طريق مالك بن أنس بنحوه .

(٣) انظر وفاة الوفا [٤٧٢/٢] الفصل الحادى عشر .

(٤) حسن لغيره . أخرجه أحمد والنسائى والطبرانى .

«ماأنا سَدَدْتُهَا وَلَكِنْ اللهُ تَعَالَى سَدَّهَا» (١) .

وعن زيد بن أرقم قال ﷺ : سُدُّوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ ، فَتَكَلَّمْ أَنَسُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «وَاللَّهِ مَا سَدَدْتُ شَيْئًا وَلَا فَتَحْتُهُ وَلَكِنْ أَمَرْتُ بِشَيْءٍ فَاتَّبَعْتَهُ» ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ (٢) .

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- . أمر رسول الله ﷺ بسد أبواب المسجد ، فَسَدَّتْ إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ .

وفى رواية : أمر ﷺ بسد أبواب المسجد غير باب علي فكان يدخل المسجد وهو جنب ليس له طريق غيره» أخرجهما أحمد والنسائي برجال ثقات .

وعن جابر نحوه ، أخرج الطبراني .

وعن ابن عمر : كُنَّا نَقُولُ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : رَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ النَّاسِ ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ الْفَارُوقُ رضي الله عنه ، وَلَقَدْ أُعْطِيَ عَلِيٌّ رضي الله عنه -ثَلَاثَ خِصَالٍ لِأَنَّهُ تَكُونُ لِي وَاحِدَةً مِنْهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ زَوْجُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ابْنَتُهُ ، وَوُلِدَتْ لَهُ ، وَسَدُّ الْأَبْوَابِ إِلَّا بَابَهُ ، وَأُعْطِيَ لَهُ الرِّايَةُ يَوْمَ فَتْحِ خَيْبَرَ .

أخرج أحمد بسند حسن قال الحافظ ابن حجر : وهذه الأحاديث يقوى بعضها بعضها وكل طريق منها صالح للاحتجاج بها وقد أورد ابن الجوزي في الموضوعات مقتصرأعلى بعض طرقه وأعلاه . بمخالفته للأحاديث الصحيحة في باب «أبي بكر - رضي الله عنه» وقد أخطأ في ذلك خطأ شنيعاً لردّه الأحاديث الصحيحة بتوهم المعارضة مع إمكان الجمع بحديث «أبي سعيد الخدري» رفعه .

(١) السابق . (٢) رجالهما ثقات .

(٣) انظر وفاء الوفا [٤٧٧/٢] .

«لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَطْرُقَ هَذَا الْمَسْجِدَ جَنْباً غَيْرِي وَغَيْرِكَ» (١) .

خطاباً لعلی - ﷺ - المعنى .. أَنَّ بَابَ عَلِيٍّ كَانَ لجهة المسجد ولم يكن له باب غيره ، فَلِذَلِكَ لَمْ يُؤْمَرْ بِسَدِّهِ ، أى بخلاف أبى بكر الصديق - ﷺ - فكان له باب إلى خارج المسجد وخرجة إلى المسجد ، فَمَنْ روى استثناه رأى أنه المحتاج إلى الاستثناء لما ذكر بخلاف باب «علی» فإنه خص بها هو أريد من إبقاء الباب ، ومن روى باب «علی» أراد دَفَعَ تَوَهُّمَ أنه سدٌّ أو يُقال وهو أوضح أنه أمر أولاً بِسَدِّ الأبواب إلا باب «علی» فَسَدُّوْهَا وأحدثوا خوفاً يستقربون الدخول منها بعد الاستئذان فيه فأَمَرُوا بِسَدِّ إلا خوخة «أبى بكر» - ﷺ - قيل : كانت جدران المسجد لهم وأنه - ﷺ - رأى المصلحة في منْعهم منها ، وقيل : كانت الجدران مسجداً فَمَكَّنَهُمْ - ﷺ - من ذلك أولاً ثُمَّ رأى المصلحة في المنع - اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وصحبه وسلّم - ورضى الله تعالى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعن سائر الصحابة والقراة أجمعين ، والحمد لله رب العالمين (٢) ...

(١) ضعيف جداً . وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

(٢) انظر الخلاصة ، ووفاء الوفا ، للسهمودى .

❦❦❦ فصل : فى الأساطين النبوية الماثورة ❦❦❦

المتبركة المنيفة

فمنها الأسطوان التى هى عَلَّمَ عَلَى المصلى الشريف وتُعرفُ بالمخلقة وَأَنَّ الجذعَ الذى كان يَخْطُبُ إليه - ﷺ - ويتكئُ عليه كان أَمَامَهَا . وَأَنَّهُ كان فى مَحَلٍّ كُرْسَى الشَّمْعَةِ هناك ، وكان سلمةُ بْنُ الأَكوعِ يَتَحَرَّى الصَّلَاةَ عندها^(١) ومنها أسطوانُ عائِشَةَ وتُعرفُ بأسطوانِ القُرْعَةِ والمهاجرين^(٢) ووَصَفَهَا المطرئُ بالمخلقة وهى الثالثة من المنبرِ والثالثة من القبرِ والثالثة من القبلة ، متوسطة للروضة صلى إليها النبى - ﷺ - المكتوبة بعد تحويل القبلة بضعةَ عَشَرَ يوماً ، ثُمَّ تَقْدَمُ إلى مُصَلَّاهُ الذى وَجَاهَةُ المَحْرَابِ فى الصَّفِّ الأوَّلِ ، وَأَنَّ أبا بكر ، وعُمَرَ والزَّيْبِرَ وعَامِرَ بْنَ عبدِ اللَّهِ كانوا يصلُّونَ إليها وَأَنَّ المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها ، ويُقالُ لَدُنْكَ المَجْلِسِ مَجْلِسِ المهاجرين وعن عائِشَةَ -رضى الله عنها- أَنَّ رسولَ اللَّهِ - ﷺ - قال : «إِنَّ فى مسجدي لبُقْعَةٍ قبل هذه الأسطوانة لو يَعْلَمُ النَّاسُ ما صَلُّوا فيها إلا أن تطير لهم قرعة»^(٣) .

وكان عند عائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - جَمَاعَةٌ من أبناء الصحابة فقالوا :

يا أُمَّ المؤمنين وأين هى ؟ فاستعجمت عليهم^(٤) (فمكثوا عندها ساعة)^(٥) ثُمَّ خرجوا وثبتَ عبدُ اللَّهِ بنُ الزَّيْبِرِ فقالوا : إنها سَتُخْبِرُهُ ،

(١) يشير بذلك إلى حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم ، ولَفِظُ البخارى : « كنتُ آتِي مع سلمة بن الأكوع ، فيصلى عند الأسطوانِ التى عند المصحف ، فقلت : يا أبا سلمة ! أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة قال : فإني رأيت رسولَ اللَّهِ ﷺ يتحرى الصلاة عندها . ولَفِظُ مسلم : عن سلمة أنه كان يتحرى موضع المصحف يسبح فيه ، وذكر أن النبى ﷺ كان يتحرى ذلك » .

ومعنى قوله فى رواية مسلم : يُسَبِّحُ أى يُصَلِّى ، والسُّبْحَةُ بالضم ، صلاةُ النافلة ، والمراد هنا سبحة الضحى ، كما ورد فى رواية ابن زبالة ، ومنه الحديث : «اجعلوا صلاتكم معهم سبحة» أى نافلة . (٢) كذا فى وفاء الوفا [٤٤٠/٢] الفصل السابع فى الأساطين المنيفة .

(٣) وفاء الوفا [٤٤٠/٤] .

(٤) عزاه السهمورى فى وفاء الوفا إلى الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة .

(٥) ساقطة من المخطوط ، والتكميل من وفاء الوفا [٤٤٠/٤] .

فأرقبوه في المسجد حتى ينظروا حيث يُصَلَّى ، فَخَرَجَ بعد ساعة فَصَلَّى
عِنْدَ الْأُسْطُوَانَةِ الَّتِي هِيَ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ ، ...

وفى رواية ابن زبالة .. قالت : «لَوْ عَرَفَهَا النَّاسُ لَأَضْطَرُّوا عَلَيْهَا
بِالسَّهْمَانِ»^(١) الحديث وكان ﷺ يَسْتَنْدُ إِلَيْهَا إِذَا جَلَسَ عِنْدَهَا^(٢) وقال
ابن زبالة عن إسماعيل بن عبد الله عن أبيه أنه قال : بَلَفْنَا أَنْ الدُّعَاءَ
عِنْدَهَا مُسْتَجَابٌ^(٣) أَقُولُ : وَلَمَّا زَارَ السَّيِّدُ الْجَلِيلُ شَيْخُنَا الْعَارِفُ بِاللَّهِ
سَيِّدِي عَمْرُ الْبَارِ خَلِيفَةُ السَّيِّدِ الْغَوْثِ الْقُطْبِ^(٤) عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ كَانَ
يَلْزِمُ الصَّلَاةَ عِنْدَهَا فِي جَمِيعِ الْمَكْتُوبَاتِ وَيَجْلِسُ وَيَسْتَنْدُ إِلَيْهَا كَثِيرًا
وكَانَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى - كَثِيرَ الْآتِيَاعِ لِلْآثَارِ النَّبَوِيَّةِ ، وَانْتَفَعْنَا بِهَذَا
السَّيِّدِ نَفْعَ اللَّهِ بِهِ كَثِيرًا - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَابْتَسْنَا خُرْقَةً آلِ
(...) ^(٥) طَرِيقَةَ السَّادَةِ الْعُلَوِيَّةِ الْمُنَسَوِيَّةِ إِلَى سَيِّدِي الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ جَدُّ
غَالِبِ السَّادَةِ عَنْ أَبِي مَدَيِّنِ الْغَوْثِ الْمَغْرِبِيِّ قُدْسُ سِرِّهِ - وَلَقِّنَنِي كَلِمَةَ
الْإِخْلَاصِ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - وَيَدِي فِي يَدِهِ الْمُبَارَكَةِ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
مُوَاجِهِينَ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ وَمَعَنَا السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَيْتِيُّ وَهُوَ أَيْضًا
طَلَبَ مِنْهُ تَلْقِينَ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ فَلَقِّنَنَا جَمِيعًا بِالْجَهْرِ كَمَا هُوَ طَرِيقَةُ سَائِرِ
الطَّرِيقِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَوَى النَّقِشْبَنْدِيَّةِ فَإِنَّهُمْ يُلْقِنُونَ الذِّكْرَ سِرًّا بِالْقَلْبِ
كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ وَقَدْ كَتَبْتُ رِسَالَةً لَطِيفَةً فِي الذِّكْرِ سَمَّيْتُهَا «لَمَعَةُ
الرَّشْحَاتِ فِي تَلْقِينَ الذِّكْرِ لَطَالِبِ النِّفَحَاتِ» نَفَعَ اللَّهُ مَطَالِعَهَا وَمَحْصَلَهَا

(١) النص في وقاء الوفا : لو عرفها الناس لاقترعوا على الصلاة فيها بالسهمان . والمعنى لاقترعوا
على الصلاة فيه ، وأقاموا القرعة بينهم .

(٢) رواه ابن البخار من طريق الزبير بن حبيب . قال السمهودي : ولم أره في كلام غيره ،
والظاهر أن مراده أن النبي ﷺ كان يستند إليها إذا جلس لا أنه يجعلها خلف ظهره إذا صلى كذا في
وقاء الوفا .

(٣) رواه ابن البخار ، وابن زبالة كما في وقاء الوفا .

(٤) كلمة الغوث ، والقطب يستعملها الصوفية في تعبيراتهم كثيرا ، والمراد عندهم بالغوث ،
والقطب هو السيد الذي يلوذون به ، والرجل الذي يستغيثون به لأنه ولي أو صالح انظر معجم
مصطلحات الصوفية ، وكذلك المعجم الصوفي مادة [ق. ط. ب.].

(٥) يياض بالأصل المخطوط .

أمين ومنها أسطوان التوبة^(١) ويُعرف بأبى لبابة من الأوس^(٢) لأنه ربط نفسه حتى أنزل الله توبته عندها وسببه أنه كان حليفاً لبني قريظة فاستشاروه في النزول على حكم النبي - ﷺ وأجهش إليه النساء والصبيان يبكون ، فقال لهم : نعم ، ورق لهم ، وأشار بيده إلى حلقه وهو الذبح . قال : فوالله ما زالت قدماي حتى علمتُ أني خُنتُ الله ورسوله ، فلم يرجع إلى النبي - ﷺ - ومضى فارتبط إلى جذع موضع أسطوان التوبة بسلسلة ربوض أي ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه فما كاد يسمع وكاد بصره يذهب وكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة وإذا أراد أن يذهب لحاجته ثم يأتي فترده في الرباط ، وأنزل الله - تعالى فيه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ ﴾ [الأنفال: ٢٧] ^(٣) الآية وحلف لا يحل نفسه حتى يحله رسولُ الله - ﷺ - فقال النبي - ﷺ - «أَمَّا تَوْجَعَانِي لَأَسْتَغْفِرَ لَهُ فَاثَمًا إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَمَا أَنَا الَّذِي أَطْلَقَهُ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ^(٤) .

فَأُنْزِلَتْ تَوْبَتُهُ سَحَرًا فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ، فَحَلَّهُ - ﷺ - ، فَعَاهَدَ اللَّهَ - تعالى - أن لا يطأ بني قريظة أبداً ، وقال : لا يراني الله في بلد خُنتُ

(١) وفاء الوفا [٤٤٢] .

(٢) هو عمرو بن عوف الأوسي المعروف بأبى لبابة بن عبد المنذر ، أحد النقباء . وسميت الأسطوان باسمه . فيقال لها : أسطوانة التوبة ، وأسطوانة أبى لبابة .

قال الأقرشي : اختلف أهل السير والتفسير في ذنب أبى لبابة فقال قوم : كان من الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، وقال ابن هشام : سببه قضية بني قريظة واستشارتهم إياه ، وأنهم قالوا له : أنزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه وهو الذبح . وفي رواية أخرى أنه لما جاءهم قام إليه الرجال ، وأجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم ، فكان ما تقدم .

قال أبو لبابة ، فوالله ما زالت قدماي حتى علمتُ أني خُنتُ الله ورسوله . وقد ذكر الهميشري عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧] سببا آخر . وعلى كل فقد تاب الله عليه وسميت الأسطوانة باسم التوبة أو بأسطوانة أبى لبابة على ما تقدم .

(٣) الآية من سورة الأنفال [٢٧]

(٤) راجع تفسير الزمخشري ، والنسفي ، ودلائل النبوة للبيهقي . عند تفسير الآية المذكورة .

الله ورسوله فيه أبداً ، وقيل : لتخلفه في غزوة تبوك فلما جاء النبي ﷺ - جاءه فأعرض عنه ، فارتبط بسارية التوبة التي عند باب أم سلمة سبعاً بين يوم وليلة ، ورؤي عن ابن عباس في قوله - تعالى - ﴿ وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٢] (١) قال : كانوا عشرة منهم أبو لبابة - رضي الله عنه - وستة من أصحابه ربطوا أنفسهم بسوارى المسجد حتى تاب الله عليهم ، قيل : هذه السارية هي التي رُبطَ إليها «ثمامة بن أثال الحنفي» (٢) ، «ولابن زبالة» أن النبي ﷺ - كان يُصلي نوافله إلى أسطوان التوبة (٣) ، وكان - ﷺ - إذا صلى الصُّبح انصرف إليها وقد سبق إليها الضعفاء والمساكين وأهل الضر ، وضيغان النبي ﷺ - والمؤلفة قلوبهم ومن لا بيت عنده إلا المسجد ، وقد تحلقوا حولها حلقاً بعضها دون بعض ، فينصرف إليهم - ﷺ - من مُصَلَّاه من الصبح فيتولوا عليهم (٤) ما أنزل الله - تعالى - عليه من ليلته ، ويُحدِّثُهُم ويُحدِّثُونَهُ ، حتى إذا طلعت الشمسُ جاء أهل الطُّول والشرف والغنى فلم يجدوا إليه مجلساً ، فتاقت أنفُسُهُم إليه ، وتاقت نَفْسُهُ إليهم (٥) فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تعالى - ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (٦) [الكهف: ٢٨] الآيتين وعن «ابن عمر» كان - ﷺ - إذا اعتكف طرح له فراشه ووضع له سرير وراء أسطوانة التوبة (٧) « رواه ابن زبالة ، وفي رواية «إذا اعتكف - ﷺ - يطرح له فراشه أو سريره إلى أسطوان

(١) الآية من سورة التوبة [١٠٢] .

(٢) صحابي جليل ، له باع طويل في الدفاع عن الإسلام انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر .

(٣) رواه ابن زبالة من طريق عمر بن عبد الله بن المهاجر ، عن محمد بن كعب . كما في وفاة الوفا .

(٤) رواه ابن زبالة من طريق عمر بن عبد الله ، لكنه لم يذكر محمد بن كعب في إسناده .

(٥) راجع وفاة الوفا للسهودي [٤٤٤/٢ ، ٤٤٥] .

(٦) الآية من سورة الكهف [٢٨ - ٣٠] .

(٧) ضعيف . أخرجه ابن ماجه في كتاب الصوم باب في المعتكف يلزم مكاناً من المسجد حديث [١٧٧٤] .

التوبة مما يلى القبلة يستند إليها^(١) ، قال عياض^(٢) : وكان لمالك ابن أنس - رضي الله عنه - موضع فى المسجد ، قال : مكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو الذى كان يوضع فيه فراش النبى - صلى الله عليه وسلم - إذا اعتكف ، واعلم يا أخى أنه بين القبر الشريف وبين هذه الأسطوانة ، سارية واحدة وبينها وبين القبر المَعَطَّرُ عشرون ذراعاً قال : فى الخلاصة :^(٣) وتوهم البدر بن فرحون أنها اللاصقة بالشباك ، وهو مردود - والله أعلم - أسطوانة السرير هى أسطوانة التوبة ، وكان للنبى - صلى الله عليه وسلم - سرير من جَرِيدٍ فيه سَعَفَةٌ^(٤) ، يوضع عند أسطوانة التوبة ، كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يضطجع عليه ، ومرة يوضع عند الأسطوانة القريبة الملاصقة للحجرة المطهرة أى الشباك اليوم شرقى أسطوانة التوبة ، قال فى الخلاصة^(٥) : وكان صلى الله عليه وسلم - قبل أن يزيد فى المسجد يوضع له سريره فى قُرْبِ أسطوانة التوبة ، وَبَعْدَ أن زاد من جهة الشرق ، نقل السرير إلى الأسطوانة المواجهة للقبر الشريف ، وكانت عائشة - رضى الله عنها - ترجل رأسه - صلى الله عليه وسلم - وهو مُعْتَكِفٌ فى المسجد وهى فى بيتها .

وفى الصحيح عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان .. «يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّيُ عَلَيْهِ وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ»^(٦) وَيُنَّ أَحْمَدُ فى رواية - أن ذلك كان على باب بيت عائشة - رضى الله

(١) ضعيف . رواه ابن زبالة كما فى وفاء الوفا وانظر مشكاة المصابيح [٢١٠٧] .

(٢) فى الشفا بتعريف حقوق المصطفى .

(٣) الخلاصة [ص٢٤٢] ، وفاء الوفا [٢/٤٤٦] .

(٤) السعف : يفتح السين والعين جمع سفة ، وهى أعضان النخيل إذا كانت رطبة ، كذا ابن الأثير فى النهاية .

(٥) انظر وفاء الوفا [٢/٢٤٧] ، والخلاصة [٢٤٢] .

(٦) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب الأذان . باب صلاة الليل حديث [٧٣٠] ، وفى كتاب اللباس باب [٤٣] ، وفى كتاب الأدب باب [٧٥] ، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين . باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره [٥٤/١] وكذلك أخرجه أبو داود ، وأحمد ، وابن ماجه . ومعنى : يحجره ، أى يجعله كالحجرة للصلاة فيه كذا فى فتح البارى .

عنها - أى الذى كان يلى الروضة المُطَهَّرَة ، ومنها أَسْطُوَانُ المحرس ، وتُسَمَّى أسطوان على - ﷺ - لأنها مُصَلَّاة - ﷺ - وكان على : ﷺ - يجلس فى صفحتها التى تلى القبر الشريف مما يلى باب - ﷺ - يَحْرُسُ النَّبِيَّ - ﷺ .. قال المطرئ : هذه الأُسْطُوَانَةُ المِقابِلَةُ للخوخة التى كان رسول الله - ﷺ - يَخْرُجُ منها من جهة الشمال ، ويُصَلِّي عندها أميرُ المدينة المنورة اليوم .

أُسْطُوَانُ الوُفُودِ .. خَلَفَ المَحْرَسُ من الشمال ، كان - ﷺ - يجلس إليها الوفود العَرَبُ إذا جاءت ، وكانت تُعَرَّفُ بمجلس القلادة يجلس إليها سِرَاةُ الصَّحَابَةِ وَأَفَاضِلُهُمْ - رضى الله عنهم - ، ومنها أُسْطُوَانُ مِربِعةِ القبر ، ويُقَالُ لها «مِقام جبريل» وكان باب فاطمة - رضى الله عنها - عندها ، وقد كان رسول الله - ﷺ - يَأْتِيهِ حَتَّى يَأْخُذَ بِعِصَايَتِهِ وَيَقُولُ : «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ» ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] وفى رواية كل يوم فيقول : «الصلاة .. الصلاة» .

قال فى الخلاصة (٣) : وقد حرم الناس الآن التَّبَرُّكُ بها وبأُسْطُوَانِ السَّرِيرِ ، لِفُلُقِ الشَّبَاكِ التَّائِرِ عَلَى بابِ الحِجْرَةِ الشَّرِيفَةِ ، - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

أُسْطُوَانَةُ التَّهَجُّدِ (٤) .. هذه الأُسْطُوَانَةُ وِراءَ بَيْتِ فَاطِمَةَ - رضى الله عنها - من جهة الشمال وفيها محراب - كان رسول الله - ﷺ - يخرج حصيراً كل ليلة إذا انكفت (٥) الناس فيطرح وراء بيت «على» - ﷺ - ثم يصلى صلاة الليل ، فرآه رجلٌ فصلى بصلاته ، ثم آخر فصلى بصلاته ، حتى كثروا ، والتفت ، فإذا بهم فأمراً بالحصير فطوى ، ثم

(١) انظر الخلاصة [٢٤٤٣] ، ووفاء الوفا [٤٤٩ / ٢] .

(٢) الآية من سورة الأحزاب [٣٣] . (٣) الخلاصة [ص ٢٤٤] .

(٤) وفاء الوفا [٤٥٠ / ٢] والخلاصة [٢٤٤٤] . (٥) انكفت الناس : انصرفوا إلى منازلهم .

دَخَلَ فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كُنْتَ تَصَلِّي بِاللَّيْلِ فَتُصَلِّي بِصَلَاتِكَ فَقَالَ : «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكُمْ صَلَاةٌ ثُمَّ لَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهَا» (١) ، وَرَوَى عَنْ «مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ» أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ كَانَ مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنَ اللَّيْلِ (٢) وَهَذِهِ الْأَسْطُوَانَةُ آخِرُ الْأَسَاطِينِ الَّتِي ذَكَرَ لَهَا أَهْلُ التَّارِيخِ فَضْلاً خَاصّاً ، وَالْأَجْمَعُ سَوَارِي الْمَسْجِدِ لَهَا فَضْلٌ .

فَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ .. لَقَدْ أَدْرَكْتُ كِبَارَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - ﷺ - يَتَدَرُونَ السَّوَارِي عِنْدَ الْمَغْرَبِ (٣) فَجَمِيعُ سَوَارِيهِ تَسْتَعْبِ الصَّلَاةُ عِنْدَهَا إِذْ لَا تَخْلُوا مِنْ صَلَاةِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ إِلَيْهَا .

قَالَ ابْنُ النَّجَّارِ (٤) : وَلابْنُ النَّجَّارِ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ لَمَّا جَدَّ (٥) مَالَهُ جَاءَ بِقَنْوٍ فَجَعَلَهُ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، وَكَانَ مَعَاذُ بَنُ جَبَلٍ يَقُومُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يَجْعَلُ حَبْلًا بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ ثُمَّ يَلْقَى الْأَقْنَاءَ عَلَى الْحَبْلِ ، وَيَجْمَعُ الْعَشْرِينَ أَوْ أَكْثَرَ فَيَهْشُ عَلَيْهِمْ بِعَصَاهُ مِنْ الْأَقْنَاءِ فَيَأْكُلُونَ أَيْ - أَهْلَ الصِّفَةِ وَهُمْ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ كَمَا فِي الصَّحِيحِ - ، وَهِيَ ظِلَّةٌ كَانَتْ مُؤَخَّرَ الْمَسْجِدِ ، يَأْوِي إِلَيْهَا الْمَسَاكِينُ ، وَقَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ : كَانَتْ الْقِبْلَةُ فِي أَوَّلِ الْهَجْرَةِ فِي شِمَالِي الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا حُوِّلَتْ بَقِيَ حَائِطًا لِلْقِبْلَةِ الْأُولَى مَكَانَ أَهْلِ الصِّفَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

(١) ذَكَرَهُ السَّهْمُودِيُّ فِي وِفَاءِ الْوُفَا مُسْتَمِلًا إِلَى يَحْيَى بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ [٤٥٠/٢-٤٥١] . (٢) كَمَا فِي الْخُلَاصَةِ [ص ٢٤٥] .

(٣) صَحِيحٌ - الْبُخَارِيُّ فِي الْأَذَانِ . بَابُ كَمْ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَمَنْ يَنْظُرُ الْإِقَامَةَ ؟ حَدِيثٌ [٦٢٤] ، وَمُسْلِمٌ فِي صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ : بَابُ اسْتِحْبَابِ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرَبِ (٥٧٣/١) وَلَفْظُ الْحَدِيثِ : عَنْ أَنَسٍ : «كُنَّا بِالْمَدِينَةِ ، فَإِذَا أُذِّنَ الْمُؤَذِّنُ لَصَلَاةِ الْمَغْرَبِ ابْتَدَرُوا السَّوَارِي ، فَيَرْكَعُونَ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى إِذَا رَجَلَ الْغَرِيبُ لِيَدْخُلَ الْمَسْجِدَ ، فَيَحْسِبُ أَنَّ الصَّلَاةَ قَدْ صَلَّيْتُ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يَصَلِّيهِ» .

وَمَعْنَى يَتَدَرُونَ السَّوَارِي : أَيْ يَتَسَارِعُونَ إِلَيْهَا ، وَالسَّوَارِي جَمْعُ سَارِيَةٍ ، وَهِيَ الْأَسْطُوَانَةُ أَيْ يَقِفُ كُلُّ أَحَدٍ خَلْفَ أُسْطُوَانَةٍ لَعَلَّا يَقَعَ الْمُرُورُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي صَلَاتِهِ مُنْفَرِدًا .

(٤) كَمَا فِي الْخُلَاصَةِ [٢٤٥] . (٥) فِي الْأَصْلِ [وَحْدًا] وَفِي الْخُلَاصَةِ [جَدًّا] وَهُوَ مَا أُبْتِغَتْ .

فصل : فى « إكرام الله - تعالى - »

أهل المدينة الأوس والخزرج بالنبي ﷺ ،

وقد سكن المدينة المنورة أولاً بعد الطوفان «عبيل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح» وقيل : أول مَنْ سكنها «يثرب بن قانية بن مهلايل بن إرم ابن عبيل» المذكور ، وقيل أول مَنْ عَمَرَ الدور بها «العماليق» بنو عملاق بن ارفخشذ بن سام ، وأخذوا ما بين البحرين وعمان والحجاز إلى الشام ومصر ، ومنهم «الجبابرة ، والفراعنة» ، وكان ملكهم بالحجاز الأرقم غريبه ، كانت العماليق من أطول الناس وأعظمهم جُثْثاً ، وعن «زيد بن أسلم» أن ضبعة رؤيت وأولادها رابضة فى حجاج عين رجل منهم والحجاج - العظم الذى ينبت عليه الحاجب ، قال :

وكان يمضى أربعمائة سنة ، وما يسمع فيهم لجنابة ، ثم سكنها بعض اليهود^(١) لما كانوا يجدون وصف نبي آخر الزمان - ﷺ - يكون دار هجرته ، فنزلوا فى موضع سوق «بنى قينقاع» ثم تألف إليهم أناس من العرب ، فرجعوا على دينهم ، ويدل مبتدأ رواية جابر عن رسول الله - ﷺ - فى الخلاصة عن ابن شبة مجيء موسى مع أخيه هارون حاجين - -عليهما السلام - واستخفائهم فى جبل أحد من «يهود» وموت «هارون» - عليه السلام - والله أعلم - ..

وقد ذكر فى الخلاصة^(٢) فى الباب الثالث نسب الأوس والخزرج ومبدأ أمرهم ونزولهم المدينة وغلبيتهم على مَنْ فى المدينة ، ثم تشرّفهم بسيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين - فمن أراد التفصيل فليُراجِعْهَا ، فإنه - رحمه الله - أتى بما لا مزيد عليه ، ولما منَّ الله على الأنصار بمجيء النبي المختار -

(١) كل هذه الأمور من التاريخ المفترض والذى لا يقوم على سند صحيح ، وقد أسنده السهمودى فى الخلاصة إلى الكلبي عن ابن عباس ، ولعله من الإسرائيلية التى يروونها عنه .

انظر الخلاصة [١٥٤] الباب الثالث فى أخبار سكنائها إلى أن حلَّ بها النبي ﷺ .

(٢) انظر ذلك فى الخلاصة [ص ١٥٦] وما بعدها .

ﷺ - أشرقَت الأرضُ بنور ربِّها وأقبلوا إليه - ﷺ - فرحين مستبشرين، ولما تَرَكْتَ النَّاقَةَ على باب «الْيُوبِ الْأَنْصَارِيِّ» خرج جوارٍ من «بنى النجار» يَضْرِبَنَّ الدفوفَ ، وَيَقْلَنَّ :

نحن جوار من بنى النجار يا حَبْنًا مُحَمَّدًا من جار

فقال النبى - ﷺ :

«أُحْبِبْنِي» ؟ قلن : نعم - فقال : «والله وأنا أُحِبُّكُمْ» ، قَالَهَا ثَلَاثًا (١) ،

قال رُزَيْن : وصَعِدَت ذواتُ الخدور على الأجاجير - أى الجدر - يَقْلَنَّ :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع (٢)

والغلمان والأولاد يقولون :

جاء رسول الله - ﷺ - فَرَحًا به ، وعن أنس - رَضِيَ عَنْهُ - لما قَدِمَ رسول الله - ﷺ - المدينة لعبت (الحبشة) (٣) بحرا بهم فرحاً بقدومه - ﷺ .

وعنه . لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله - ﷺ - أَضَاءَ منها كُلُّ شَيْءٍ ، واليوم الذى مات فيه أَظْلَمَ منها كُلُّ شَيْءٍ ، وعن أبى أيوب الأنصارى قال :

لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فى بَيْتِي نَزَلَ فى السفل وأنا وأمُّ أيوبَ فى العُلُو ، فقلتُ : يا نبى الله بأبى أنت وأُمى إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى فأظهر أنت فكن فى العلو وتنزل نحن فتكون فى السُفلى . فقال :

« يا أبا أيوب إنه أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سُفلى البيت (٤) »

(١) انظر سيرة ابن هشام ، وسبل الهدى والرشاد : فى سيرة خير العباد . باب دخوله ﷺ المدينة .

(٢) الخلاصة [١٩٥] ، هذه الراوية ضعيفة على ما فى السنن وكتب السيرة .

(٣) ساقطة من المخطوط والتكميل من الخلاصة .

(٤) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد . الباب السابق .

قال : فكان رسول الله - ﷺ - فى سَفْله وكُنَّا فوق فى المسكن ، فلقد انكسرَ حُبُّ لنا فيه ماء ، فقمتُ أنا وأمُّ أيوبَ بقطيعة لنا ، مالنا لحاف غيرها ننشِفُ بها الماء خوفاً أن يَقْطُرَ على رسول الله - ﷺ - منه شئٌ فيؤذيه ، قيل : إن أبا أيوبَ لم يزل يتَضَرَّعُ إليه ﷺ - حتى تحوَّلَ - ﷺ - فى العلو ، وأبو أيوبَ فى السفلى ، وكان إقامته - ﷺ - فى بيت أبى أيوب سَبْعَةَ أَشْهُرٍ يتَقَلَّمُ السَّيْنِ على الموحدة ، وهذا البيت ابتاعها «المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث» فتَصَدَّقَ بها ، ثم بَيْعَتْ ، فاشترها الملك المظفر «شهاب الدين غازى»^(١) واتَّخَذَهَا مدرسة للمذاهب الأربعة تُعَرَّفُ بالمدرسة الشَّهابِيَّة ، ووقف عليها أوقافاً بدمشق ونخيلاً بالمدينة ، وغيرهما ، فشمَلها وغيرها ما عم الأوقاف من تصرفات النظار وكذا ما كان فيها من الكُتُب النَّفِيْسَةِ ، والأمر لله الواحد القهار ..

وفى إيوان قاعتها الصغرى خزانة صغيرة جداً مما يلى القبلة فيها محراب . يقال : إنها مَبْرَكُ نَاقَتِهِ^(٢) - ﷺ - وبعث - ﷺ - «زيد بن حارثة»، و«أبا رافع» إلى مكة فَقَدِمَا عليه «بفاطمة» ، و«أم كلثوم» بنتيه ، و«سودة» زوجته ، و«أم أيمن» زوج «زيد بن حارثة» ، و«أسامة بن زيد» ، فلما قدموا أنزلهم فى بيت «حارثة بن النعمان» وخرج «عبد الله بن أبى بكر الصديق» - رضى الله عنهما - بعيال أبيه ، وكتب النُبىُّ - ﷺ - كتاباً بين المهاجرين ، والأنصار وادع فيه يهود ، وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم وآخى - ﷺ - بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، والتَّامَ شَمْلُ الْحَيِّينَ «الأوس والخزرج» ببركته - ﷺ . وكانت إقامته - ﷺ - بالمدينة المنورة - عشر سنين إجماعاً - اللهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه وأهل بيته وجميع أمته ، وصلوات الله عليه وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين ، وآل كلِّ أصحاب كلِّ وعلينا معهم يا أرحم الراحمين .

(١) الخلاصة [١٩٦] ، ووفاء الوفا [٤ / ١٨٨٢] .

(٢) المصدرين السابقين . وانظر سبل الهدى والرشاد .



فصل : فيما وقع بعد هجرته



فى هذه السنين العشر وما فتح الله عليه - ﷺ - فيها -

ففى السنة الأولى - كما فى الخلاصة - كان بناء المسجد النبوى وزيد فى صلاة الحضر ركعتين على القول به ووعك أصحابه (وأصابهم) الوياء وقال «اللهم حبيب إلينا المدينة» (١) ، وعقد لواء لابن عمه «عبدة ابن الحارث» (٢) - رضى الله عنهما - على ستين من المهاجرين وهى أول راية عقدت فى الإسلام (٣) ، فالتقى مع «أبى سفيان بن حرب» (٤) ، وقيل : «عكرمة بن أبى جهل» (٥) ، فى مائه من المشركين بيطن رابع ويعرف بؤذان، وقيل : إن ذلك كان فى الثانية ، ثم عقد لواء لعمه «حمزة» (٦) - رضى الله عنه - على ثلاثين من المهاجرين ، قيل : ومن الأنصار ، ليعترض عير قريش ، فلقى «أبا جهل» فى ثلاثمائة راكب فحجز بينهم «مجدى بن عمرو الجهنى» وقدم بعضهم هذه على التى قبلها ، وقال : إن لواء «حمزة» هو السابق (٧) ، وقيل إن أول راية عقدت لعبد الله بن جحش (٨) ، ثم بنى بعائشة - رضى الله عنها - وهى بنت تسع وكان عقد عليها بمكة وهى بنت سبت ثم عقد لواء «لسعد بن أبى وقاص» (٩) - رضى الله عنه - فى عشرين يريد عير قريش ، وأسلم «عبد الله بن سلام» (١٠) أول قُدومه - ﷺ - ونصبت أحبار يهود العداوة للنبي - ﷺ - بغيا وحسداً ، ومنهم «حى بن أخطب» ، و«أبو رافع الأعور» ؛ و«كعب بن الأشرف» ، و«عبد الله بن صوريا» ، و«الزبير بن باطا» و«لبيد بن

(١) سبق تخريجه وبيان أنه حديث صحيح .

(٢) ترجمته فى الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر [١٠٢٠/٣] .

(٣) عند السيوطى فى كتابه الوسائل إلى معرفة الأوائل ، أن أول راية عقدت حين قدم النبي ﷺ المدينة كانت لحمزة بن عبد المطلب . وكذا قال ابن سعد فى طبقاته . انظر الأوائل [ص ٧٨] .

(٤) ترجمته فى الاستيعاب [١٦٧٧ / ٤] . (٥) ترجمته فى الاستيعاب [١٠٨٢/٣] .

(٦) ترجمته فى الاستيعاب [٣٦٩/١] . (٧) كما قال السيوطى على ما ذكرنا آنفاً .

(٨) ترجمته فى الاستيعاب [٨٧٧/٣] . (٩) ترجمته فى الاستيعاب [٦٠٦/٨] .

(١٠) ترجمته فى الاستيعاب [٩٢١ / ٣] .

الأعصم» ودخل منهم فى الإسلام نفاقاً ، وعبد الله بن زيد الأذان^(١) ، وقيل : إنه فى الثانية وكان النداء قبله الصلاة جامعة^(٢) ، وفى السنة الثانية زوج «عليًا» بفاطمة - رضى الله عنهما - ولها خمس عشرة سنة ، وقيل : ثمانى عشرة سنة ، ثم غزا فيها رسول الله - ﷺ - بنفسه إلى الأبواء وهى ودان على ست أميال ، فيقال لها : غزوة ودان أيضاً ، ثم غزا فى مائتين من أصحابه ناحية رضى رضى يُريدُ تجارة قريش وهى غزوة «بواط» ، ثم أغار «كرز بن جابر الفهري» على سرح المدينة فخرج رسول الله - ﷺ - فى إثره فى المهاجرين فانتهى إلى بدر ، وفاته «كرز» ، ثم بعث «عبد الله بن جحش» فى سرية وهم الذين قتلوا «عمرو بن الحضرمي» فى الشهر الحرام واستاقوا العير من نخلة على يوم وليلة من مكة فكانت أول غنيمة فى الإسلام ، ثم خرج - ﷺ - إلى العشيرة يمترض عير قريش ، ففاته ، فودع بنى مدلج وخلفاءهم ، ثم نزلت فريضة الصوم فى شعبان ، فصاموا رمضان ، ثم غزوة بدر الثانية التى أعز الله - تعالى - بها الإسلام فى رمضان ومعه الأنصار ولم تخرج معه قبل ذلك ، وكان المسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر معهم ثلاثة أفراس ، والمشركون ألفاً معهم مائة فرس ، ثم قتل عُمير بن عدى العصماء زوج يزيد الخطمي^(٤) ، كانت تؤذى رسول الله - ﷺ - فى الشعر ، وذلك اليوم أول ماغزا الإسلام بدار بنى خطمة وقتل «سالم بن عمير» أحد البكائين أبا عتيك اليهودى ، وكان شيخاً من بنى «عمرو بن عوف» يحرض على النبى - ﷺ - ثم خطب - ﷺ - قبل الفطر بيومين ، يعلم الناس زكاة الفطر ، وفرضت زكاة الأموال^(٥) ، وقيل : فى الثالثة ، وقيل ، فى

(١) وذلك فى رؤيا منامية وعلمه بلالاً .

(٢) ومن أهم أحداث السنة الأولى كذلك ، وفاة كل من أبى أمامة وأسعد بن زرارة رضى الله عنهما وفيها أخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار . انظر تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزى [ص ٤٤] . (٣) ترجمته فى الاستيعاب [٣/١٣١٠] .

(٤) انظر فى أحداث هذه السنة تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزى [٤٤] .

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة .

الرابعة، وقيل : قبل الهجرة ..

ثم غزا - ﷺ - «بنى قَيْنُقَاع» لأنهم أوّل مَنْ نقض العهد من اليهود ، قتلوا رجلاً من المسلمين ، فحاصروهم ، فألقى الله الرُّعْبَ في قلوبهم ، فنزلوا على حكمه ، فأراد قتلهم فاستوهمهم منه «عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ» وكانوا حلفاءه ، فوهمهم له وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات ، ومما أصاب - ﷺ - من سلاحهم درعه السُّفْدِيَّةُ بالمهمله ، ثم الفين المعجمة - قيل : وهى درع داود - عليه السلام - التى لَيْسَهَا حين قَتَلَ «جالوت» ثم غزوا السُّوَيْقَا هِى ذى القعدة ، ثم صلى صلاة العيد ، ثم ضَحَّى بِكَبْشٍ ، ثم بنى «عَلِيٌّ بِفَاطِمَةَ» - رضى الله عنهما - ، وتوفيت ابنته «رُقِيَّة» - رضى الله عنها - وفى السنة الثالثة - قال - ﷺ - «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ^(١)» وكان أبوه عربياً من نبهان ، حَالَفَ بنى النضير ، فشرف فيهم ، وتزوج بنت أبى الحقيق ، فأولدها كعباً ، وكان شاعراً ، فَهَجَا المسلمين بعد بدر وخرج إلى مكة وَحَرَّضَ قُرَيْشًا ، فانتدب له «محمد بن مسلمة» فى نَفَرٍ ، فقتله ، ثم غزا غزوة «الکدر» ، ويُقَالُ : «قرقرة الکدر» ، ويُقَالُ «بخران» يريد «بنى سليم» ، ثم غزا غزوة^(٢) «أنمار» ، ويُقَالُ «ذى أمر» ، فاتفقت قصه عثور ، ويُقَالُ : غورث ، ونَذِرْتُ به «غَطَفَانُ» فهربوا ، ولم يذكر أبو حاتم «ذات الرقاع» ونخلا ، لأنه يرى اتحادهما مع ما ذكر ، ثم سرية «الْقَرْدَةِ» بالقاف ، كسجده ، ماء بنجد ، وأميرها «زيدُ بنُ حارثة» ، فلقى عَيْرَ قريش فيهم «أبو سفيان بنُ حرب» معه فضة كثيرة ، وهى أعظم تجارتهم ، فأخذها ، ثم غزوة «أُحُد» فى شوال ، وقيل : سنة أربع ، واستشهد فيها من المسلمين مَنْ أَرَادَ الله شهادته ، منهم سَيِّدُ الشهداء «حمزة» عم النبى - ﷺ - وصَلَّى رسول الله - ﷺ - يومئذ

(١) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب المغازى . باب قتل كعب بن الأشرف الحديث [٤٠٣٧] ، ومسلم فى كتاب الجهاد والسير . باب قتل كعب بن الأشرف [١٤٢٥/٤] . كما أخرجه أبو داود فى الجهاد كلاهما عن جابر . وانظر دلائل النبوة لليهقى [١٩٥/٣] .
(٢) انظر تلقيح فهو أهل الأثر لابن الجوزى [٤٧] .

الظَهْرَ قَاعِدًا مِنَ الْجِرَاحِ ، وَالْمُسْلِمُونَ خَلْفَهُ قَعُودٌ ، ثُمَّ خَرَجَ - ﷺ - مُرْهَبًا لِعَدُوِّهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى حِمْرَاءِ الْأَسَدِ ، فَأَخَذَ فِي وَجْهِهِ ذَلِكَ «أَبَا غَزَّةَ الْجُمَحِيِّ» فَضَرْبَ عُنُقِهِ وَتَزَوَّجَ «حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ» (١) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي شَعْبَانَ - عَلَى الْأَصَحِّ - ، وَ«زَيْنَبُ بِنْتُ خُرَيْمَةَ» فِي رَمَضَانَ ، فَمَاتَتْ بَعْدَ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، وَوُلِدَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي مُنْتَصَفِ رَمَضَانَ ، وَعَلَقَتْ أُمُّهُ «بِالْحُسَيْنِ» - ﷺ - ، وَتَزَوَّجَ «عُثْمَانُ بْنُ مَالِكٍ» - ﷺ - أُمَّ كَلْثُومَ (٢) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَحُرِّمَتْ الْخَمْرُ ، وَقِيلَ : فِي الَّتِي بَعْدَهَا ، وَقِيلَ : بِلِ سَنَةِ ثَمَانَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - ، وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ فِي الْهَجْرَةِ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْهَا ، قُتِلَ الْقُرَاءُ بِبُئْرِ مَعُونَةَ ، ثُمَّ غَزَاةَ الرَّجِيعِ (٣) ..

مَوْضِعَ بَيْلِدِ هُذَيْلٍ فِي صَفَرٍ ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فِي الثَّانِيَةِ ، ثُمَّ غَزَاةَ بَنِي النَّضِيرِ ، وَقِيلَ : فِي الثَّالِثَةِ قَبْلَ أَحَدٍ ، وَقِيلَ : صَبِيحَةَ قَتْلِ كَعْبِ الْأَشْرَفِ ، جَاءَهُمُ النَّبِيُّ - ﷺ - فَهَمُّوا بِالْفِغْرِ بِهِ : فَأَتَاهُ الْخَبَرُ مِنْ السَّمَاءِ ، فَأَظْهَرَ أَنَّهُ يَقْضَى حَاجَةٌ ، وَرَجَعَ مُسْرِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَمَرَ بِحَرْبِهِمْ وَقَطَعَ النَّخْلَ وَالتَّحْرِيقَ ، وَحَاصَرَهُمْ سِتَّةَ لَيَالٍ ، فَسَأَلُوا أَنْ يَجْلُوا مِنْ أَرْضِهِمْ عَلَى أَنْ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ ، فَاحْتَمَلُوا إِلَى خَيْبَرَ وَالشَّامِ ، وَكَانَتْ أَشْرَافُهُمْ بَنُو الْحَقِيقِ ، وَحَيٍّ بْنُ أَخْطَبَ : فَسَارُوا إِلَى خَيْبَرَ فَدَانَ لَهُمْ أَهْلُهَا ، ثُمَّ كَانَتْ بَدْرُ الْمُوْعَدِ ، وَهِيَ بَدْرُ الثَّالِثَةِ ، ثُمَّ مَقَتَلُ «أَبِي رَافِعِ بْنِ سَلَامٍ» ، وَيُقَالُ : «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ» ، ثُمَّ رَجَمَ الْيَهُودِيِّينَ ، وَتَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ وَقِيلَ : فِي الثَّانِيَةِ ، وَفِيهَا كَانَتْ غَزَاةُ «ذَاتِ الرِّقَاعِ» عِنْدَ أَبِي إِسْحَاقَ ، وَقِيلَ : فِي الْخَامِسَةِ ، وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ بَعْدَ خَيْبَرَ ، لَمَّا صَحَّ مِنْ حُضُورِ : «أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ» - ﷺ - بِهَا وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ ، قَالَ فِي الْخُلَاصَةِ (٤) : وَلَا مَانِعَ مِنْ تَعْدَادِهَا وَفِي السَّنَةِ

(١) انظر تلقيح فهم أهل الأثر [٤٥] . (٢) السابق نفس الصفحة .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ، وصحيح البخاري ، وتلقيح فهم أهل الأثر .

(٤) انظر تلقيح فهم أهل الأثر لابن الجوزي [٤٩] والخلاصة للسمهودي .

الخامسة فكَّ سلمان الفارسي من الرِّقِّ ، ثم خرج إلى «دومة الجندل» :
ثم كُسِفَ القمر في جمادى الآخرة ، فصلَّى بهم - ﷺ - صلاة الكسوف
وجعلت اليهودُ يضربون بالطَّيَّاس ، ثم يقولون : سُحِرَ الْقَمَرُ (١) ؟

ثم وَقَدَ : «بلالُ بنُ الحارثِ المزني» (٢) فكان أول وافد مُسَلِّمٍ إلى
المدينة المنورة ، ثم قدم «ضمام بن ثعلبة» ، ثم غزوة «المُرَيْسِيع» في
شَعْبَانَ ، وفيها شعبان ، وفيها أنزلت آية التَّيْمُمِ بسبب الاحتباس لعقد
عائشة - رضی اللہ عنہا - والأشبه أنها «وبنى المصطلق» مُتَّحِدَتَان ، ثم
غزوة «الخنديق» : وقيل : في التي قبلها ، وتُسَمَّى غزوة «الأحزاب» ونزل
فيها صدرُ سورة «الأحزاب» وجعل المسلمون ظهورهم إلى سَلْعٍ والخنديق
بينهم وبين الكفار ولم يزل «حُيَّ بنُ أخطب» يَغْوِي بنى قريظة حتى
نقضوا العهد ، فاشتدَّ الأمرُ على المسلمين ، وكانوا ثلاثمائة ألف
والمشركون عشرة آلاف ، وكان الحصار في مدة عشرين يوماً فأمدَّ الله
المسلمين ونبيَّه - ﷺ - بجنود من الله بالملائكة والريح ، فهزم الله
الكفار وشتَّتَهُمْ وجعل كيدهم في نحورهم وقد كانوا جعلوا النساء
والذَّارِيَّ في الأطام ، وقوله - تعالى - : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾
[الأحزاب : ١٠] أي بنو قريظة ﴿ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ [الأحزاب : ١٠] (٣) أي
كفار قريش ومنَّ معهم من الأحزاب ، وقال - ﷺ - : لما هزم الله الكُفَّارَ
«لن تغزوكم قريش بعد عامكم» (٤) .

ثم غزوة «بنى قريظة» لما انصرف - ﷺ - من الخنديق ، جاءه جبريلُ
ظُهْرًا ، وهو - ﷺ - في المُتَفَسِّلِ قَدْ رَجُلٌ أَحَدُ شَقَى رَأْسَهُ عَلَى فَرَسٍ ،
وعليه اللامة وأثر الغبار ، فقال جبريلُ : ما وضعت الملائكة السلاح بعد ،
وما رجعت إلا من طلب القوم إن الله يأمرك بالمشير إلى بنى قريظة
فإني عامد إليهم فمزلزل بهم ، وأدبَر جبريلُ ومنَّ معه من الملائكة حتى

(١) السابق نفس الصفحة .

(٢) ترجمته في الاستيعاب في معرفة الأصحاب [١/١٨٣] . (٤) الآية من سورة الأحزاب .

(٤) انظر سيرة ابن هشام [٣/٢٠٦] ، ودلائل النبوة للبيهقي [٣/٤٥٨] .

سطع الغبار من زقاق «بنى غنم من الأنصار» ، فأمر بلال فأذن بالناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة ، فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة ، وقيل : خمسة عشر حتى أجهدهم الحصار ، فنزلوا على حكم «سعد بن معاذ» فحكم فيهم بأن يقتل الرجال وتُقسم الأموال وتُسبى الذرارى والنساء ، فقال - ﷺ

«قد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» (١) أى سموات .

فخذقت لهم خنادق بسوق المدينة وضربت أعناقهم فيها وفيهم عدو الله «حيى بن أخطب» وكانوا ستمائة ، ثم قسم أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين (٢) ، فكانت أول فء وقعت فيه السُّهُمان وأخرج منه الخمس ، واصطفى لنفسه - ﷺ - «ريحانة بنت عمرو بن خنافة» وأعتقها وتزوجها ، وماتت فى حياته ، ثم انفجر جرح «سعد بن معاذ» فمات شهيداً ، ثم كانت سرية «عبيد الله بن أنيس» إلى «عرنة» وأسلم «خالد بن الوليد» ، و«عمرو بن العاص» - رضى الله عنهما ، وتزوج - ﷺ - «زينب بنت جحش» ، وقيل فى الثالثة (٣) ، وبسببها نزلت آية الحجاب ، وفى السنة السادسة (٤) .. فى أولها - أتى «بثمامة بن أثال» (٥) أسيراً ، ثم كسفت الشمس ، ونزل حكم الظهار ، وقتل المشركون سرية «محمد بن مسلمة» فلم يفلت غيره ، ثم كانت سرية «على» - رضى الله عنه - فى مائة إلى «فدك» ، ثم سرية «عبد الرحمن بن عوف» (٦) إلى «دومة الجندل» ، ثم أجذب الناس فاستسقى النبی - ﷺ - فى رمضان بالمصلى فسقوا ، ثم أرسل «زيد بن حارثة» (٧) فى سرية «لواذى القرى» ، ثم كانت «الحديبية» ، ثم أغاروا على «لقاح» النبی - ﷺ - ، وكانت

(١) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد . باب إذا نزل العدو على حكم رجل ، ومسلم فى كتاب الجهاد . باب جواز قتال من نقض العهد .

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي [٤ / ١٨ ، ١٩] .

(٣) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزى [ص ٤٩] أحداث السنة السادسة .

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة . (٥) انظر ترجمته فى الاستيعاب [٢١٢/١] .

(٦) ترجمته فى الاستيعاب [٨٤٤/٢] . (٧) ترجمته فى الاستيعاب [٥٤٢/٢] .

ترعى بالغابة وما حولها ، فنذر بهم «سلمة بن الأكوع» فخلّصها وحده منهم ، وصار - ﷺ - حتى نزل الجبل من «ذى قرد» ، والذي فى صحيح مسلم أنها بعد الانصراف من «الحديبية» وأقام - ﷺ - عليه يوماً وليلة ، ثم كانت قصّة «العُرنَيْن» الذين اجْتَوُوا المدينة ، فبعثهم - ﷺ - على لِقَاحِهِ ، وكانت ترعى بالجمّأواتِ ، فقتلُوا الراعى واستاقوها ، فبعث فى طلبهم ، وهو بالغابة ، مرجعه من ذى قرد ، فخرجوا بهم نحوه فلقوه بالزغابة ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسملت أعينهم ، وصلبوا هناك ، ثم غزا - ﷺ - بنى المصطلق ، ومَرَّ فى انصرافه على المُرَيْسِع : المتقدمة فى الخامسة - لما ثبت فى الصحيح من تنازع «سعد بن معاذ» وقد مات فى الخامسة مع «سعد بن عباد» فى أصحاب الإفك ، وتزوج - ﷺ - جويرية بنت الحارث رئيس «بنى المصطلق» فأعتق الناس ما بأيديهم من أسْراهُمْ ، وفى هذه الغزوة قال «ابنُ أبى» لئن رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ ، وفُرِضَ الْحَجُّ فى هذه على الصحيح ، وقيل : قبل الهجرة ، وفى الخامسة ، أو فى الثامنة ، أو فى التاسعة ، وفى السنة السابعة (١) ، كتب - ﷺ - إلى الملوك ، وبعث إليهم رُسُلَهُ ، وكانت قصّة «أبى سفيان» مع «هرقل» وسَحَرَتُهُ يَهُودُ ، ثم كانت «خيبر» واستصفى - ﷺ - «صفية بنت حُيٍّ» من المغنم ، فأعتقها وتزوجها (٢) وأهديتْ إليه «مارية القبطية» (٣) وبغلتَه ذُلْدُلُ (٤) ، وسمّته اليهوديّة ، فففى عنها ، لكن قتلها قصاصاً لأجل أصحابه الذين أكلوا معه ، وماتوا ، ثم سار إلى «وادي القرى» فحاصر أهلَهُ ، وفى رجوعه - ﷺ - قصّة النَّوْمِ عن صلاة الصبح ، ورويت فى غزوة «تبوك» لما كان منها على ليلة ذاهباً ، وقيل : فى الرجوع منها ، ورويت فى الرجوع من «الحديبية» وجاءته «أم حبيبة بنت أبى سفيان» وتزوجها ، ثم كانت «عمرة القضية» ، وتزوج

(١) تلقح فهوم أهل الأثر [٥٠] . (٢) السابق نفس الصفحة .

(٣) انظر فى ذلك دلائل النبوة للبيهقى ، وكتب السيرة المطهرة .

(٤) تلقح فهوم أهل الأثر [٣٩] .

«ميمونة بنت الحارث» الهلالية - رضى الله عنها - ، وفى السنة الثامنة «غزوة مؤتة» ثم غزوة «الفتح» ثم «هوازن» ، ثم «الطائف» وولد ابنه «إبراهيم» من «مارية» عليهما السلام - وتوفيت ابنته «زينب» زوج «أبى العاص بن الربيع» ، وفى السنة التاسعة^(١) هجر - ﷺ نساءه شهراً ، وتتابعَت الوفود ، وأمر على الحج «أبا بكر الصديق» - ﷺ - ثم نزلت «براءة» فأرسل بها «علياً» - ﷺ - وفى العاشرة قُدم «عدى بن حاتم»^(٢) بوفد «طى» ثم وفد «بنى حنيفة» ثم وفد «غسان» ثم وفد «نَجْران» الذى كانت فيهم قصّة المباهلة ، ثم جاء جبريل يعلم الناس دينهم ، ثم غزوة «تبوك» آخر الغزوات ، وذكرها ابن اسحاق فى التاسعة ، ثم «حجة الوداع» ثم مرض - ﷺ - لعشر بقين من صفر على ما قاله أبو حاتم ، وتوفى - ﷺ - يوم الاثنين إجماعاً ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول - عند الجمهور - وذلك فى الحادية عشرة ، وقيل غير ذلك ، وصلى عليه - ﷺ - فى حجرته ، وقيل : فى الروضة - بغير إمام ، وفى مستدرک الحاكم - أنه - ﷺ - أوصى أن يُصلوا عليه أرسالاً بغير إمام ، ودُفن ليلة الأربعاء ، وقيل يومها ، وقيل : يوم الثلاثاء بعد أن عُرف الموتُ فى أظفاره - ﷺ .

قال فى الخلاصة^(٣) : اختلفوا فى دفنه - ﷺ - قال قائلون : ندَفَنُهُ فى مسجده ، وآخرون بالبقيع ، ثم اتفقوا على دفنه - ﷺ - ببيته فى محلّ وفاته - ﷺ - فَحُمِلَ بالفرّاش وحُفِرَ له - ﷺ - فى موضع الفرّاش ، لأن الله - تعالى - ما قبض رُوحه الشريفة المُقدّسة إلا فى أحبّ البقاع إليه - ﷺ - وزاده شرفاً وتعظيماً لديه - آمين .

وكان قد أوصى - ﷺ - فى مرضه بإخراج اليهود والنصارى من

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ، وسيرة ابن هشام ، ودلائل النبوة للبيهقى .

(٢) ترجمته [١٠٥٧ / ٣] فى الاستيعاب فى معرفة الأصحاب .

(٣) الخلاصة [١٥٦] . ووفاء الوفا للسهمودى .

جزيرة العرب ، ولم يتفرغ «أبو بكر الصديق» لإخراجهم ، فأجلاهم
«عمر» - رضي الله عنه - وهم زهاء أربعين ألفاً ، وفى آخر «المواهب اللدنية»^(١)
عن «جعفر بن محمد» عن أبيه قال : لما بقى من أجل رسول الله - ﷺ -
ثلاث ، نزل جبريلُ فقال :

«يا محمدُ إن الله تعالى - أرسلنى إليك - إكراماً لك ، وتفضيلاً لك
وخاصة يسألك عما هو أعلمُ به منك - يقولُ : كيف تجدُك» الحديث ،
إلى أن قال ، ثم أتاه مع ملك الموت إكراماً لنبيّه - ﷺ - ، وقال جبريل
له - ﷺ : «إن الله تبارك وتعالى - قد اشتاق إلى لقاءك ، قال - ﷺ -
فأمضْ يا ملك الموت إلى ما أمرت به ، فقال جبريل : يا رسول الله ﷺ -
هذا آخر مَوطئٍ من الأرض إنما كنت حاجتى من الدنيا ، فقبض رُوحه -
ﷺ - وفى البخارى من حديث عروة عن عائشة - رضى الله عنها -
قالت : كان رسول الله - ﷺ - وهو الصحيح - يقولُ :

«إنه لن يقبض نبيٌ قط حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يخفى
ويُخبر»

فلما اشتكى وحضره القبضُ ورأسه - ﷺ - على فخذ عائشة ،
غُشى عليه ، فلما أفاق شخص بصره إلى سقف البيت ، ثم قال «اللهم
الرفيق الأعلى»^(٢) .

وفى رواية أحمد - «الرفيق الأعلى فى الجنة مع الذين أنعم الله
عليهم من النبيين ، والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك
رفيقاً»

وفى رواية بن حبان عنها قالت :. أغمى على رسول الله - ﷺ - فلما

(١) المواهب اللدنية بالتح المحمدية [٣٦٨/٢] .

(٢) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب المغازى . باب مرض رسول الله ﷺ ووفاته حديث
[٤٤٣٥] .

أفاق قال : «أسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل وإسرافيل» (١) .

ولما اشتد به - ﷺ - الأمر ، وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ، ويقول «اللهم أعني على سكرات الموت» وفي رواية - فجعل يقول :

لا إله إلا الله إن للموت سكرات، (٢) .

قال بعض العلماء : وهذا الاشتداد لرفعة منزلته - ﷺ - وقيل : تلك السكرات سكرات الطرب للقاء الله - تعالى ، قال بلال وهو في سياق الموت :

واطرياه غداً ألقى الأحبة محمداً ، وصحبه ، فما بالك بقاء الله - تعالى - الرموف الرحيم ، وعنده لعبده مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولما تفشاه - ﷺ - الكرب - قالت فاطمة : رضی الله عنها : واكرب أبتاه ، فقال لها - ﷺ :

لا كرباً على أبيك بعد اليوم، (٣) .

وكان ابتداء مرضه صداعاً وحُمى شديدة لكمال الأجر ورفع مقامه - ﷺ .

وعن «عبد الله قال : دخلت على النبي - ﷺ - وهو يُوعَكُ ، فقلت : يا رسول الله إنك توعك وعكا شديداً ، قال :

«أجل . إني أوعكُ كما يوعك رجلان منكم، قلت : ذلك إن لك لأجرين، قال : «أجل ، كذلك ، مامن مسلم يُصِبهُ أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها» .

(١) أخرجه النسائي في الوفاة في السنن الكبرى ، وفي اليوم واليلة عن محمد بن علي ميمون . انظر تحفة الأشراف [٣٤٠/١٢] ، والبيهقي في دلائل النبوة [٢١٠/٧] ، وكذا ابن حبان .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري في كتاب المغازي . باب مرض رسول الله ﷺ ووفاته حديث [٤٤٤٩] .

(٣) صحيح . البيهقي في دلائل النبوة [٢١٢/٧] .

وعن ابن عباس -رضى الله عنهما :

لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ فاطمة ، وقال :
«نَعِيتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - نَفْسَهُ ، فَبَكَتْ : قَالَ : ﴿لَا تَبْكِي فَإِنَّكَ أَوَّلُ
أَهْلِ لِحْوَقِ بَنِي﴾ ، فَضَحَكَتْ وَاخْبَرَهَا أَيْضاً - ﷺ - «أَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» (١) .

وفى المواهب اللدنية ، ويروى أنه كان عنده - ﷺ - فى مرضه سبعة
دنائير ، فكان يأمرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه ،
فدعا بها ، فوضعها فى كفه وقال : « مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّهُ
وعنده هذه ، ثم تصدق بها كُلُّهَا » (٢) .

وعن سيف بن عمر فى كتاب «الفتح» كما فى المواهب اللدنية (٣) ...
لَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَزْدَادُ وَجْعاً طَافُوا بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ،
فَدَخَلَ الْعَبَّاسُ ، فَأَعْلَمَهُ - عليه الصلاة والسلام - بمكانتهم وإشفاقهم ،
ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الْفَضْلُ ، فَأَعْلَمَهُ بِمَثَلِ ذَلِكَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلَى - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ - كَذَلِكَ ، فَخَرَجَ - ﷺ - مَتَوَكِّئاً عَلَى «عَلِيٍّ» وَالْفَضْلِ ،
وَالْعَبَّاسِ أَمَامَهُ ، وَالنَّبِيُّ - ﷺ - مَعْصُوبُ الرَّأْسِ يَخْبِطُ بِرِجْلَيْهِ ، حَتَّى
جَلَسَ عَلَى أَسْفَلِ مِرْقَاةٍ مِنَ الْمَنْبَرِ ، وَثَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَاتَّسَى
عَلَيْهِ ، وَقَالَ :

«أَيُّهَا النَّاسُ بَلِّغْنِي أَنْتُمْ تَخَافُونَ مِنْ مَوْتِ نَبِيِّكُمْ ، هَلْ خَلَدَ نَبِيٌّ قَبْلِي
فِي مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَأَخْلَدَ فِيكُمْ ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِحَقِّ بَرِّئِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِحَقِّ بَنِي ،
فَأَوْصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْراً وَأَوْصِي الْمُهَاجِرِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَإِنْ
اللَّهُ - تَعَالَى يَقُولُ :

(١) صحيح . البيهقى فى دلائل النبوة [١٧٩/٧] .

(٢) صحيح . أخرجه البخارى فى التفسير . باب تفسير سورة النصر [٤٩٧٠] .

(٣) انظر المواهب اللدنية بالمنح المحمدية [٣٥٨/٢] ، وانظر فى تركة النبى ﷺ البخارى فى
الصحيح حديث [٣٠٩٧] ومسلم فى صحيحه [١٢٥٦/٢] وغيرهما من كتب السنة .

﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر : ١، ٢] إلى آخرها ، وإن الأمور تجري بإذن الله - ولا يحملنكم استبطاء أمرٍ على استعجاله ، فإن الله - عَزَّوَجَلَّ - لا يَعْجَلُ بِعَجَلَةٍ أَحَدٍ ، وَمَنْ غَالِبَ اللَّهُ غَلِبَهُ ، ومن خادع الله خدعه ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد : ٢٢]

وأوصيكم بالأنصار خيراً ، فإنهم الذين تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ من قبلكم ، أن تُحَسِّنُوا إِلَيْهِمْ ، أَلَمْ يُشَاطِرُواكُمْ فِي الثَّمَارِ ؟ أَلَمْ يُوسِعُوا لَكُمْ فِي الدِّيَارِ ؟ أَلَمْ يُوَثِّرُواكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِهِمُ الْخَصَاصَةُ أَلَمْ وَلِي أَنْ يَحْكَمْ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَلَيقِبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَلِيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ، أَلَا وَلَا تَسْتَاثِرُوا عَلَيْهِمْ ، أَلَا وَإِنِّي فَرَطُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا حَقُّونَ بِي ، أَلَا وَإِنْ مَوَّعَكُمْ الْحَوْضُ ، أَلَا فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَى غَدَا ، فَلْيَكْفُفْ يَدَهُ وَلِسَانَهُ إِلَّا فِيمَنْ (...) (١) .

يا أيها النَّاسُ إن الذُّنُوبَ تُغَيِّرُ النِّعَمَ وتَبْدِلُ الْقِسْمَ ، فإذا بَرَّ النَّاسَ بَرِيئُهُمْ أَثْمَتُهُمْ ، وإذا فَجَرَ النَّاسَ عَقُّوهُمْ (٢) .

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرَّ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَالْعَبَّاسُ بِمَجْلَسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ ، فَقَالَا : مَا يُبْكِيكُمْ ؟ فَقَالُوا : ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ - ﷺ - مِنَّا ، فَدَخَلَ أَحَدُهُمَا عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، فَخَرَجَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ فَصَعَدَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

«أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشِي وَعَيْبَتِي ، وَقَدْ قَضُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَيَقِي الَّذِي لَهُمْ ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ» (٣) .

(١) ساقط من المخطوط ويياض به .

(٢) المواهب اللدنية بالمخ الحمدية للقسطلاني [٣٥٩/٢] وما بعدها .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

وعن أم سلمة - رضى الله عنها - كان ﷺ - فى آخر عمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجئ إلا قال «سبحان الله ويحمده ، أستغفر الله واتوب إليه، فقلت له : يا رسول الله إنك تدعو بدعاء لم تكن تدعوه قبل اليوم ؟ فقال :

«إن ربي أخبرني أنني سأرى علما فى امتي ، وأنى إذا رأيته ، أسبح بحمده ، وأستغفره ، ثم تلى « إذا جاء نصرُ الله والفتح ، إلى آخرها .

قال فى المواهب (١) : وأول ما أعلم الله النبىء - ﷺ - من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة «إذا جاء نصرُ الله والفتح» فإن المراد من هذه السورة ، أنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلادَ ودخل الناسُ فى دينكم الذى دعوتهمُ إليه أفواجاً ، فقد اقترب أجلُك فتهايا للقائنا بالتحميد وبالأستغفار ، فإنه قد حصل منك ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ ، وما عندنا خيرُ من الدنيا ، فاستعدَّ للنقلة إلينا .

وقد قيل : هى آخرُ سورة نزلت من القرآن (٢) ، عاش بعدها واحداً وثمانين يوماً ، وقيل : تسع ليالٍ ، وقيل : سبعاً ، وقيل : ثلاثاً .

وعن جابر - رضى الله عنه - لما نزلت سورة «النصر» قال النبىء - ﷺ - لجبريل : «نُعيت إلى نفسى» فقال له جبريلُ - عليه السلام - « وللآخرة خير لك من الأولى» .

وتعبد - ﷺ - حتى صار كالشن البالى ، وكان - ﷺ - يعرضُ القرآن كُلَّ عام على جبريل مرةً ، فعرضه ذلك العام مرتين (٣) ، وكان - ﷺ - يعكفُ العشرة الأواخر من رمضان كل عام ، فاعتكف فى ذلك العام

(١) المواهب اللدنية [٣٦٩/٢] وما بعدها .

(٢) وعلى هذا أكثر من كتبوا فى علوم القرآن كالسيوطى فى الإتقان والزرقاتى فى مناهل العرفان ، والزرخشى فى البرهان فى علوم القرآن .

(٣) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن . باب كيف كان جبريل يعرض القرآن على النبى ﷺ حديث [٤٩٩٨] .

عشرين^(١) ، وأكثر - ﷺ - من الذكر والاستغفار ، وصلى رسول الله ﷺ - على قتلى أحد كصلاته على الميت بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع - ﷺ - المنبر فقال :

«إني بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض ، وإنني لأنظر إليه ، وأنا في مقامى هذا ، وإنى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، وإنى لست أخاف عليكم أن تُشركوا بعدى ، ولكنى أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها ، فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم»^(٢) .

من رواية «عقبة بن عامر» ، وعن أبى سعيد الخدرى ، أن رسول الله ﷺ - قبل أن يموت بخمس ليالٍ جلس على المنبر فقال :

«إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء ، وبين ما عنده ، فبكى أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - وقال : يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمّهاتنا قال : فمجبنا ، وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ ، يُخبرُ رسول الله - ﷺ - عن عبد خيره بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله ، وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمّهاتنا .. قال : فكان رسول الله - ﷺ - هو المُخبرُ ، وكان أبو بكر - رضى الله عنه - أعلمنا به - ﷺ - فقال النبى - ﷺ :

«إن أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ، فلو كنتُ مُتخذاً من أهل الأرض خليلاً لا تأخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ، لا يبقى فى المسجد خوخة إلا سُدَّ إلا خوخة أبى بكر الصديق - رضى الله عنه -»^(٣) .

وما زال - ﷺ - يُعرض باقترب أجله فى آخر عمره ، فإنه لما خطب

(١) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب الاعتكاف . باب الاعتكاف فى العشر الأوسط من رمضان حديث [٢٠٤٤] ، وأبو داود فى فى الصوم . باب أين يكون الاعتكاف ؟ حديث [٢٤٦٦] ، وابن ماجه فى كتاب الصيام . باب ما جاء فى الاعتكاف [١٧٦٩] .

(٢) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق . باب فى الحوض [٦٥٩٠] .

(٣) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار . باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة . باب من فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

فى حجة الوداع قال - ﷺ - : «خُذُوا عَنى مَناسِكُم فلعلى لا انقاسم بعد عامى هذا»^(١) وطفق يُودع الناس ، فقالوا : هذه حجة الوداع ، ولما رجع جمع الناس فى طريقه بماء يُدعى حُمًا فخطبهم وقال : «أيُّها الناسُ إنما انا بشرٌ مثلكُم يوشك أن يأتينى رسولُ ربي فأجيبُ ثم حض على التمسك بكتاب الله ، ووَصَى بأهل بيته» .

وكان ابتداء مرضه فى بيت «ميمونة» أو «زينب» أو «ريحانة» يوم الاثنين أو السبت أو الأربعاء ومدة المرض ، قيل : ثلاثة عشر يوماً ، أو أربعة عشر ، أو اثنى عشر أو عشرة .

وكان فى أواخر شهر «صفر» ، وعن عائشة ، لما اشتد وجعه وثقل - ﷺ - استأذن أواجه أن يُمرَّض فى بيتى ، فأذن له ، ﷺ - فخرج وهو بين العباس ابن عبد المطلب ، وعلى^(٢) - رضى الله عنهما ، وفى رواية بن الفضل بن العباس ورجل آخر وهو على وفى أخرى بين رجلين أحدهما أسامة ، وفى رواية الدَّار قطنى ، أسامة والفضل ، وفى رواية ، بين بريدة ونويه اسم أمه أو عبد ، وفى رواية ابن سعد من وجه آخر ، الفضل وثوبان ، والجمع بين الروايات على صحتها بأن خروجه - ﷺ - تعدد فيتعذر من اتكا عليه - ﷺ - وكان دخوله - ﷺ - بيت عائشة - رضى الله عنها - يوم الاثنين ، ووفاته - ﷺ - يوم الاثنين الذى يليه ، وكان ﷺ - يقولُ ويكرر «أين أكون غداً»^(٣) حرصاً على بيت عائشة - رضى الله عنها .

فلما كان يوم عائشة - رضى الله عنها - أذن له أزواجه - ﷺ - أن يمرض فى بيت عائشة وقلن ، قد وهبنا أيماننا لأختنا عائشة - رضى الله عنها .

(١) صحيح . وهو جزء من خطبة الوداع فى الحجة التى حجها النبى ﷺ .

(٢) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب المغارى . باب مرض النبى ﷺ ووفاته [٤٤٤٢] .

(٣) صحيح . أخرجه البخارى فى باب مرض النبى ﷺ ووفاته .

وعن عائشة أتى رسول الله - ﷺ - ذات يوم من جنازة بالقيع ، وأنا أجدُّ صُداعاً فى رأسى ، وأنا أقول : وا رأساه . قال - ﷺ - « بل أنا وا رأساه ، ثم قال - ﷺ - « ما ضرَّكَ لو مت قَبْلَى ، فغسلتكَ ، وكفنتُكَ ، وصليتُ عليك ، ودفنتُكَ » (١) .

فقالت عائشة : - - رضى الله عنها - لكانى بك ، والله لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتى فأعرستُ فيه ببعض نسائك ، فتبسم رسولُ الله - ﷺ - - ثم بدا فى وجهه الذى مات فيه - ﷺ - .

وفى رواية البخارى (٢) .. قالت عائشة : وا رأساه ، فقال ﷺ :

«ذاك لو كان وأنا حىّ فأستغفره ، وأدعوك ، فقالت عائشة : وا ثكلياه والله - إنى لأظنُّكَ والله تُحبُّ موتى ، فلو كان ذاك ، لظلت آخر يومك معرساً ، ببعض أزواجك ، فقال - ﷺ - :

«بل أنا وا رأساه ، لقد هممت أن أرسل إلى أبى بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون ، أو يتمنى المتمنون ، ثم قلتُ يا بى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون ،

فإن قيل : إنَّ شكوى العبد ربه مكروهة ، وعن طاوس أنين المريض شكوى ، وقال جماعة : إنَّ تأوُّه المريض مكروه . الجوابُ : كما فى المواهب (٣) ، أن النووى تعقبه ، وقال : هذا ضعيف أو باطل ، فإن المكروه - ما ثبت به نهى مقصود ، واحتج بحديث عائشة هذا ، ثم قال : فلعلهم أرادوا خلاف الأولى ، فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى ، وقال - فى الفتح - الحافظ بن حجر (٤) : ولعلهم أخذوه من كون كثرة الشكوى تدلُّ على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضاء ، وتورث شماتة

(١) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب المرضى . باب ما رخص للمريض أن يقول : إنى رجعت ، أو : وا رأساه .. حديث [٥٦٦٦] . (٢) السابق نفس الباب .

(٣) انظر المواهب اللدنية بالمنح المحمدية [٣٥٧/٢] وما بعدها .

(٤) فتح البارى لابن حجر [١٢٣/١٠]

الأعداء ، وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله ، فلا بأس به اتفاقاً ، فليس ذكر الوجع شكاية ، فكم من ساكت وهو ساخط ، وكم من شاك وهو راضٍ عن الله تبارك وتعالى - فالعمول في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان ، وعن فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة قالت : أتيتُ النبي - ﷺ - في النساء نعوذه ، فإذا سقاء تقطر عليه من شدة الحمى ، فقال - ﷺ :

«إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وكان بين يديه - ﷺ - علبة أو ركوة فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسحُ بها وجهه يقول : «لا إله إلا الله إن للموت سكرات» ، وعن عروة أنه - ﷺ - قال :

«لا أزال أجد ألم الطعام الذي أكلتُ بخبير ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم» وفي رواية «ما زالت أكلة خبير تعادني» (١) .

قد كان - ﷺ - إذا اشتكى . نفث على نفسه بالمعوذات ومسح يديه . وعن عائشة - رضي الله عنهما - قالت : دخل عبد الرحمن أخى على النبي - ﷺ - وأنا مُسندته إلى صدرى ، ومع عبد الرحمن سواك رطب يَسْتَنُّ به ، فأبده رسول الله - ﷺ - بصره فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ، ثم دفعته إلى رسول الله - ﷺ - فاستنَّ به ، فما رأيته استنَّ استناناً قط أحسن منه .. قولها «فأبد» بتشديد الدال - أى مدَّ نظرة - ﷺ - لرغبته في السواك ، وقولها «فقضمته» بكسر الضاد المعجمة ، أى لطوله وإزالة المكان الذى تسوك به عبد الرحمن ، وقولها «طيبته» أى لينته بالماء ، وفي رواية .

«إن من نعم الله على أن الله جمع بين ريقى وريقه ﷺ» عند موته . دخل على عبد الرحمن ويده سواك وأنا مسندة رسول الله - ﷺ - فرأيت

(١) صحيح . فتح البارى لابن حجر [١٣١/٨] ، والبيهقى فى دلائل النبوة [٢٦٤/٤] .

ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السَّوَّاء ، فقلت : آخذه لك ، فأشار برأسه أن نعم .

وفى رواية ، وفى يده جريدة رطبة ، فنظر إليه رسول الله - ﷺ - فظننت أن له بها - ﷺ - حاجة ، فأخذتها فمضغت رأسها ، ونفضتها ودفعتها إليه - ﷺ - فاستنَّ بها كأحسن ما كان مستنّاً ، ثم ناولنيها ، فسقطت يده ، أو سقطت من يده . فجمع الله بين ريقى وريقه ، - ﷺ - فى آخر يوم من الدنيا ، وأول يوم من الآخرة^(١) .

وكانت عائشة - رضى الله عنها - أحب النساء إليه - ﷺ - ومن الرجال أبوها الصديق - ﷺ - وعن عائشة - رضى الله عنها - أنه ﷺ - قال :

«أهريقوا على من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن ثعلباً أعهد إلى الناس، فأجلسناه فى مخضب لحفصه زوج النبى - ﷺ - ثم طفقنا نَصُبُ عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا ، أن قد فعلتن»^(٢) . قيل : إن الحكمة فى العدد سبع ، أن لها خاصية فى دفع السمّ والسحر^(٣) ، وكانت على رسول الله - ﷺ - قطيفة ، فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها ، ف قيل له فى ذلك ، فقال : «إنا كذلك يشد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر»

وقالت عائشة : ما رأيت أحداً كان أشدَّ عليه الوجع من رسول الله - ﷺ - وقد لدَّوه فى هذه المرضة لكونه كان يغمى عليه - ﷺ - ويفيق ، وذلك أنهم أذابوا قسطاً مع زيت ولدَّوه به ، واللدود - الدَّواء - يجعل فى جانب الفم ، فلما أفاق - ﷺ - قال : «ألم أنهكم أن تلدؤنى، فقالوا : قلنا : كراهية المريض للدَّواء ، فقال - ﷺ - «تأديبا لهم، لئلا يعودوا لا

(١) تاريخ الطبرانى [١٩٩/٣] ، وسيرة ابن هشام [٣٧١/٢] .

(٢) تاريخ الطبرانى [١٨٩/٣] ، وسيرة ابن هشام [٣٦٨/٢] ، والمخضب : إناء يُغتسل فيه .

(٣) ليس هناك ما يدل على صحة هذا القول .

يبقى أحد في البيت إلا لدُّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم» (١) .

قيل : وإنما كره اللدود مع أنه - ﷺ - كان يتداوى ، لأنه تحقق - ﷺ - أنه راجع إلى ربّه في مرضه هذا ، ومنّ تحقق ذلك كره له التداوى ، وقيل : كان ذلك قبل التخيير ، وقبل التحقق ، وإنما أنكر ذلك لعدم ملائمته لدائه ، وهم ظنوا أن به ذات الجنب ، ولم يكن به ذلك ، لأن الله سبحانه - عصمه من ذلك ، كما في رواية ابن سعد فلما أفاق قال : «كنتم ترون أن الله يُسلط على ذات الجنب ، ما كان الله ليجعل لها على سلطاناً» (٢) .

الحديث .. فإن قيل روى أبو يعلى عن عائشة - رضی الله عنها - أن النبي - ﷺ - مات من ذات الجنب فالجواب على صحته أن ذات الجنب تُطلق بإزاء مريضين أحدهما حارٌّ يعرض في الغشاء المُستَبطن وهذا هو المنفى عنه - ﷺ - والآخر - ریح محتقن بين الأضلاع ، وهذا ليس فيه محذور وما روى الحاكم في المستدرك ، ذات الجنب من الشيطان ، فالمراد الأول ، كذا في المواهب اللدنية وفي هذه الموضة ، قال عمر - رضي الله عنه - «حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ مَا أَرَادَ - ﷺ - أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ كِتَابًا بِالْحَدِيثِ ، فِي الْبَخَارِيِّ (٣) ، قَالَ النَّوَوِيُّ : اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ قَوْلَ عُمَرَ - رضي الله عنه - «حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ» .. مِنْ قُوَّةِ فَهْمِهِ وَدَقِيقِ نَظَرِهِ لِأَنَّهُ - رضي الله عنه - خَشِيَ أَنْ يَكْتُبَ أُمُورًا رُبَّمَا عَجَزُوا عَنْهَا فَيَسْتَحِقُّوا الْعُقُوبَةَ لَكُونَهَا مَنْصُوصَةً ، وَأَرَادَ عُمَرُ - رضي الله عنه - أَنْ لَا يَنْسُدَ بَابَ الْجَاهِدِ عَلَى الْعُلَمَاءِ ، وَفِي تَرْكِهِ - ﷺ - الْإِنْكَارَ عَلَى عُمَرَ إِشَارَةً إِلَى تَصْوِيهِهِ ، وَأَشَارَ - رضي الله عنه - بِقَوْلِهِ «حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ» إِلَى قَوْلِهِ - تعالى - ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية [٣٧٢/٢] .

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية [٣٧٣/٢] .

(٣) انظر البخاري في كتاب المغازي [٤٤٣١] ، ومسلم في كتاب الوصية [١٢٥٧/٣] .

يعارض ذلك فى قول ابن عباس - رضي الله عنه - «الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله - ﷺ - وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب» فالجواب ... أن عمر - رضي الله عنه - كان أعلم وأفقه منه قطعاً ، ولا يقال أن : ابن عباس - رضى الله عنهما - لم يكتب بالقرآن العظيم مع أنه حبر القرآن، وأعلم الناس بتفسيره^(١) وتأويله ، ولكنه قال ذلك أسفاً على ما فاته من البيان بالتصميم عليه لكونه أولى من الاستبطاط - والله أعلم - ولما اشتد به - ﷺ - وجعه قال :

«مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة : رضى الله عنها لئلا يتشائم الناس بأبيها بعده - ﷺ - إن أبا بكر رجلٌ أسيف وفى رواية رقيق : إذا قام مقامك لا يُسمع الناس من البكاء ، قال ﷺ «مروا أبا بكر فليُصل بالناس، فعادته مثل مقاتلتها ، فقال :

«إِن كُنْ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ فليُصَلَّ بالناس»^(٢) وأراد - ﷺ - إنكن صواحيبات يوسف أى - تظهرن خلاف ما تُبطن ، والخطابُ وإن كان بلفظ الجمع ، فالمراد به ، واحدة ، وهى عائشة ووجه المشابهة فى ذلك ، أن «زليخا» استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة ومرادها أن ينظرن إلى حُسْن يوسف - عليه السلام - فيعذرنها فى محبتها ، وأن عائشة - رضى الله عنها - أظهرت أسف وحُزن ورقة أبيها وأنه لا يُسمعُ الناس لذلك ، ومرادها أن لا يتشائم الناس به ، وقد صرَّحتُ بذلك كما فى البخارى فى باب وفاته - ﷺ - «وكنْتُ أرى أن لا يقوم أحدٌ مقامه إلا تشائم الناس به» ، قيل : إن الصديق أبا بكر - رضي الله عنه - صلى بالناس سبع عشرة صلاة .

وعن أنس بن مالك : أن المسلمين بينما هم فى صلاة الفجر يوم

(١) انظر رأى الامام النووى فى دلائل النبوة للبيهقى [١٨٢/٧] .

(٢) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب الأذان . باب أهل العلم والفضل أحق بالإمام الحديث رقم [٦٧٨] ومسلم فى كتاب الصلاة . باب استخلاف الإمام [٣١٦/١] .

الاثنين ، وأبو بكر - ﷺ - يصلى بهم لم يفجأهم إلا رسول الله - ﷺ -
وقد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم فى صفوف الصلاة ، ثم
تبسم يضحك - ﷺ - فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف ، وظن
أن رسول الله - ﷺ - يريد أن يخرج إلى الصلاة ، وهم المسلمون أن
يفتتنوا فى صلاتهم فرحاً برسول الله - ﷺ - فأشار إليهم بيده - ﷺ -
- أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل حجرة وأرخى الستر ، فتوفى من يومه .

قالت عائشة : - رضى الله عنها - توفى رسول الله - ﷺ - فى بيتى
فى يومى ، وبين سَحْرَى ونَحْرَى ، وفى رواية بين حاقنتى وذاقنتى ،
والمراد أن رأسه - ﷺ - كان بين صدرها وحنكها - رضى الله عنها -
ولا يعارضه ما روى بخلاف هذا فإنه ضعيف ، لا أصل له .

قال الإمام الحاكم والسُّهَيْلى : كان أول كلمة تكلم بها رسول الله -
ﷺ - وهو مُسْتَرْضِع عند حليلة «الله أكبر» وآخر كلمة قالها : «جلال
ربى الرَفِيع اللهم الرفيق الأعلى»

فلما توفى - ﷺ - جاءت التعزية من الخضر^(١) - عليه السلام -
سمعوا صوتاً من ناحية البيت «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله
وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما تُوفون أجوركم يوم القيامة» إن فى
الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ، ودركاً من كل فائت ،
فبالله فَتَقُمُوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته .

رواه البخارى فى دلائل النبوة وذكره أيضاً فى الإحياء ، عن ابن عمر
- رضى الله عنهما - وعن أنس - رضي الله عنه .

(١) صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب الأذان . باب من صلى بالناس ، وهو لا يريد إلا أن
يعلمهم صلاة النبى ﷺ حديث [٦٨٠] .

(٢) هذا كلام لا أصل له ، فقد تقرر فى الأحاديث والآثار الصحيحة أن الخضر قد مات ، وأنه
ليس بحي كما يقرر المتصوفة . وعلى هذا فالأثر هنا غير مقبول .

لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - اجتمع أصحابه حوله يبكون ، فدخل عليهم رجلٌ طويل شعر المنكبين فى إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله - ﷺ - حتى أخذ بعضادتي باب البيت ، فبكى على رسول الله - ﷺ - ثم أقبل على أصحابه - ﷺ - ورضى الله عنهم - فقال إن فى الله عزاء من كل مصيبة ، وعوضاً من كل فائت ... الحديث ، وفيه «ثم ذهب الرجل ، فقال أبو بكر - رضى الله عنه - على بالرجل ، فتظفروا يميناً وشمالاً فلم يروا أحداً ، فقال أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - لعل هذا الخضر - عليه السلام - جاء يعزينا» (١) ... رواه ابن أبى الدنيا أيضاً من حديث على - رضى الله عنه .

وذكره الشافعى - رضى الله عنه - فى الأم عن على بن الحسين ، مرسلأ ، ولم يذكر الخضر - عليه السلام .

ولما توفى - ﷺ - كان أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - غائبا بالسُّنْح (٢) من العالية عند زوجته بنت خارجه ، وكان - ﷺ - قد أذن له فى الذهاب ، فسل عمرُ بن الخطاب سيفه وتوعد من يقول : مات رسول الله - ﷺ - ، وكان يقول : إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى - عليه السلام - فلبث عن قومه أربعين ليلة ، والله إنى لأرجو أن يقطع أيدى ، رجال وأرجلهم أى - من المنافقين ، فأقبل أبو بكر من السُّنْح حين بلغه الخبر إلى بيت عائشة ، فدخل ، فكشف عن وجه رسول الله - ﷺ - فجتا يُقبله ويبكى ، ويقول : تُوفى ، والذى نفسى بيده صلوات الله عليك يا رسول الله : ما أطيبك حياً وميتاً (٣) ذكره الطبرى فى الرياض

وعن عائشة - رضى الله عنها - أقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل ، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة

(١) موضوع . بهذا اللفظ ، ورواية الشافعى فى الأم ضعيفة جداً .

(٢) السُّنْح : موضع فى أعالي المدينة ، وفيه بيت أبى بكر الصديق رضوان الله عليه .

(٣) سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبرانى ، وسيل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد .

- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ مُسَجًى بِبِرْدَةٍ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَاكْبَأَ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ بَكَى ، وَقَالَ : يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّى لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَيْنِ ، أَمَا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا (١) ..

وَأَخْرَجَ السَّيُوطَى فِي آخِرِ كِتَابِهِ «الْخَصَائِصَ الْكُبْرَى» (٢) عَنِ الْفَضْلِ ابْنِ الْعَبَّاسِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «شَدُّوا رَأْسِي لَعَلِّي أَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ» ، فَشَدَّدَتْ رَأْسَهُ بِعَصَابَةٍ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ يَهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى قَعَدَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، ثُمَّ قَالَ :

«أَمَّا بَعْدُ .. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ دَنَى مِنْكُمْ خُضُوقِي مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ ، أَلَا فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرًا ، فَلَيْسَتْ قَدْ ، وَمَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَهُ مَالًا فَهَذَا مَالِي فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عَرْضًا فَهَذَا عَرْضِي فَلَيْسَتْ قَدْ وَلَا يَقُولُنَّ قَائِلُ أَخَافُ الشُّحْنَاءَ مِنْ قَبْلِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِي وَلَا مِنْ خَلْفِي ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا مَنْ أَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا فَلْيَقِمِ ادْعِ اللَّهَ لَهُ» ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَمُنَافِقٌ ، وَإِنِّي لَبَخِيلٌ ، وَإِنِّي لَجَبَانٌ ، وَإِنِّي لَنُؤُومٌ وَإِنِّي لَكَاذِبٌ . فَقَالَ - ﷺ - «اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ إِيْمَانًا وَصِدْقًا ، وَأَذْهَبْ عَنْهُ النَّوْمَ ، وَسَخِّ نَفْسَهُ ، وَشَجِّعْ جَبْنَهُ» ، قَالَ الْفَضْلُ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْغَزْوِ وَمَا مَعَنَا رَجُلٌ أَسْخَى مِنْهُ نَفْسًا ، وَلَا أَشَدَّ بَأْسًا وَلَا أَقْلَ نَوْمًا ، وَقَامَتْ امْرَأَةٌ فَأَوْمَأَتْ بِأَصْبَعِهَا إِلَى لِسَانِهَا ، فَقَالَ انْطَلِقِي إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى أَتِيكَ» ، ثُمَّ أَتَاهَا ، فَوَضَعَ قَضِيْبًا عَلَى رَأْسِهَا ، ثُمَّ دَعَا لَهَا قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَإِنْ كُنْتُ لَأَعْرِفُ دَعْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِيهَا : إِنْ كَانَتْ لَتَقُولَ لِي : يَا عَائِشَةُ أَحْسِنِي صَلَاتَكَ (٣) .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي الْحَوِيرِثِ ، أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ يَقُولُ

(١) الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ [٢١٥/٧] . بَابُ مَا يُؤَثِّرُ عَنْهُ ﷺ مِنْ أَلْفَاظِهِ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ .

(٢) انْظُرِ الْخَصَائِصَ الْكُبْرَى لِلْسَّيُوطَى .

(٣) ضَعِيفٌ : ابْنُ سَعْدٍ فِي الْعِلَقَاتِ ، وَأَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ .

«يَانْفَسُ مَا لَكَ تَلَوِّذِينَ كُلِّ مَلَاذٍ، وَأَنَّهُ أَتَاهُ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِالسَّلَامِ مِنْ رَبِّهِ - سَبَّحَانَهُ يُخَيِّرُهُ - ﷺ - فَقَالَ - ﷺ - : «ذَلِكَ إِلَى رَبِّي يَصْنَعُ بِي مَا شَاءَ»، وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : لَمَّا حَضَرَتْهُ - ﷺ - الْوَفَاةُ «جَعَلَ - ﷺ - يَمُدُّ يَدَهُ ، وَيَقُولُ : «يَا جَبْرِيلُ أَيْنَ أَنْتَ» ، وَهُوَ يَقْبِضُهَا وَيَبْسِطُهَا ، فَلَقَدْ سَمِعْتُ مَا لَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ مِنْ جَبْرِيلَ ، وَهُوَ يَقُولُ : لَبَّيْكَ (١) » .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنْ كَعَبَ الْأَحْبَارُ قَدَمَ زَمَنِ عَمْرِو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ : سَلَّ عَلَيَّا ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ :

الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ ، فَقَالَ كَعَبُ : كَذَلِكَ آخِرُ عَهْدِ الْأَنْبِيَاءِ ..

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ آخِرَ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ .. الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (٢) ، وَمَا زَالَ يَفْرَغُ بِهَا فِي صَدْرِهِ ، وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانَهُ - ﷺ - ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ...

وَقَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : وَلَمَّا خَرَجَتْ رُوحُهُ وَنَفْسُهُ الشَّرِيفَةُ الْمُقَدَّسَةُ ، خَرَجَتْ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ لَمْ أَجِدْ رِيحاً قَطَا أَطْيَبَ مِنْهَا - ﷺ - ، وَوَضَعَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَدَهَا عَلَى صَدْرِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَفَاحَ فِي يَدَهَا رِيحُ الْمِسْكِ ، قَالَتْ : فَمَرَّ بِي جُمُعٌ أَكَلُ وَأَتَوَضَّأُ مَا يَذْهَبُ رِيحُ الْمِسْكِ مِنْ يَدِي .

وَلَمَّا شَكُوْا فِي مَوْتِهِ - ﷺ - أَدْخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْسَ يَدَهَا ، فَوَضَعَتْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ - ﷺ - فَقَالَتْ : قَدْ تَوَفَّى ، قَدْ رَفَعَ الْخَاتَمَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ - ﷺ - فَكَانَ هَذَا الَّذِي عَرَفَ مَوْتَهُ - ﷺ - ، وَغَسَلَهُ - ﷺ -

(١) إسناده منقطع . البيهقي في دلائل النبوة [٢١٠/٧] .

(٢) ابن ماجه في الجنائز من حديث أنس ، وفي الوصايا . باب هل أوصى رسول الله ﷺ حديث [٢٦٩٧] . وإسناده حسن .

على بوصية منه - ﷺ - أن لا يغسله غيره ، كما رواه البيهقي وابن سعد والفضل أخذ بحضنه يقول أعجل يا على انقطع ظهري ، وغسلوه في ثيابه - ﷺ - لأنهم لما اختلفوا في التجريد وعدمه ، ألقى الله عليهم النوم، ثم كلمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو أن اغسلوا رسول الله - ﷺ - وعليه ثيابه ، وغمضوا عُيُونُهُمْ لأنه - ﷺ - ما يرى أحد عورته إلا طمس الله عينه (١) ..

قال على - رضى الله عنه - : فما تناولتُ عضواً من أعضائه - ﷺ - لنفسيه إلا رفع لنا - ﷺ - وكان يُقلِّبه معي ثلاثون رجلاً ، حتى فرغت من غسله وقال على - رضى الله عنه - بأبى وأمى - ﷺ - طاب حياً وميتاً فإنى لم أر شيئاً مما يُرى من الميت إلا طيب الرائحة - ﷺ - ما أطيبه حياً وميتاً (٢) ..
وأخرج أبو نعيم عن على - رضى الله عنه - قال (٣) :

لما قبض رسول الله - ﷺ - صعد ملك الموت باكياً إلى السماء ، والذى بعثه بالحق نبياً : لقد سمعت صوتاً من السماء يُنادى «وامحمداه كل المصائب تهون عند هذه المصيبة ، وفي سنن ابن ماجه أنه قال - ﷺ -
«أيها الناس إن أصيب أحد من المسلمين بمصيبة فليتعز بمصيبته بى عن المصيبة التى تصيبه بغيرى ، فإن أحداً من أمتى لن يصاب بمصيبة بعدى أشد عليه من مصيبتى» (٤) .

وقال أبو الجوزاء : كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ..

ويقول : يا عبد الله اتق الله فإن رسول الله - ﷺ - أسوة حسنة ،
ويعجبني قول القائل :

- (١) انظر المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، ودلائل النبوة للبيهقي . باب ما جاء في غسل النبي ﷺ ، وما ظهر في ذلك من آثار النبوة [٢٤٢/٧] وما بعدها .
(٢) السيوطي في الخصائص الكبرى [٢٧٥/٢] . (٣) ضعيف . أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة .
(٤) حسن أخرجه ابن ماجه في السنن .

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بان المرء غير مخلد
 واصبر كما صبر الكرام فإنها نوب تنوب اليوم تكشف في غد
 وإذا أتتك مصيبة تسجي بها فاذكر مصابك بالنبى محمد

ويرحم الله القائل

تَذَكَّرْتُ لَمَّا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَعَزَيْتُ نَفْسِي بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 وَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْمَنَايَا سَبِيلُنَا فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي يَوْمِهِ مَاتَ فِي غَدٍ

كادت الجمادات تتصدع من ألم فراقه - ﷺ - فكيف بقلوب المؤمنين،
 ولما فقد الجذع الذى كان يخطب عليه صاح وحن إليه - ﷺ - وكان
 الحسن إذا حدث بهذا بكى ، وقال : هذه خشبة تحن إلى رسول الله
 - ﷺ - فأنتم أحق أن تشاققوا إليه ﷺ (١) ..

وعن عائشة -رضى الله عنها أن عمرَ والمغيرةَ بن شُعْبَةَ ، استأذنا
 على رسول الله - ﷺ - بعدما سجنه - ﷺ - بثوب ، قالت : فأذنتُ لهما
 وجذبت الحجاب فنظر عمر إليه - ﷺ - فقال : واغشياه ، ثم قاما ،
 فقال المغيرةُ : يا عمرُ ، مات ، قال كذبت إن رسول الله - ﷺ - لا يموت
 حتى يُفنى الله المنافقين ثم جاء أبو بكر الصديق ، فرفعت الحجاب
 فنظر إليه - ﷺ - فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات رسولُ الله -
 ﷺ . وفى رواية الطبرى . عن ابن عبید الأشجع - كان أجزعَ الناس
 كلهم عمرُ بن الخطاب - رضى الله عنه - وقال : لا أسمع أحداً يقول : مات
 رسولُ الله - ﷺ - إلا ضربتُه بسيفى ، قال فأقبل أبو بكر الصديق -
 رضى الله عنه - حتى دخل على النبى - ﷺ - وهو مُسَجًى فرفع البردة عن
 وجهه ، ووضع فاه على فاه واستنشق الريح ثم سَجَّاهُ والتقت إلينا ،
 فقال :

(١) كل هذه النقل مأخوذة بنصها من المواهب اللدنية للقسلاني [٣٧٥/٢] .

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (١) [آل عمران: ١٤٤]
وقال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]

يا أَيُّهَا النَّاسُ ، من كان يَعْبُدُ محمداً - ﷺ - فإن محمداً قد مات ،
ومن كان يعبدُ الله ، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت قال عمر - رضي الله عنه - هو الله
لكأنِّي لم أَتْلُ هذه الآيات (٣) .. وروى البخارى عن عائشة نَحْوَهُ ، وفيه
فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله - ﷺ - فَقَبَّلَهُ ، وقال : بأبى أنت
وأُمِّى طِبَّتْ حَيًّا وَمَيِّتًا .. الحديث وفيه ... ثم خرج ، فقال لعمر : أَيُّهَا
الحالف على رسلك ، فَلَمَّا تكلم أبو بكر - رضي الله عنه - جلس عمرُ ، فقام أبو
بكر فحمد الله وَأَثْنَى عليه ، وقرأ الآيات المتقدمة ، فَلَمَّا علموا نَشَجَ
الناس يبيكون ، وفى رواية- عن ابن عباس - فقال أبو بكر اجلس يا عمر
فَأَبَى ، فأقبل الناسُ على أبى بكر - رضي الله عنه - الحديث ، وفيه ، قال : والله
لكان الناس لم يعلموا أَنَّ الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر - رضي الله عنه -
فَتَلَقَّاهَا الناس منه كُلُّهُمْ ، فما أسمعُ بشراً من الناس إلا يتلوها ، وفى
رواية ابن أبى شيبه عن ابن عمر ، فقال : أَيُّهَا الرجلُ إن رسول الله -
ﷺ - قد مات ، أَلَمْ تسمع الله يقول ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣) ﴿٢﴾
[الزمر: ٣٠] وقال : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] (٣)
الآية - ثم أتى المنبَر .. الحديث

قال الإمام القرطبى المفسر (٤) - «أبو عبد الله - رحمه الله تعالى
وفى هذا أدل دليل على شجاعة أبى بكر - رضي الله عنه - فإنها ثبوتُ القلب عند
حلولِ المصائب ، ولا مصيبة أعظم من هذا الخطب العظيم الذى نزل
بالإسلام والمسلمين ، فظهرت عند ذلك شجاعةُ الصديق وعلمُهُ - رضي الله عنه -
- فَكَشَفَ عن الأمة الغُمَّة وثَبَّتَ القلوبَ وَهَدَى للحقَّ الأمةَ ، وظهر أنه

(١) عزاه الطبرى فى تاريخه إلى أبى أحمد حمزة بن الحارث .

(٢) الآية من سورة الزمر [٣٠] .

(٣) الآية من سورة الأنبياء [٣٤] . وانظر الأثر فى المواهب اللدنية [٣٥٨/٢] .

(٤) التذكرة للقرطبى [٣٢٥] .

الخليفة الحق بعده - ﷺ - ، وأنه هو الأحق بالخلافة بإجماع الصحابة
 والأمة - ﷺ - ، وعنهم أجمعين - ، قال ابن المنير^(١) : لَمَّا مَاتَ - ﷺ -
 - طاشت العقول فمنهم مَنْ خبل ، ومنهم مَنْ أقعد فلم يطق القيام
 ومنهم من أخرس ، يذهب ويجئ ولا يستطيع كلاماً . قيل : وكان على -
 ﷺ - مِمَّنْ أقعد ، وعثمان - ﷺ - ممن أخرس ، وعمر - ﷺ -
 ممن خبل ومنهم مَنْ أضنى ، وهو « عبد الله بن أنيس » فمات كمدأ -
 رضى الله عنهم - ، وكان أثبتهم « أبو بكر الصديق - ﷺ - » ، جاء -
 ﷺ - وعيناه تَهْمِلَانِ وزفراته تتردد ، وغصصه تتصاعد ، وترتفع ،
 فدخل على النبي - ﷺ - فأكبَّ عليه ، وكشف الثوب عن وجهه ، وقال :
 طِبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وانقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الأنبياء ،
 فَعَظُمَتْ عن الصِّفَةِ ، وَجَلَّتْ عن البكاء ، ولو أن موتك كان اختياراً
 لَجُذْنَا لموتك بالنفوس ، ... فإن قيل : فكيف الجمع بين ما نقل من ثبات
 الصديق - ﷺ - وقيامه على المنبر ومقاتلته وثبته الأمة ، وبين ما روى
 عنه - ﷺ - برواية أحمد عن عائشة - رضى الله عنها - لما أتاه - ﷺ -
 الصديق ، جاء من قِبَلِ رَأْسِهِ ، فَحَدَرَ فَاهُ فَقَبَّلَ وَجْهَهُ ، ثم قال : وَأَنْبِيَاءُ
 ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاصْصِفِيَّاهُ ، ثُمَّ رَفَعَ فَحَدَرَ فَاهُ
 فَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ، وقال : يَا خَلِيلَاهُ ، وفي رواية الطبرى فوضع فاه بين عينيه
 - ﷺ - ووضع يديه على صدغيه ، وقال : وَأَنْبِيَاءُ ، وَأَخْلِيَاءُ - ؟
 فالجواب ... على تقدير صحته كما ذكره الطبرى ، لا تضاداً بين هذا
 وبين ما تقدم من ثباته - ﷺ - بأن يكون قد قال ذلك من غير انزعاج
 ولا قلق ، خَافَتَا به صَوْتُهُ - ﷺ - وعن جميع أصحاب رسول الله وآل
 رسول الله أجمعين ، قيل إنه بعد أن كشف الصديق - ﷺ - الأمر لعمر
 - ﷺ - وغيره رجع عمر عن مقاتلته وقام خطيباً على منبره - ﷺ -
 فَتَشْهَدُ ، ثم قال : «أما بعد .. فإنى قلت لكم أمس مقالة وأنها لم تكن

(١) ساقطة من الأصل ، والتكميل من المواهب اللدنية [٣٧٤/٢] .

كما قلت ، وإنى - والله - ما وجدت المقالة، التى قُلتها فى كتاب الله ، ولا فى عهدٍ عَهْدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ولكنى كنت أَرْجُو أَنْ يعيش رسول الله - ﷺ - حتى يُدَبِّرَنَا أَى يكون آخرنا موتاً فاختار الله - عز وجل لرسوله الذى عنده على الذى عندنا ، وهذا كتابُ الله الذى هَدَى الله به رُسُولُ الله - ﷺ - فخذوا به تهتدوا لِمَا هُدِيَ لَهُ رَسُولُ الله - ﷺ (١) صدق - ﷺ - لَأَنَّ الله - تعالى - جعل القرآن تبياناً لكل شئ وهدى ورحمةً وبُشْرَى للمؤمنين ، وكان - ﷺ - خُلِقَهُ القرآن ، يَرْضَى لِرِضَاةِ ، ويفضض لفضبه ، والقرآن عروة الله الوثقى ، وَحَبْلُ الله المتين . مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجَاً واهتدى إلى صراط الله المستقيم وَمَنْ حَادَّ عَنْهُ غَوَى وَضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً ، وآل أَمْرُهُ إِلَى النار والجحيم ... ،

ولما توفى - ﷺ - قالت فاطمة - رضى الله عنها - : يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه مَنْ جَنَّةُ الفردوس مأواه يا أبتاه ... مَنْ إِلَى جبريل أَنْعَاهُ.. (٢)

قال الحافظ : قيل : الصواب إلى جبريل نَعَاهِ والأول أيضاً متجه ، وزاد .

ياأبتاه مَنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ ١٩ .. ، وعاشت فاطمة - رضى الله عنها - بعده - ﷺ - ستة أشهر فما ضَحِكَتْ تلك المَدَّةَ وَحُقَّ لَهَا ذَلِكَ - رضى الله عنها - ما أَمْرٌ عِيشَ مَنْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ خُصُوصاً مَنْ كَانَتْ رُؤْيَاهُ حَيَاةَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَلْبَابِ ، لو ذاق طَعَمَ الْفِرَاقِ رَضْوَى ، لكان من وجده - يَمِيدُ قَدْ حَمَلُونِي عَذَابِ شَوْقٍ يَعْجِزُ عَنْ حَمَلِهِ الْحَدِيدُ ، قيل : توفى يوم الاثنين (٣) حين زَاغَتِ الشَّمْسُ وَدَفِنَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، وقيل : بقى - ﷺ -

(١) كل هذه الأقوال نقلها المصنف من المواهب اللدنية للقسطانى فى [٢٧٤/٢] وما بعدها ، وفيها الصحيح والضعيف .

(٢) البيهقى فى دلائل النبوة ، وهو صحيح فى البخارى وقد سبق تخريجه .

(٣) فتح البارى [٢٥٢/٣] ، والسيوطى فى الخصائص الكبرى [٢٧٠/٢] ، والمسند للإمام أحمد [٢٧٧/١] ، والبيهقى فى دلائل النبوة [٢٣٣/٧] .

بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ ، وَدَفَنَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ مِنَ اللَّيْلِ ، وَمُكَّتُهُ - ﷺ - هَذِهِ الْمُدَّةُ مِنْ خُصُوصِيَّاتِهِ - ﷺ - وَذَلِكَ لِيَجْتَمَعَ شَمْلُ الْأُمَّةِ بِنَصَبِ الْخَلِيفَةِ الْأَعْظَمِ وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ - ﷺ - وَلِيَحْصَلَ لِلنَّاسِ بَرَكَتُهُ - ﷺ - بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ - ﷺ - وَرَزَّتُهُ عَمَتُهُ «صَفِيَّةٌ» بِمَرَاتِي كَثِيرَةٍ مِنْهَا هَذِهِ ، كَمَا فِي الْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ (١) .

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا وَكُنْتَ بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا
وَكُنْتَ رَحِيمًا هَادِيًا وَمُعَلِّمًا لِيَبْكُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بَاكِيَا
لَعَمْرُكَ مَا أَبْكِي النَّبِيَّ لِفَقْدِهِ وَلَكِنِّي أَخْشَى مِنَ الْهَجْرَاتِيَا
كَانَ عَلَى قَلْبِي لِذِكْرِ مُحَمَّدٍ وَمَا خَفْتُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ الْمُقَالِيَا
أَفَاطِمُ صَلَّى اللَّهُ رَبُّهُ مُحَمَّدٌ عَلَى جَدَّتِ أُمِّسَى بِيْثَرِ ثَاوِيَا (٢)
فَدَأَى لِرَسُولِ اللَّهِ أُمِّي وَخَالَتِي وَعَمِّي وَخَالَي ثُمَّ نَفْسِي وَمَالِيَا
فَلَوْ أَنَّ رَبَّ النَّاسِ أَبْقَى نَبِيَّنَا سَعِدْنَا وَلَكِنْ أَمْرُهُ كَانَ مَاضِيَا
عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ السَّلَامَ تَحِيَّةً وَأَدْخَلْتَ جَنَاتٍ مِنَ الْعَدْنِ رَاضِيَا
أَرَى حَسَنًا أَيْتَمَّتْهُ وَتَرَكَتْهُ يَبْكِي وَيَدْعُو جَدَّهُ الْيَوْمَ نَائِيَا (٣)

وَرَزَّاهُ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ (٤) - ﷺ - فَقَالَ :

أَرَقْتُ فَسَبْتُ لَيْلَى لَا يَزُولُ وَلَيْلُ أَخِي الْمَصِيبَةِ فِيهِ طُولُ
وَأَسْعَدَنِي الْبُكَاءُ وَذَاكَ فِيمَا أَصْبَيْنَا الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
لَقَدْ عَظُمَتْ مَصِيبَتُنَا وَجَلَتْ عَشِيَّةٌ قِيلَ : قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
وَأَضْحَحْتُ أَرْضُنَا مِمَّا عَراها تَكَادُ بِنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ (٥)

(١) انظر المواهب اللدنية [٣٧٦/٢] .

(٢) الجدل : القبر جمعه أجدات ، وفي القرآن ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج :

٤٣] .

(٣) تعني به الحسن بن علي بن أبي طالب ابن فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليه وسلامه .

(٤) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي المصطفى ﷺ ، وهذه القصيدة ذكرها

ابن كثير في البداية والنهاية [٢٨٢/٥] ، والسهيلي في الروض الأنف .

(٥) في المخطوط [يكاد] وفي البداية والنهاية [تكاد] وهو ما أثبتته .

فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِينَا يَرْجُو بِهِ وَيَفْدُو جِبْرِئِيلُ
وَذَاكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتُ عَلَيْهِ نُفُوسُ النَّاسِ أَوْ كَادَتْ تَسِيلُ
نَبِيٍّ كَانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ^(١)
وَيَهْدِينَا فَلَا نَخْشَى ضَلَالًا عَلَيْنَا وَالرَّسُولُ لَنَا دَلِيلُ
أَقَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَذَلِكَ عَذْرُ وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي ذَاكَ السَّبِيلُ
فَقَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ^(٢)

وَرِثَاءُ الصَّدِيقِ - رحمة الله عليه - بقوله :

لَمَّا رَأَيْتُ نَبِيَّنَا مِتْجَنَدَلًا ضَاقَتْ عَلَيَّ بِعَرْضِهنَ الدُّوَرُ
فَارْتَاعَ قَلْبِي عِنْدَ ذَاكَ لَهْلَكِهِ وَالْعَظْمُ مِنِّي مَا حَايَيْتُ كَسِيرُ
أَعْتِيقُ وَيَحْكُ إِنْ حُبَّكَ قَدْ ثَوَى فَالصَّبْرُ عَنْكَ لَمَّا لَقِيتُ يَسِيرُ^(٣)
يَا لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ مَهْلِكَ صَاحِبِي غُيِّبْتُ فِي جَدَثٍ عَلَيَّ صَخُورُ
فَلْتَحْدِثْنِي بَدَائِعَ مِنْ بَعْدِهِ يَغِيَا بِهِنَ جَوَارِحُ وَصَدُورُ^(٤)

وَرِثَاءُ أَيْضًا

وَدَعْنَا الْوَحْيَ إِذْ وَلَّيْتَ عَنَّا فَوَدَعْنَا مِنَ اللَّهِ الْكَلَامَ
سَوَى مَا قَدْ تَرَكْتَ لَنَا رَهِينًا تَضَمَّنَهُ الْقَرَّاطِيسُ الْكَرَامُ^(٥)

وَلَمَّا تَحَقَّقَ «عمر» الأَمْرَ بقول الصديق ، ورجع إلى قوله .. قال . وهو

بيكى - :

(١) في المخطوط [الشرك] وفي البداية والروضة الأنف [الشك] وهو ما أثبتته .

(٢) الأبيات في المواهب للقسطاني [٣٧٦/٢] .

(٣) ساقطة من المخطوط والتكميل من المواهب ، والمقصود بـ [عتيق] هو سيدنا الصديق أبو بكر رضوان الله عليه فهذا هو اسمه ، وأما أبو بكر فكنته .

(٤) في المخطوط [نغى بهن جوائح] والتصويب من المواهب ، وانظر الأبيات في المواهب اللدنية [٣٧٦/٢ ، ٣٧٧] .

(٥) يعنى بالقراطيس الكرام القرآن الكريم المكتوب بين دفتي المصحف ، وكذلك السنة المطهرة ، وانظر البيتين في المواهب اللدنية [٣٧٧ / ٢] .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد كان لك جذعٌ تخطبُ الناس عليه فلما كثروا اتَّخَذْتَ مَنَبْرًا لَتُسْمِعَهُمْ ، فَحَنُّ الْجَذْعِ لِفُرَاقِكَ (١) حتى جَعَلْتَ يدك عليه ، فسكن ، فَأَمَّتْكَ أُولَى بِالْحَنِينِ عليك حِينَ فَارَقْتَهُمْ ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فَضِيلَتِكَ عِنْدَ رَبِّكَ ، أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ ، فقال :

﴿ مِنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] (٢) بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أَنْ بَعَثَكَ آخَرَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَذَكَرَكَ فِي أَوَّلِهِمْ ، فقال - تعالى - :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ ﴾ [الأحزاب : ٧] (٣) الآية بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ، أَنْ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِهِمْ يُعَذِّبُونَ يَقُولُونَ : ﴿ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ [الأحزاب : ٦٦] (٤) بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد اتَّبَعَكَ فِي قِصْرِ عُمْرِكَ مَالِمَ يَتَّبِعْ نُوحًا فِي كَثْرَةِ سَنِهِ وَطُولِ عُمُرِهِ ، فَلَقَدْ آمَنَ بِكَ الْكَثِيرُ ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا الْقَلِيلُ « الخبير بطولهِ - قال في المواهب (٥) : أخرجه ابن الحاج في المدخل وأبو العباس القصَّار في شرح البردة ، ونقله عن الرشاطى من كتابه « اقتباس الأنوار والتماس الأذكار » .

وَكُفِّنَ - ﷺ - فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بَيْضَ سَحُولِيهِ مِنْ كَرْسَفٍ ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ كَذَا صَحَّ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كَمَا رَوَاهُ الْأَثَمَةُ السَّيْتَةُ (٦) مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْهَا وَاشْتَرَيْتَ لَهُ حَلَةَ (١) انظر في حنين الجذع إليه ﷺ في البخارى ومسلم والترمذى ، والشفا للقاضى عياض [٣٠٢/٢] .

(٢) الآية من سورة النساء ٨٠ . (٣) الآية من سورة الأحزاب ٧ . (٤) الآية من سورة الأحزاب ٦٦ . (٥) انظر الأثر في المواهب اللدنية [٣٧٧/٢] . وانظر المدخل لابن الحاج . باب زيارة قبر النبى ﷺ ، والشفا للقاضى عياض . (٦) وكذا الحاكم في المستدرک وهو معنى لحدیث صحیح .

لِيُكْفَنَ فِيهَا ، فَتُرِكَتْ فَأَخَذَهَا لِنَفْسِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ بَاعَهَا وَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ ، وَفِي رِوَايَةٍ .. (كُفِّنَ) ^(١) رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي حُلَّةٍ يَمْنِيَّةٍ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ نُزِعَتْ عَنْهُ وَكُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ ^(٢) - الْحَدِيثُ ، وَرَوَى عَنْهَا فِي السَّنَنِ الْأَرْبَعَةِ ، فِي ثَوْبَيْنِ ، وَبِرْدِ حَبِيرَةٍ ، وَلَكِنَّهُمْ رَدُّوهُ وَلَمْ يَكْفُتُوهُ فِيهِ ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ : رَوَى فِي كَفْنِ النَّبِيِّ - ﷺ - رَوَايَاتٌ مُخْتَلَفَةٌ ، وَحَدِيثٌ عَائِشَةُ أَصَحُّ الْأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ ، وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَعَنْ أَبِي الْحَنْفِيَّةِ عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ - ﷺ - كَفَنَ سَبْعَةَ أَثْوَابٍ ، قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ : يُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ الثَّلَاثَةُ لِفَائِدَةٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ ، وَقَالَ مَالِكٌ : يُسْتَحَبُّ زِيَادَةُ الْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَفِي حَقِّ النِّسَاءِ أَكْدَ ^(٣) .

قَالُوا : وَالزِّيَادَةُ إِلَى سَبْعَةٍ غَيْرُ مَكْرُوهَةٍ ، وَقَالَتِ الْحَنْفِيَّةُ : إِنْ الْأَثْوَابُ الثَّلَاثَةُ . إِزَارٌ وَقَمِيصٌ ، وَلِفَافَةٌ .. وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى وَجُوبِ الْكَفْنِ ، وَهُوَ فَرَضٌ كَفَايَةٌ فِي مَالِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ ، فَعَلَى مَنْ تَلَزَمَهُ نَفَقَتُهُ ، وَإِلَّا فَفِي بَيْتِ الْمَالِ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَأَدْخَلَهُ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ حَفْرِ أَبِي طَلْحَةَ لِحَدِّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي مَوْضِعٍ فَرَّاشِهِ حَيْثُ قُبُضَ - ﷺ - عَمَهُ الْعَبَّاسُ وَعَلَى وَقُتْمُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، وَكَانَ آخِرُ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَتْمُ الْمَذْكُورِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَوَضَعَ شَقْرَانِ قَطِيفَةً نَجْرَانِيَّةً كَانَتْ يَتَغَطَّى بِهَا - ﷺ - وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَلْبَسُهَا أَحَدٌ بَعْدَكَ ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : أَخْرَجُوهُ بَعْدَ أَنْ فَرَّغُوا مِنْ وَضْعِ اللَّبَنَاتِ التَّسْعِ وَكُرِّهَ وَضْعُ شَيْءٍ تَحْتَ الْمَيِّتِ فِي الْقَبْرِ

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري في كتاب الجنائز . باب الثياب البيض للكفن ، ومسلم في كتاب الجنائز . باب ما جاء في كفن الميت حديث [٤٥] ، كما أخرجه مالك في الموطأ ، والنسائي في السنن ، وابن ماجه في الجنائز ، وأحمد في المسند [٤٠/٦] .

(٣) ينظر هذا الموضوع في كتب الفقه أبواب الجنائز .

سواء كان قطيفة أو مضرية أو مخدة ، ونص على الكراهية الإمام الشافعي - رحمته الله - وغيره من العلماء ، ولم يوافق شقران عليه أحد من الصحابة ^(١) ولما فرغوا من دفنه - رحمته الله - جاءت فاطمة بنت رسول الله - رحمته الله - ورضى الله عنها فقالت : كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله - رحمته الله - التراب ^(٢) ، وأخذت من تراب القبر الشريف ، فوضعتة على عينيها ، وأنشأت - ورضى الله عنها تقول ^(٣) :

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم من الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

وجاء بلال بقرية ، ورش على قبره الشريف ، وبدأ من رأسه ، حكاه ابن عساكر ^(٤) وجعل من حصباء العرصة حمراً وبيضاً ، ورفع قبره من الأرض قدر شبر وجعل القبر منسماً .

وبالتسليم قال أبو حنيفة والشافعي ، ومالك ، وأحمد - رحمهم الله - تعالى - : وقيل : كان قبره - رحمته الله - أولاً لاطئة مسطحة ، لما روى عن القاسم بن محمد بن أبي بكر - رحمته الله - لما دخل على عائشة ، وكشفت له عن القبور ، فرأى ثلاثة قبور لا لاطئة ولا مشرفة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء ، زاد الحاكم ، وأنه رأى رأس أبي بكر - رحمته الله - بين كتفي النبي - رحمته الله - ورأس عمر عند رجلى الصديق - ورضى الله عنهما - ، قال في المواهب : والذي يرجح التسطح ما رواه مسلم عن فضالة بن عبيد الله ، أنه أمر بقبر فسوى ، ثم قال : سمعت رسول الله - رحمته الله - « يأمر بتسويتها » ^(٥) .. قال : والخلاف في الأولى أيهما ، وإلا فيجوز الأمران - والله أعلم .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

(١) دلائل النبوة للبيهقي باب ما جاء في دفن النبي ﷺ [٢٥٣/٧] . (٢) دلائل النبوة للبيهقي [٢٤٨/٧] . (٣) هذه الزيادة ليست صحيحة . (٤) موضوع . أخرجه ابن عساكر وانظر الموضوعات لابن الجوزي . (٥) صحيح : أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب الأمر بتسوية القبر [٦٦٦/٢] .

فصل : قال فى المواهب (١)

من آياته - ﷺ - بعد موته

مَا ذُكِرَ مِنْ حُزْنِ حِمَارِهِ عَلَيْهِ حَتَّى تَرْدَى فِي بَثْرٍ ، وَكَذَا نَاقَتُهُ ، فَإِنَّهَا لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ حَتَّى مَاتَتْ ، وَمِنْ ذَلِكَ ظُهُورُ مَا أُخْبِرَ بِهِ أَنَّهُ كَائِنٌ بَعْدَ مَوْتِهِ مِمَّا لَانْهَاءِ لَهَا (٢) ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عِنْدَ مُسْلِمٍ ، أَنَّهُ - ﷺ - قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأُمَّةٍ خَيْرًا قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا ، (٣) الْحَدِيثُ وَمِنْ آيَاتِهِ - ﷺ - مَا يَحْصُلُ لِزُورَارِهِ وَاللَّاجِئِينَ بِهِ - ﷺ - مِنْ قَضَاءِ الْحَاجَاتِ ، وَإِنَالَةِ الطَّلِبَاتِ ، وَدَفْعِ الْأَسْوَءِ وَالْعَاهَاتِ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ، وَهُوَ - ﷺ - حَيٌّ فِي قَبْرِهِ يَسْمَعُ صَلَاةَ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ عِنْدَ قَبْرِهِ . ، قَالَ فِي الْمَوَاهِبِ : - (٤) إِنَّهُ - ﷺ - يَسْمَعُ مِنْ مُشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَيَجِيبُهُمْ جَمِيعًا حَتَّى لَوْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ لَمْحَةِ أَلْفِ أَلْفِ أَوْ أَكْثَرَ لَوْ سَمِعَهُمْ - ﷺ - سَلَامُهُ وَإِقْبَالُهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُ - ﷺ - كَالشَّمْسِ نَوْرُهَا مَلَأَتْ مُشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، فَكَيْفَ بِهِ - ﷺ - كَالشَّمْسِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ وَنَوْرُهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مُشَارِقًا وَمَغَارِبًا وَهُوَ مَبْدَأُ الْأَنْوَارِ وَمَنْبَعُ الْأَسْرَارِ ، وَلِلَّهِ دَرُّ أَبِي الطَّيِّبِ فِي جَوَابِهِ (٥) :

ﷺ - زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى - شَرْفًا وَرَفْعَةً ، وَتَعْظِيمًا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنَا بِهِ ﷺ - وَمَتَّعَنَا بِجَوَارِهِ وَقَطَّفَ أَزْهَارَهُ ، وَالتَّمَلُّى بِأَنْوَارِهِ ، وَهُوَ ﷺ - خُصُوصًا أَهْلَ جَوَارِهِ وَالْمُلَازِمِينَ لَخِدْمَةِ سُنَّتِهِ وَالْمُتَأَدِّبِينَ بِشَرِيعَتِهِ

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (٣٨٨/٢) .

(٢) وهو كل ما يأتي بلفظ «ستكون فن» أو «سيأتي علي الناس زمان» الخ .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل . باب إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها

(١٧٩١/٤) .

(٤) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (٣٨٩/٢) . باب زيارة قبره الشريف ومسجده

المنيف .

(٥) يعنى به الشاعر الكبير أبو الطيب المتنبي ، والجواب بشعره كان للاستشهاد ، والنصر فى

المواهب : ولقد أحسن من سئل كيف يرد النبي ﷺ على من سلم عليه من مشارق الأرض ومغاربها

فى آن واحد ، فأنشد قول أبى الطيب .

بل لجميع مُحِبِّيه - ﷺ - بل لجميع أمته .. قال في آخر المواهب اللدنية: ولقد كان حصل لى داء أعيا داءُ الأطباء وأقمت به سنتين ، فاستغثتُ به - ﷺ - ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ٨٩٣ ثلاثة وتسعين وثمانمائة ، بمكة زادها الله شرفاً ، ومنَّ علىَّ بالعود إليها فى عافية بلا مَحَنَةٍ ، فَبَيْنَمَا أنا نائم ، إذا رجل معه قِرطاسٌ يكتب فيه ، «هذا دواءٌ لِدَاءِ أَحْمَدِ بْنِ الْقُسْطَلَانِي مِنَ الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ بَعْدَ الْإِذْنِ الشَّرِيفِ النَّبَوِيِّ ، ثم استيقظت فلم أَجِدْ بى والله شيئاً مما كُنْتُ أَجِدُهُ ، وحصل الشفاء ببركة النبى - ﷺ - قال : ووقع لى أيضاً فى سنة ٨٨٥ ، خمس وثمانين وثمانمائة ، بعد رجوعى من الزيارة الشريفة النبوية لقصد مصر ، إذ صرعت خادمتهما غزال الحبشية واستمرَّ بها أياماً ، فاستشفعت به - ﷺ - فى ذلك ، فأتانى آتٍ فى منامى ومعه الجَنَى الصَّارِعُ لها أعاذنا الله منهم ومن شُرُورهم - فقال : لقد أرسله لك النبى - ﷺ - فعاتبته وحلفته ألا يعود إليها - ثم استيقظت ، وليس بها قَلْبَةٌ كأنها نُشِطَتْ من عقال ولا زالت فى عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة فى سنة أربع وتسعين وثمانمائة . - والحمد لله رب العالمين ...

أقول : وقد وقع مثلما وقع للقسطلانى (١) ، فأغاثنى - ﷺ - - مراراً ، وأمدنى ، وأعطانى مواهب وأسراراً - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه دائماً مدراراً ..

وقد أشرتُ إلى ذلك فيما تقدم عند ذكر بعض آياته التى ظهرت على اللائذين المتوسلين (٢) بجنابه العظيم ﷺ - فعليك يا أخى أيها الشقيق الرفيق بملازمة طاعته والعَضُّ بالنواجذ على سُنَّتِهِ والتوسُّل فى جميع الحالات وملازمة دار هجرة خير البريات ، واصبر وارض بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد - ﷺ - رسولاً نبيا تظهر عليك الخيرات

(١) المواهب اللدنية للقسطلانى (٣٩٢/٢) وما بعدها .

(٢) وقد سبق لنا القول بأن أكثرها مخالف للسنة الصحيحة ، ولأفعال السلف الصالح رضوان

الله عليهم .

والبركات ، وتوقى من جميع البليّات والهلكّات بحرمة سيّد السادات - عليه وعلى آله أكمل الصلوات وأزكى التسليمات - بدوام الله الملك الحق المبين ربّ المواهب والعطيّات - ، وإن كنت يا أخى مجاوراً هذا النّبى الكريم والرسول العرف الرحيم ، أو كنت ميمّن منّ الله عليك بالتولّد فى بلده - ﷺ - فاعرف كمال نعمة الله - تعالى - وعظيم عنايته - سبحانه - بك بجوار وقرب حبيب ربّ العالمين ، وشفيع المذنبين ، وكُن شاكر الله دائماً على جميع الحالات معمرّاً أوقاتك بالصلاة والسلام على سيّد المرسلين ورسول ربّ العالمين فرحاً مستبشراً بهذه النعمة العليّة البهيّة . غير ناظر إلى شهوات النفوس الوبيّة ، وكُن مع أهل النفوس الطاهرة الزكيّة فى البكر والعشيّة ، واسأل الله العافية والتوفيق لأحسن هدى والهداية لأقوم طريق والزم روضة خير البريّة وقف فى حضرته - ﷺ - واطلب من الله ربك الكريم المطالب السنّيّة ، وكُن يا أخى نافعاً لجيران رسول الله - ﷺ - ذا همّة عليّة ، ولله درّ ابن جابر حيث يقول : كما جاء فى المواهب اللدنيّة (١) .

هناؤكم يا أهل طيبة قد حُقا فبالقرب من خير الورى (حزتم) السبقا (٢)
 فلا يتحرك ساكن منكم إلى سواها وإن جاز الزمان ولو شقا
 فكم ملك رام الوصول لمثل ما وصلت فلم يقدر ولو ملك الخلقا
 فبشراكموا نلتُم عناية ربكم فما أنتم فى بحر نعمته غرقا
 ترون رسول الله فى كل ساعة ومن يره فهو السعيد به حقا
 متى جئتموا لا يغلّق الباب دونكم وباب ذوى الإحسان لا يقبل الغلّا
 فيسمع شكواكم ويكشف ضرركم ولا يمنع الإحسان حراً ولا رقاً (٣)

(١) انظُر المواهب اللدنية (٣/٣٩٩) .

(٢) (حزتم) ساقطة فى الأصل والتكميل من المواهب .

(١) قدم المصنف بعد هذا البيت فى القصيدة وأخر على ما فى المواهب اللدنية ، وذلك فى نحو أربعة أبيات من قوله : بطيبة مثواكم وأكرم مرسل .

بطيبة مَثَواكم وأكرم مُرسل
وكم نعم لله فيها عليكم فشكراً
أمنت من الدُجَال فيها فحولها
كذلك من الطَّاعون أنتم بمأمن
ولا تنظروا إلا لوجه حبيبكم
حياة وموتا تحت رُحْمَاه أنتم
فيا راحلاً عنها لدنيا يُريدها
هو الرُّزْق مَقْسُوم فليس بزائد
فكم قاعد قد وسع الله رزقه
فَعِشْ في حمى خير الأنام ومِتْ به
إذا قمت فيما بين قبر ومنبر
لقد أسعد الرحمن جار مُحَمِّدٍ
فَعِشْ مثل ما عاشت صحابته بها

يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقاً
ونعم الله بالشكر تُسْتَبْنَى
ملائكة يحمون من دونها الطرقات (١)
فوجه الليالى لا يزال بكم طلقاً
وإن جاءت الدنيا ومِرت فلافرقاً (٢)
وحشراً فستر الجاه فوقكم ملقاً (٣)
أطلب ما يغنى وتترك ما يبقي (٤)
ولو سرت حتى كدت تخترق الأفق
ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقاً
إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقاً
بطيبة فاصرف أين منزلك الأرقاً (٥)
ومن جار في ترحاله فهو الأشقاء
على الزهد والإيثار والسُنن الأتقاء (٦)

(١) إشارة إلى حماية المدينة المنورة الشريفة من دخول الدجال على ما جاء في الحديث الشريف.

(٢) في المخطوط : ولا تنظروا غير وجه حبيبكم . والتصويب من المواهب اللدنية .

(٣) في المخطوط : وحشراً فسر الجاه .

(٤) ترك المصنف بعد هذا البيت بيتين هما :

أُفْخِرْج عن حوز النبي وحِرْزه إلى غيره تسفيه مطلق قد حقا
لن سرت تبغي من كرم إعانة فأكرم من غير البرية ما تلقى

والتكملة من المواهب اللدنية للقسطاني .

(٥) إشارة إلى الحديث الموضوع المختلف وما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة .

(٦) هذا البيت ليس في المواهب اللدنية ولم أره في مصادر أخرى .

فصل : ولنذكر أربعين حديثاً في

فضائل المدينة المنورة مما جمعها سيدنا العلامة الولي العارف بالله - تعالى الشيخ محمد الخصاصي الشاذلي

المجاور للمدينة المنورة والمتوفى فيها - رحمه الله - تعالى

وأشرت للمخرجين بالرموز - قال رحمه الله تعالى - (الحمد لله) (١)
وكفى والصلاة والسلام على حبيبه وعبدنا محمد المصطفى وعلى
جميع أهل الصفا والوفا ، وبعد ...

فهذه أحاديثُ في فضائل المدينة المنورة الشريفة من الله علينا
بجمعها ونفع الله بها - آمين

عن سفيان بن أبي زهير - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال :

«تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبْسُونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ
وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، وَتُفْتَحُ الشَّامُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبْسُونَ
فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ،
وَتُفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبْسُونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ
وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (٢) .

وعن بلال بن الحارث المزني رفعه

«رمضانُ بالمدينة خيرٌ من ألف رمضان فيما سواها من البلدان ،
وجُمُعَةُ بالمدينة خير من ألف جُمُعَةٍ فيما سواها من البلدان» (٣) .

وعن أبي هريرة - رفعه «صلاة في مسجدى أفضل من ألف صلاة
فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، فإنى آخرُ الأنبياء ، وإن

(١) ساقطة من المخطوط . (٢) سبق تخريجه وبيان درجه .

(٣) سبق تخريجه وبيان أنه حديث موضوع .

مسجدي آخرُ المساجد» (١) .

وعن أسيد بن حضير - رفعه «الصلاةُ في مسجد قباء كعمرة» (٢) .

وعن ثابت بن قيس بن شماس - رفعه «غبارُ المدينة شفاء من الجذام» (٣) .

وعن عائشة - رضى الله عنها - رفعتَه «فى عجوة المدينة أول البكرة على ريق النفس شفاء من كل سحرٍ أو سُم» (٤) .

وعن بُريدة - رفعه «خيرُ تمرِكم البرنى يُذهب الداء ولا داء فيه» (٥) .

وعن ابن عباس - رفعه «لكلُّ نبى حَرَمٌ وحرَمى المدينة» (٦) .

وعن عبد الله بن عمر - رفعه «مَنْ آذى أهل المدينة آذاه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» (٧) .

وعن أبى هريرة - رفعه «لو بنى مسجدي هذا إلى صنعاء كان مسجدي» (٨) .

وعن جابر - رفعه «مَنْ أخاف أهل المدينة أخاف ما بين جنبى» (٩) .

وعن ابن عمر - رفعه «مَنْ استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، وإنى أشفعُ لمن يموت بها» (١٠) .

وعن سعد - رفعه «مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سُمٌ ولا سحرٌ» (١١) .

وعن أنس - رفعه «مَنْ زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً

(١) سبق تخريجه وبيان أنه حديث صحيح .

(٢) سبق تخريجه وبيان أنه حديث صحيح .

(٣) ضعيف جداً : السيوطى فى الجامع الصغير (٧٥/٢) وقد عزاه إلى أبى نعيم فى الطب ، وانظر الترغيب والترهيب للمنتزى (١٤٥/٢) .

(٤) سبق تخريجه وبيان أنه حديث صحيح .

(٥) سبق تخريجه وبيان أنه ضعيف .

(٦ : ١١) سبق تخريجها وبيان درجة كل حديث على حده .

يوم القيامة، (١) .

وعن البراء - رفعه «مَنْ سَمَّى الْمَدِينَةَ يَثْرِبَ فَلَيْسَتْ غَفْرُ اللَّهِ هِيَ طَابَةَ هِيَ طَابَةَ» (٢) .

وعن أبي هريرة - رفعه «مَنْ صَلَّى عِنْدَ قَبْرِى سَمِعْتُهُ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَى نَائِيَا بُلْفَتِهِ» (٣) .

وعن أبي عوانه عن سهل ابن حنيف ، قال - ﷺ «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ آمِنٌ» (٤)

وعن رافع بن خديج - قال رسول الله - ﷺ «الْمَدِينَةُ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ» (٥)

وعن أبي هريرة - رفعه «الْمَدِينَةُ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ وَدَارُ الْإِيمَانِ وَأَرْضُ الْهَجْرَةِ وَمَبْوَأُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ» (٦) .

وعن أبي سعيد الخدرى - رفعه «الْمَسْجِدُ الَّذِى أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مَسْجِدِى هَذَا» (٧) .

وعن أبي بن كعب مثله ، وعن على ، وعن أبي هريرة - رضى الله عنهما - عن النبى - ﷺ قال :

«مَا بَيْنَ بَيْتِى وَمَنْبَرِى رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» (٨) وفى رواية زاد منبرى على حوض .

وعن أبي هريرة - رفعه «مَا بَيْنَ لَابِتَى الْمَدِينَةِ حَرَامٌ» (٩) .

وعن على قال : قال رسول الله - ﷺ «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وَخَلِيلَكَ دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تَبَارِكَ لَهُمْ فِي مَدْهَمٍ وَصَاعِهِمْ مِثْلَ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ» (١٠) .

وعن أبي سعيد الخدرى «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا ، وَإِنِّى حَرَمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَمًا مَا بَيْنَ مَا زَمِيهَا لَا يُرَاقُ فِيهَا دَمٌ وَلَا يُحْمَلُ فِيهَا

(٩-١) سبق تخريجه . (١٠) سبق تخريجه وبيان أنه حديث صحيح .

سلاحٌ لقتال ، ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف ، اللهم بارك لنا في مدينتنا ، اللهم بارك لنا في صاعنا ، اللهم بارك لنا في مدناً ، اللهم اجعل مع البركة بركتين ، والذي نفسى بيده مامن المدينة شعباً ولا نقب إلا عليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا إليها،

وعن أبى هريرة - رفعه «آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة» (١).

وعن جابر - رفعه «أيما امرئ من المسلمين حلف عند منبرى هذا على يمين كاذبة يستحق بها حق مسلم أدخله الله النار وإن كان على سواك أخضر» (٢).

وعن ابن عمر - رفعه «من حج فزار قبرى - بعد وفاتى - كان كمن زارنى فى حياتى» (٣).

وعن أبى هريرة . قال : قال رسول الله - ﷺ «من أراد لأهل المدينة سوءاً أذابه الله كما ينوب الملح فى الماء» (٤) وعن سعد - رضى الله عنه - أيضا مثله .

وعن أنس - قال : لما كانت يوم حنين أقبلت هوازنُ وغطفانُ وغيرهم بنعمهم ودوابهم مع النبى - ﷺ - عشرة آلاف ومن الضعفاء ، وأدبروا عنه - ﷺ - حتى بقى وحده فنادى يومئذُ ثم التفتَ عن يمينه . فقال : «يا معشرَ الأنصار، قالوا لبيك يا رسول الله - ﷺ - أبشِرْ نحن معك، ثم التفت عن يساره ، فقال «يا معشرَ الأنصار» .. لبيك يا رسول الله - ﷺ - أبشِرْ نحن معك ، وهو ﷺ على بغلةٍ بيضاء ، فنزل ، وقال ﷺ -

«أنا عبدُ الله ورسوله، فانهزم المشركون ، فأصاب - ﷺ - غنائم كثيرة ، فقسم - ﷺ - فى المهاجرين والضعفاء ، ولم يُعطِ الأنصارَ شيئا ،

(٢) سبق تخريجه

(٤) سبق تخريجه

(١) سبق تخريجه

(٣) سبق تخريجه وبيان أنه حديث موضوع .

فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةً نُدَّعَى لَهَا وَيُعْطَى الْغَنِيمَةُ غَيْرُنَا ،
فَبَلَّغَهُ ذَلِكَ فَجَمَعَهُمْ - ﷺ - فِي قُبَّةٍ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا حَدِيثُ
بَلَّغْنِي عَنْكُمْ ؟ فَسَكَتُوا - فَقَالَ « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ الْآ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ
النَّاسُ بِالدُّنْيَا ، وَأَنْتُمْ تَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - تَحُوزُونَهُ إِلَى بَيْوتِكُمْ ،
قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ - فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ : « لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيَا ،
وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَا خَيْرَ تُشِيعِبُ الْأَنْصَارُ » (١) .

عن جابر - رفعه « إنما المدينة كالكير تنفخ خبثها وينصع طيبها ،

وعن أنس - رفعه - « اللهم بَارِكْ لَهُمْ فِي مَكِيلِهِمْ وَمَصَاعِهِمْ
وَمُدَّهُمْ » (٢) .

وعن أبي سعيد قال : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَدِيثًا طَوِيلًا عَنْ
الدَّجَالِ ، فَكَانَ فِيهِمَا حَدِيثًا بِهِ أَنَّهُ قَالَ : « يَأْتِي الدَّجَالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ
أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ ، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السَّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ ، فَيُخْرِجُ
إِلَيْهِ يَوْمئِذٍ رَجُلٌ ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ - فَيَقُولُ أَشْهَدُ
أَنَّكَ الدَّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَدِيثَهُ .. فَيَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ
قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشْكُونُ فِي الْأَمْرِ ؟ فَيَقُولُونَ : لَا ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ
يُحْيِيهِ ، فَيَقُولُ : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بِصِيرَةً مِنْهُ الْيَوْمَ ، فَيُرِيدُ
الدَّجَالُ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَلَا يَسْلُطُ عَلَيْهِ » (٤) .

وعن أبي هريرة - رفعه - « عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا
الطَّاعُونَ وَلَا الدَّجَالُ » (٥) .

وعن أنس - رفعه - « الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَالُ فَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا ،

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي ، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، والروض الأنف
للسهلي .

(٢) سبق تخريجه وبيان درجته .

(٣ : ٥) سبق تخريج كل هذه الأحاديث وبيان درجتها من الصحة والضعف .

فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله تعالى،^(١) .

ورأى النبي - ﷺ .. فى رؤيا ، كأن امرأة سوداء نائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيةً وهى الجحفة - فأولتها ، إن وباء المدينة نُقل إليها،^(٢) .

وعن عائشة - رَفَعَتْه - «اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كَحَبِّنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعنا ومُدَّنَا وصححها لنا ، وانقل حُمَّها إلى الجحفة،»^(٣) .

قالت : وَقَدِمْنَا إلى المدينة وهى أوباء أرض الله ، فكان بَطْحَان يجرى بنجل - يعنى ماء - أجنا - أى متغيراً .

وعن سهل بن سعد وأنس وسويد بن عامر الأنصارى وأبى هريرة قالوا : قال رسول الله - ﷺ : «أَحُدُّ جِبْلٌ يُحِينُنَا ونَحْبُهُ ، فإذا جئتموه فكلوا من شجره ، ولو من عِضَاهِهِ،»^(٤) .

وعن جابر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال جاء أعرابىٌّ إلى النبي - ﷺ - فبايعه على الإسلام ، فجاء من الغد محموماً ، فقال : أقتلى ، فأبى ثلاث مرات ، فقال رسول الله - ﷺ - :

«المدينةُ كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها،»^(٥) .

وعن أبى هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال - ﷺ - :

«أمرت بقرية تاكل القُرَى ، يقولون : يشرب ، وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خُبثَ الحديد،»^(٦) .

وعن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسولُ الله - ﷺ :

«ليس من بلدٍ إلا سيطَوْها الدُّجَالُ إلا مكة والمدينة ، ليس فى نقابها

(١ : ٢) سبق تخريج كل هذه الأحاديث وبيان درجتها من الصحة والضعف .

(٣ : ٦) سبق تخريج كل هذه الأحاديث وبيان درجتها من الصحة والضعف ، فارجع إليها فى مكانها .

من نقب إلا عليه الملائكة حافين يحرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها ، ثلاث رجفات ، فيخرج إليه كل كافر ومنافق ، (١) .

وعن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم -

«كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدارات المدينة ، أوضع راحلته ، وإذا كان على دابة حركها من حبها »

وعن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال :
اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتى في بلد رسولك - صلى الله عليه وسلم -

قال الشيخ الخصاصي - نفع الله به ورحمه - وقد منَّ الله - تعالى -
- بجمع هذه الأحاديث النبوية (٢) في شوال سنة ١١٠٧ ، وصلى الله على
سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ..

أقول : وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى بوضعه في كتابي هذا ليلة الأحد ، ليلة
النصف من شعبان سنة ١١٩٩ في طيبة مدينة سيّد المرسلين ، ورسول
ربِّ العالمين ، الحمد لله الذي مَنَّ علينا بجواره والتَّمَلَّى بأنواره - صلى الله عليه وسلم -
والحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات ، الذي هدانا لهذا وما كنا
لنَهْتَدِيَ لولا أن هدانا الله ، اللهم أَحْسِنْ عاقبتنا في الأمور كُلِّها وَأَجِرْنَا
من خِزْيِ الدنيا ، وعذاب الآخرة ، اللهم أَعِنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ ،
وحُسْنِ عبادتك ، اللهم رَحِّمْتِكَ أَرْجو ، فلا تَكِلْنِي إلى نفسي طرفة عين ،
ولا أَقْلُ من ذلك يا أرحم الراحمين ، اللهم إني أعوذ بك من شَرِّ نفسي
ومن شَرِّ كل دَابَّة ، وأنت ربي أَخْذُ بناصيتها إنيك على كُلِّ شيء قدير ،
وبالإجابة جدير وصلى الله على البشير النذير ، وآخر دَعْوَانَا أن الحمد
لله ربِّ العالمين ..

(١) سبق تخريج كل هذه الأحاديث وبيان درجتها من الصحة والضعف ، فارجع إليها في مكانها .

(٢) وقد ذكر المصنف كل هذه الأحاديث متفرقة في كتابه هذا ، ولم يكن له بد من تنفيذ
رغبته وهي تكرار الأحاديث في أكثر من موضع ، وهو الغالب عليه . وانظر وقاء الوفا ، والخلاصة .

فصل : فيما يؤول إليه أمرُ المدينة المنورة ..

وبعض ما وقعَ مما أخبر ﷺ وقد ظهر بعضها

وسیظهر الباقي كما أخبر ﷺ

الحمد لله الذى شرف طابة (١) ، وأثار القلوبَ لسماع أخبارها المستطابة ، وأصطفاهما للمصطفى حبيبهِ - ﷺ - الذى اختاره وعظم جنابهُ - ﷺ - وعلى آله وجميع الصُّحابة وَبَعْدُ .. فقد قال رسول الله - ﷺ - كما رواه جابر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - :

«لَيَعُودَنَّ هذا الأمرُ إلى المدينة كما بدأ منها ، حتى لا يكون إيمانُ إلا بها» (٢) .

كذا فى الخلاصة عن المرجانى ، وقال ﷺ - :

«يُوشِكُ أن يرجع الناس بالمدينة حتى يصير مَسَاحِهم بِسَلاح» (٣) .

وفى رواية ابن زبالة « كيف بك يا عائشة إذا رجع الناسُ بالمدينة ، وكانت كالرُمَّانة المحشوة ؟ » قالت : يا رسولَ الله فمن أين يأكلون ؟ .. قال «يُطْعِمُهُمُ اللهُ من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومن جَنَاتٍ عَدَنَ ، وليوشكن يبلغ بنيانهم بهيضاء ، ولا تقوم الساعةُ حتى يبلغ البناء شجرة ذى الحليفة» (٤) وقال عليه السلام - :

« شَرَفُ السَّيِّالَةِ ، وشرف الرُّوحَا يكون منازل أهلِ الأَرْدُنِّ إذا حَيَّرَ الناسُ إلى المدينة» (٥) .

(١) الخلاصة الفصل التاسع فى بدء شأنها وما يؤول إليه أمرها (ص ٦٨) .

(٢) عزاء السهوى فى الخلاصة إلى المرجانى فى أخبار المدينة .

(٣) صحيح . أخرجه أحمد فى المسند بإسناد حسن ، والمسالع جمع مسلحة ، وهى الثغر ، والمراقبة يكون فيه أقوام يرقبون العدو . والمعنى : حتى يصير لغورهم التى يرقبون العدو بذلك الموضع القريب من خيبر لا تساع المدينة وكثرة أهلها وقوله : سلاح : موضع بقرب خيبر .

(٤) عزاء السهوى إلى ابن زبالة فى الخلاصة .

(٥) عزاء السهوى إلى ابن زبالة انظر الخلاصة (٧٠) .

وقال - ﷺ « تبلغ المساكن إهاب،^(١) أو يهاب بكسر التحتية ، وقد بلغنها المساكن قبل خراب المدينة . وعن أبي ذر - رضى الله عنه - قال لى رسول الله - ﷺ - :

«إذا بلغ البناءُ سلماً فارتحل إلى الشام ، فبلغ ذلك ، فارتحلتُ إلى الشام،^(٢) .

وفى رواية .. «سيبلغ البناءُ سلماً ثم يأتى على الناس فى المدينة زمانُ يمرُّ السَّفرُ على بعض أقطارها ، فيقول : قد كانت هذه مرةً عامرةً من طول الزَّمان وعفو الأثر،^(٣) .

وفى رواية .. « لَيْسَ يَرَى الرَّكَّابُ فى جنب وادى المدينة ، فليقولن : لقد كان فى هذه مرةً حاضرةً من المؤمنين، وفى رواية .. «أخرُ قريةٍ من قرى الإسلام خراباً المدينة،^(٤) .

وقال ﷺ - « عمران بيت المقدس خرابٌ يثرب ، وخراب يثرب خروج المَلْحَمَةُ ، وخروج المَلْحَمَة فتح القُسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدَّجَال ، .

وقال - « المَلْحَمَةُ الكبرى ، وفتح القسطنطينية وخروج الدَّجَال فى سبعة أشهر،^(٥) .

وقال - ﷺ - « لتتركن المدينة على خير ما كان مُدَلَّة ثمارها لا يغشاها إلا العوافى - يريد عوافى الطير والسباع - وآخر من يُحشَرُ منها راعيان من مزينة يُريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشاً،^(٦) وزاد «وحشاً حتى إذا بلغا ثنية الوداع خراً على وجوههما،^(٧) .

(١) صحيح . أخرجه مسلم وقد سبق تخريجه . (٢) عزاه فى الخلاصة إلى أبى يعلى فى مسنده .

(٣) عزاه السهمودى إلى الطبرانى فى الكبير . (٤) حسن . أخرجه أحمد فى المسند .

(٥) سبق تخريجه وبيان صحته . (٦) حسن . أخرجه أبوداود فى سننه

(٧) حسن . أبو داود فى السنن . (٨) متفق عليه . البخارى ومسلم وقد سبق .

(٩) صحيح . أخرجه مسلم فى الصحيح

وفى رواية الموطأ « لتتركن المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل
الكلب الذئب فيغذى على بعض سوارى المسجد أو المنير - أى يبول ، (١) .
وقال - ﷺ - « يترك المدينة أهلها ، وهى مرطبة ، قالوا : فمن يأكلها ،
قال ﷺ - « السباع والعائف » .

وصعد - ﷺ - مرةً أحدا ، فأقبل على المدينة ، وقال :
« ويل أمها قرية يدعها أهلها كايئع ما تكون » .

وفى رواية - « ويل أمك يدعك أهلك وانت خير ما تكونين » .

وعن أبى هريرة موقوفاً ومرفوعاً نحوه « فقل له من يخرجهم ؟
قال : أمراء السوء ، ابن شبة . وقد أنكر عليه ابن عمر لفظ « خير ما
كانت » يعنى بل قال ﷺ .

« أعمر ما كانت » ، وعلل ذلك بأن خير ما كانت لو كان - ﷺ - حياً
بصورته الظاهرة فى الدنيا مع أصحابه لا فى وقت أمراء السوء ، فقال
أبو هريرة : صدقت والذى نفسى بيده والظاهر كما فى الخلاصة أنهم
يتركونها مرتين ، وقد كانت الأولى فى زمن الحرّة ، وسيتركونها ولا
يعودون ، وذلك فى آخر الزمان ، وقول النووى المختار : أن هذا لم يكن -
أى الثانى لحديث ابن شبة « ليخرجن أهل المدينة منها ثم يعودون إليها
ثم ليخرجن ثم لا يعودون ، (٤) .

وفى رواية « فيعودون إليها فيعمرونها حتى تميلى وتبتنى ، ثم
يخرجون منها فلا يعودون إليها أبداً ، ويدل على الثانى حديث أبى هريرة
رواه ابن شبة موقوفاً

« آخر من يحشر رجلان رجل من مزينة وآخر من جهينة ، فيقولان :

(١) حسن . مالك فى الموطأ كتاب الجامع . باب فى المدينة
(٢) حسن . أحمد فى المسند (٣) سبق تخريجه وبيان درجته وهو عند أحمد بسند صحيح .
(٤) سبق تخريجهما وبيان درجتهما . وانظر الخلاصة (٧٤) وما بعدها .

أين الناس؟ فيأتیان المدينة فلا يريان إلا الثعالب، فينزل إليها ملكان
فيسحبانها على وجوههما حتى يُلْحَقَانَهُمَا بالناس، (١) .

وما رواه أيضاً : - قال رسول الله - ﷺ « تَتْرُكُنَّ الْمَدِينَةَ وَلَتَدْعَنَّهَا
مُدَّةً أَرْبَعِينَ عَاماً لِلْعَوَافِي .. أَتَدْرُونَ مَا الْعَوَافِي ؟ الطَّيْرُ وَالسَّبَاعُ ،
وَلِيَجِيئنَ الثُّعْلُبُ يُقْبِلُ فِي ظِلِّ الْمَنْبَرِ ، ثُمَّ يَرُوحُ لَا يَنْهَاهُ أَحَدٌ ، وَلَا تَقُومُ
السَّاعَةُ حَتَّى يَجِيءَ الثُّعْلُبُ فَيَرِيضُ عَلَى مَنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ - لَا يَنْهِنُهُنَّ
أَحَدٌ وَلَا يَنْ زِيَالَةً » لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى مَسْجِدِي هَذَا ،
الْكَلَابُ وَالذَّنَابُ أَوْ لَضِبَاعُ ، فَيَمْرُ الرَّجُلُ بَبَابِهِ ، فَيُرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ ، فَمَا
يَقْدِرُ، (٢) فهذا كُلُّهُ لم يقع والحمد لله ..

وأما الترك الأول الذي ذكره القاضي عيَّاضٌ ، بسبب الفتن التي جرت
من أُمَرَاءِ السُّوءِ فِي زَمَنِ يَزِيدٍ - عامله الله بما يستحق ، .. وقد قال
- ﷺ :- « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَكُونَنَّ بِالْمَدِينَةِ مَلْحَمَةٌ ، يُقَالُ لَهَا :
الْحَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ : حَالِقَةُ الشَّعْرِ .. وَلَكِنْ حَالِقَةُ الدِّينِ ، فَأَخْرَجُوا مِنْهَا
وَلَوْ عَلَى قَدَرٍ بَرِيدٍ، (٣) .

وقال أبو هريرة : «اللهم لَا تُدْرِكْنِي سَنَةٌ سَتِينَ ، وَلَا إِمْرَةٌ الصَّبِيَّانَ -
يشير إلى ولاية يزيد وكانت سنة ستين ، وإلى وقعة الحرّة ، وهى السبب
فى ترك المدينة - كما يشيرُ إليه قولُ القرطبي تبعاً لعيَّاض ، فلما انتهى
حال المدينة كمالاً وحسناً ، تَنَاقَصَ أَمْرُهَا إِلَى أَنْ أَقْفَرَتْ جِهَاتُهَا وَتَوَالَتْ
الْفِتَنُ فِيهَا فَخَافَ أَهْلُهَا فَارْتَحَلُوا عَنْهَا ، وَذَلِكَ لَمَّا خَرَجُوا عَلَى يَزِيدٍ
لِفِسْقِهِ وَلَشْرِيهِ الْخَمْرِ وَكَانَ يَعْرِضُ بِالطَّنَائِيرِ ، وَكَانَ ابْنُ حَنْظَلَةَ يَقُولُ : مَا
خَرَجْنَا عَلَيْهِ حَتَّى خِفْنَا أَنْ نُرْمَى بِالْحِجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ ، فَأَخْرَجُوا عَامِلَهُ
مِنَ الْمَدِينَةِ وَوَلَّوْا عَلَى الْأَنْصَارِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ الْفَسِيلِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ

(١) سبق تخريجهما وبيان درجتهم . وانظر الخلاصة (٧٤) وما بعدها . (١ ، ٢) سبق
تخريجهما وبيان درجتهم .
(٢ ، ٣) سبق تخريجهما وبيان درجتهم .

مطيع على قريش ، فَوَجَّهَ يَزِيدُ بْنُ معاوية مُسَلِّمَ بْنَ عقبة المُرِّي في جيش عظيم من أهل الشام ، فنزل بالمدينة ، فقاتل أَهْلَهَا فَهَزَمَهُمْ وَقَتَلَهُمْ بحرة المدينة قَتْلًا ذريعاً واستباح المدينة ثلاثة أيام ، فَسُمِّيَتْ وقعة الحرة لذلك^(١) ، ويقالُ : حَرَّةُ زهرة وكانت الوقعة بموضع يُعْرَفُ «بِوَقَم» كصاحب على مَيْلٍ من المسجد النبوي ، فَقُتِلَ بقايا المهاجرين والأنصار ، وخيارُ التَّابِعِينَ ، وهم ألف وسبعمائة ، ومن أخلاط الناس عشرة آلاف وسوى النساء والصبيان ، ومن حَمَلَةِ القرآن سبعمائة رجل ، وَجَّالَتْ الخيولُ في المسجد الشريف - زاده الله تشریفاً وتعظيماً وعاملهم بما يستحقون من العذاب - ودَعَا الناسَ إلى أَنَّهُمْ يبايعون ليزيد على أَنهم عبيد يفعل فيهم ما شاء - فَتَبَّحَهُ اللهُ وعاملَهُ بما يستحق - نعوذ بالله من شَرِّ الفتن قيل فحينئذ خَلَّتِ المدينةُ وَغَدَّتِ الثعالبُ وَالْكِلَابُ^(٢) ، ثم بفضل الله - تعالى - تَرَأَّجَعَ الناسُ وأهلك الله ذلك الفاسق بالذُّبْحَةِ وذَاتِ الْجَنْبِ ، وأهلك الله عامله ، لما سار من المدينة إلى قتال عبد الله ابن الزبير بالماء الأصفر في بطنه ، بَعْدَ الْوَقْعَةِ بثلاث ، وكان بين الحرة وبين موت يزيد القليل الأدب ، الفاجر الفاسق المستجرى وقعة الحرة ، وقتل الحسين - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ورمى الكعبة بالمنجنيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبْنَا اللهُ ونِعَمَ الوكيل ، وقد أخبر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بهذه الوقعة ، وأنه لَمَّا مرَّ في حَرَّةِ زهرة ، وَقَفَ وَاسْتَرْجَعَ ، وقال : «يُقْتَلُ في هذه الحرة خيارُ أُمَّتِي بَعْدَ أَصْحَابِي» .

وعن كعب «إِنَّا نَجَدُ في التوراة حَرَّةَ شَرْقَى المدينة مَقْتَلَةُ تُضْيَء وجوهم ضياء»^(٣) .

ويقالُ للحرة حَرَّةٌ واقِعٌ ، وذكر المجد وغيره ، أَنَّهُمْ في هذه الوقعة استباحوا الفروجَ وَسَبَّوْا الذُّرِّيَّةَ ، وكان يقالُ لِأُولَئِكَ أولادِ الحرة ، وأنه

(١) انظر الخلاصة (٧٥) وما بعدها . (٢) انظر وفاء الوفا ، والخلاصة .

(٣) انظر الخلاصة باب فيما يؤول إليه أمر المدينة .

وَلَدَتْ أَلْفَ امْرَأَةٍ بَعْدَ الْحَرَّةِ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ - وحسبهم الله وحسب كلُّ ظالم «وسيعلم الذين ظلموا أيُّ منقلب ينقلبون» .. وَمِمَّنْ قُتِلَ مِنْ (١) الصَّحَابَةِ يَوْمَئِذٍ صَبْرًا - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ الْفَسِيلِ مَعَ ثَمَانِيَةٍ مِنْ بَنِيهِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ حَاكِي ، وَضَوْءُ النَّبِيِّ - ﷺ - ، وَمَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ الْأَشْجَعِيُّ ، وَكَانَ شَهِدَ فَتْحَ مَكَّةَ وَكَانَ مَعَهُ رَايَةُ قَوْمِهِ ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُنِي لِيَالِي الْحَرَّةِ مَا فِي الْمَسْجِدِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ غَيْرِي ، وَأَنَّ أَهْلَ الشَّامِ لَيَدْخُلُونَ زُمَرًا زُمَرًا يَقُولُونَ : انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ الْمَجْنُونِ ، وَلَا يَأْتِي وَقْتُ صَلَاةٍ إِلَّا سَمِعْتُ أَذَانًا مِنَ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَتَقَدَّمْتُ فَصَلَّيْتُ ، وَمَا فِي الْمَسْجِدِ أَحَدٌ غَيْرِي قِيلَ : إِنَّهُ أَتَى بَعْلَى بْنَ الْحُسَيْنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مُسْلِمُ بْنُ عَقْبَةَ الْمُجَرِّمِ الْمُشْرِفِ ، مَعَ غَضَبِهِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ ارْتَعَدَ ، وَقَامَ لَهُ وَأَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِهِ ، وَقَالَ لَهُ : سَلْنِي حَوَائِجَكَ فَلَمْ يَسْأَلْهُ فِي أَحَدٍ مِمَّنْ قَدَّمَ لِلسَّيْفِ إِلَّا يَشْفَعُهُ فِيهِ ، وَانصَرَفَ ، فَقِيلَ لِعَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - رَأَيْتُكَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ - فَمَا الَّذِي قُلْتَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلَنَ ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلَنَ ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، وَرَبَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ .. قَالَ مُسْلِمُ بْنُ عَقْبَةَ : وَاللَّهِ لَقَدْ امْتَلَأْتُ مِنْهُ رُغْبًا ، وَلَقَدْ وَقَّاهُ اللَّهُ شَرَّنَا ، .. وَهَذَا مَا أُرَدْنَا نَقْلَهُ مِنَ الْخِلَاصَةِ (٢) وَغَيْرِهَا مِنَ الْفَوَائِدِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْآثَارِ الْجَمِيلَةِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلَتْ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ وَمَا أَقْلَلَتْ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ يَبْغِيَ عَلَيَّ ، عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ ثَنَاوُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، وَهَذَا الدُّعَاءُ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - خَالِدًا لَمَّا شَكَى إِلَيْهِ الْأَرْقَ وَالْفَرْعَ الْمَانِعَ مِنَ النَّوْمِ (٣) - ذَكَرَهُ فِي الْمَوَاهِبِ ، فِي ذِكْرِ طَبِّهِ - ﷺ - بِالْأَدْعِيَةِ الْمُبَارَكَةِ اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بَعِينِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ ،

(١) انظر وفاء الوفا . (٢) وفاء الوفا ، والخلاصة الباب السابق .

(٣) وهو حديث ضعيف ، لكن يعمل به في فضائل الأعمال .

وَكَثَّفَنِي بِكَتْفِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ ، وَارْحَمْنِي بِقُدْرَتِكَ عَلَى فَلَا أَمْلَكَ ، فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ قَلَّ لَكَ بِهَا شُكْرِي ، وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بِهَا قَلَّ لَهَا صَبْرِي ، فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرَمْنِي ، وَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلِيَّةٍ صَبْرِي فَلَمْ يَخْذُلْنِي ، وَيَا مَنْ رَأَى عَلَى الْخَطَايَا فَلَمْ يَفْضَحْنِي يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا يَنْقُطِعُ أَبَدًا ، وَيَا ذَا النِّعَمَاءِ الَّتِي لَا تُحْصَى عِدْدًا ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ ، وَبِكَ أَذْأُ فِي نَحْوِ الْأَعْدَاءِ وَالْجِبَّارِينَ ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى دِينِي بِالْدُّنْيَا وَعَلَى آخِرَتِي بِالتَّقْوَى وَاحْفَظْنِي فِيمَا غَبَتْ عَنْهُ وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فِيمَا حَضَرَتْهُ ، يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ وَلَا يَنْقُصُهُ الْعَفْوُ هَبْ لِي مَا لَا يَنْقُصُكَ وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، أَسْأَلُكَ فَرجاً قَرِيباً وَصَبْراً جَمِيعاً ، وَرِزْقاً وَاسِعاً وَالْعَافِيَةَ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَشُكْرَ الْعَافِيَةِ ، وَأَسْأَلُكَ دَوَامَ الْعَافِيَةِ ، وَأَسْأَلُكَ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

رواه الديلمي في مسند الفردوس ، عن جعفر بن محمد الصادق -رضي الله عنهما- عن أبيه عن جده أنه -عليه السلام- كان إذا حزبه أمرٌ دعا بهذا الدعاء ، وفي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، كان -عليه السلام- يقول عند الكرب :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ .

فصل : فى كمال خلقه وخلقه - ﷺ

أَمَّا خَلْقُهُ (١) فهو أحسنُ الناسُ خلقاً ، ولم يظهر ولا يظهر خلق آدميٌّ بمثله ، فيكون ما يشاهد من كمال خلق بدنه - ﷺ - دليلاً على عظيم خلقه - ﷺ - وأخلاقه العظام - ﷺ - دلائل على ما تحقق من (٢) قلبه المقدس ، ولله ذرُّ البوصيرى - رحمه الله - حيث قال : (٣)

فَهُوَ الَّذِى تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ النَّسَمِ
مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكِهِ فِى مُحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مَنْقَسَمِ

ولقد أَحَسَّنَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فى جوابه لما سألَهُ بعضهم من رؤساء القبائل الرسولَ - ﷺ - على قدر المُرْسَلِ ، قال الإمام القرطبى عن بعض العارفين أنه قال : لم يظهر لنا تمام حُسْنِهِ - ﷺ - لَأَنَّهُ لو ظهر تمام حسنه لَمَا أَطَاقَتْ أَعْيُنُ الْخَلْقِ رُؤْيَاهُ - ﷺ -

أَعْنَى الْوَرَى فَهَمَ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يَرَى لِلْقُرْبِ وَالْبَعْدِ فِيهِ غَيْرُ مَنْفَحَمِ
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ صَغِيرَةٍ وَكُلُّ الطَّرَفِ مِنْ أَمَمِ (٤)

وقال : فى الهمزية :

إِنَّمَا مَثَلُوا صِفَاتَكَ لِلنَّاسِ كَمَا مَثَلُ النُّجُومِ الْمَاءُ

وَأَمَّا خُلُقُهُ - ﷺ - فَقَدْ مَدَحَهُ اللَّهُ فى كتابه العظيم بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ
وَبِالرَّءُوفِ الرَّحِيمِ فَقَالَ تَعَالَى - ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤]

(١) انظر فى هذا الموضوع الشفا للقاضى عياض ، والخلاصة ، ووفاء الوفا للسهمودي ، وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم لأبى الشيخ ، وكتب السنة أبواب الأدب .

(٢) انظر بردة المديح للبوصيرى (ص ٧) .

(٣) كلمة [صغيرة] ساقطة من الأصل ، والتصويب من بردة المديح للبوصيرى .

(٤) الآية من سورة القلم (٥) .

وقال : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
[التوبة : ١٢٨]

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]

وقال تعالى - له - ﷺ : «وكان فضلُ الله عليك عظيماً»

ﷺ وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأمته أجمعين ، ويرحمُ الله ابنَ الخطيب الأندلسي حيث قال :

مَدَحَتْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ فَمَا عَسَى يُثْنِي عَلَى عِيَاكَ نُظْمٌ مَدِيحِي
وَإِذَا كَتَابَ اللَّهُ اِثْنِي مُفْصِحاً كَانَ الْقُصُورُ قُصَارَ كُلِّ فَصِيحِي

وقالت عائشة - رضى الله عنها - «كان - ﷺ - خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»
قال بعضُ العارفين ؛ وفي قَوْلِهَا سِرٌّ غَامِضٌ ، وإيماءٌ خَفِيَ إِلَى
الأوصافِ الرِّبَّانِيَّةِ فَاحْتَشَمَتِ الْحَضْرَةُ الإِلَهِيَّةُ أَنْ تَقُولَ : كَانَ مُتَخَلِّقاً
بِأَخْلَاقِ اللَّهِ - تعالى - فَعَبَّرَتْ عَنِ الْمَعْنَى بِقَوْلِهَا «كَانَ - ﷺ - خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»
استحياءً مِنْ سُبْحَانَ الْجَلَالِ وَسِتْرًا لِلْحَالِ بِلُطْفِ الْمَقَالِ ، وَهَذَا مِنْ وَفُورِ
عَقْلِهَا - رضى الله عنها - ، وَكَمَالِ أَدَبِهَا . وَهُوَ كَمَا قَالَ - ﷺ - سَيِّدُ
وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ «اللَّهُمَّ يَا إِلَهَ يَا رَبَّ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ شَفِّعْهُ فِينَا وَاجْعَلْنَا مِنْ خَوَاصِّ أُمَّتِهِ الْمُتَّبِعِينَ لِسُنَّتِهِ ، وَامْتَنِعْنَا
بِهِ وَبِجَوَارِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - آمِينَ ، وَحَاشَا أَنْ يَحْرَمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ
أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرُ مُحْتَرَمٍ .

وأقول : كما قال السيد على الوَفَوَى - رحمه الله تعالى - وَتَنَفَّعْنَا بِهِ

(١) الآية من سورة التوبة (١٢٨) .

(٢) الآية من سورة الأنبياء (١٠٧) .

(٣) الآية من سورة آل عمران (١١٣) .

(٤) البيتان من وفاء الرفا للسهمودي ، ونسبها إلي ابن الخطيب .

عَلاهِ أَنْ يَتَلاشَا	مَنْ أَنْتَ مَوْلَاهُ حَاشَا
لَا مَاتَ مَنْ بَكَ عَاشَا	وَاللَّهِ يَا رُوحَ قَلْبِي
لَا يَرْجِعُونَ عَاشَا	قُومَ لَهُمْ أَنْتَ سَاقِ
وَفَاؤُكَ رَاشَا	لَا قَصَّ دَهْرُ جَنَاحَالِهِ
لَنْ وَهَبْتَ أَنْتَ عَاشَا	بِكَ النِّعِيمِ مَقِيمِ
لَنْ يَضَعُفَ الدَّهْرُ حَاشَا	وَمَنْ بَحَاؤُكَ يَقْوَى
فَكَيْفَ لَا يَتَحَاشَا	عَبْدُهُ بِكَ عَزْ
مَنْ أَنْتَ مَوْلَاهُ حَاشَا	حَاشَا وَفَاؤُكَ يَرْمَى



فصل : ولنختم هذه الفوائد الجليلة

التي هي شفاعة وطب للقلوب العليّة
بأحاديث نبوية - وادعية مأثورة جامعة مصطفىّة .
واستعانات شريفة محمّدية

لنسأل الله حسن الختام .. فى جوار النّبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ..

وعن ابن عمر - قال رسولُ الله - ﷺ -

«رَأَفُ أُمْتِي بِأُمْتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءُ عِثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلَى، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَوَهُمْ أَبِي، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، إِلَّا وَإِنْ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» (١) .

وفى الجامع الصغير عن أبى أمانة قال : قال رسولُ الله - ﷺ -

«إِذَا قَرَأَ الرَّجُلُ الْقُرْآنَ وَاحْتَشَى مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، وَكَانَتْ هُنَاكَ غَرِيزَةٌ كَانَتْ خَلِيفَةً مِنْ خُلَفَاءِ الْأَنْبِيَاءِ» (٢) أَخْرَجَهُ الرَّافِعِيُّ فِي تَارِيخِهِ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - :

«إِذَا فَتَحَ عَلَى الْعَبْدِ الدُّعَاءَ فَلْيَدْعُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُ لَهُ» (٣) وَالْحَكِيمُ عَنْ أَنَسٍ مِثْلَهُ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَفَعَهُ «إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ ، جِيرَانُكَ أَنْتَ مُحْسِنٌ ، فَأَنْتَ مُحْسَنٌ ، وَإِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ جِيرَانُكَ أَنْتَ مُسِيءٌ ، فَأَنْتَ مُسِيءٌ» (٤) ابْنُ عَسَاكِرٍ وَالطَّحَاوِيُّ .

(١) صحيح . عزاه السيوطى فى الجامع الصغير لأبى يعلى فى المسند (٣٧/١) .

(٢) ضعيف . عزاه السيوطى فى الجامع الصغير إلى الرافعى فى تاريخه (٣٣/١) ورمز له بالضعف

(٣) ضعيف عزاه السيوطى فى الجامع الصغير إلى الحكيم الترمذى (٣٢/١) ورمز له بالحسن .

(٤) صحيح . ذكره التبريزى بنحوه فى مشكاة المصابيح كتاب الآداب . باب الشفقة والرحمة على الخلق حديث (٤٩٨٨) ، وكذلك أحمد والحاكم والطبرانى . وعزاه السيوطى بلفظه إلى ابن عساكر كما فى الجامع الصغير .

عن جابر عن عليّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - رفعه .

«إذا أحببتهم أن تعلموا ما للعبد عند ربه فأنظروا ما يتبعه من الثناء»^(١) ابن عساكر ومالك عن كعب . موقوفا .. قال الخليل إبراهيم - عليه الصلاة والسلام ﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]^(٢) ويقدر كمال تواضع المرء وحسن خلقه ومكارم شيمه وجوده وإحسانه ، يكون ثناء الناس عليه ، بإلقاء الله تعالى - مَحَبَّتُهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ ، فَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَنْ يَنْفَعُ النَّاسَ ..

وعن أبي هريرة - رفعه - «أكرم المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٣) .

وفى رواية .. عنه - بزيادة وخياركم خياركم لنسائهم ..

وعنه قال : قال رسول الله - ﷺ - «اللَّهُ اللَّهُ فِيمَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ إِلَّا اللَّهُ»^(٤) ابن عدي

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - ﷺ .

«اكفلوا لى ستّ خصالٍ أكفل لكم بالجنة ، الصلاة ، والزكاة ، والأمانة ، والفرج ، والبطن ، واللسان»^(٥) اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة .

عن أنس وسهل « اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفعُ وعملٍ لا يرفعُ ، ودعاءٍ لا يُسمعُ»^(٦) .

(١) ضعيف جداً . عزاه السيوطى فى الجامع الصغير إلى ابن عساكر ومالك موقوفاً عليّ (١٧/١) .

(٢) الآية من سورة الشعراء (٨٤) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) ضعيف . السيوطى فى الجامع الصغير وقد عزاه إلى ابن سعد فى الطبقات ، والطبرانى (٥٦/١) ورزله بالضعف .

(٥) ضعيف . أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده ، وعزاه السيوطى إليه فى الجامع الصغير (٥٥/١) .

(٦) صحيح أخرجه أحمد فى المسند (٣٤٠ / ٢) ، والبيهقى فى السنن ، وانظر الجامع الصغير للسيوطى .

عن أنس «اللهم أَحْيِنِي مَسْكِينًا وَتَوَفَّنِي مَسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زَمَرَةِ الْمَسَاكِينِ ، وَإِنْ أَشَقَى الْأَشْقِيَاءَ مِنْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقَرُّ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ» (١) .

عن أبي سعيد «اللهم إني أسألك من الخير كُلِّهِ ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذُ بك من الشرِّ كُلِّهِ ما علمتُ منه وما لم أعلم» (٢) .

عن جابر بن سُمْرَةَ وكذا الطيالسي «اللهم احسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأَجِرْنَا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة» (٣) .

عن بَسْر بن أرطاة «اللهم مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ - ﷺ - فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، فَاشَقَّ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِهِمْ فَفَرَّقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» (٤) .

عن عائشة - رضى الله عنها - «اللهم زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا ، وَاکْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا ، وَأَعْظِمْنَا وَلَا تَحْزِمْنَا وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِر عَلَيْنَا ، وَارْضْنَا وَارْضَ عَنَّا» (٥) .

عن عَمْرٍ «اللهم اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي ، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي» (٦) .

عن أبي هريرة «اللهم إني أعوذُ بك من زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» (٧) .

(١) موضوع . والشطر الأول منه صحيح وذلك إلى قوله : «واحشُرني في زمرة المساكين» لكنه بهذه الزيادة موضوع . أخرجه الحاكم في المستدرك .
(٢) صحيح . أخرجه أحمد في المسند (٣ / ١٠٤) ، والحاكم في المستدرك ، وابن حبان في صحيحه .

(٣) ضعيف . أخرجه أحمد في المسند (٤ / ١٨١) ، والحاكم في المستدرك (٥ / ٢٣٥) وحكم عليه بالصحة وتعقبه الذهبي ، وابن حبان في الصحيح ، والطيالسي في مسنده .

(٤) صحيح . أخرجه مسلم في صحيحه .

(٥) ضعيف . عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى ابن عساكر والخطيب البغدادي

(٦) حسن . أخرجه الترمذي ، وأبو يعلى ، وابن السني ، وأحمد في المسند ، وكذلك الطيالسي في مسنده .

(٧) صحيح . أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء . باب أكثر أهل الجنة الترمذي وأبو داود في مسنده ، ومعنى يفتة : فجأة

عن ابن عمر « اللهم أعوذُ بك من قلبٍ لا يخشع ، ومن دُعَاءٍ لا يُسمع ، ومن نفسٍ لا تشبع ، ومن علمٍ لا ينفع ، وأعوذُ بك من هؤلاء الأربعة » (١) .

عن ابن عمر .. عن أبي هريرة .. عن أنس

« اللهم إني أسألك رحمةً من عندك تهدي بها قلبي ، وتجمع بها أمري ، وتكلمُ بها شعئي وتصلح بها غائبي ، وترفع بها شاهدي ، وتزكّي بها عملي ، وتكلمني بها رشدي وتردّ بها الفتن ، وتغنّيني بها من كل سوء » (٢) .

عن ابن عباس « اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم ، وأكرمني بالتقوى » (٣) ابن النجار عن ابن عمر « اللهم اغفر لي وارحمني وألحِقني بالرفيق الأعلى » (٤) .

عن عائشة ، وعن عليّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسولُ الله - ﷺ - :
« اللهم ارحم خلفائي الذين يأتون بعدي ، يروون أحاديثي ، ويعلمونها الناس » (٥) .

والله أعلم

انتهى ما أردناه من النقول في حُبِّ سيّدنا وشفيعنا وملاذنا النبي
الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ..

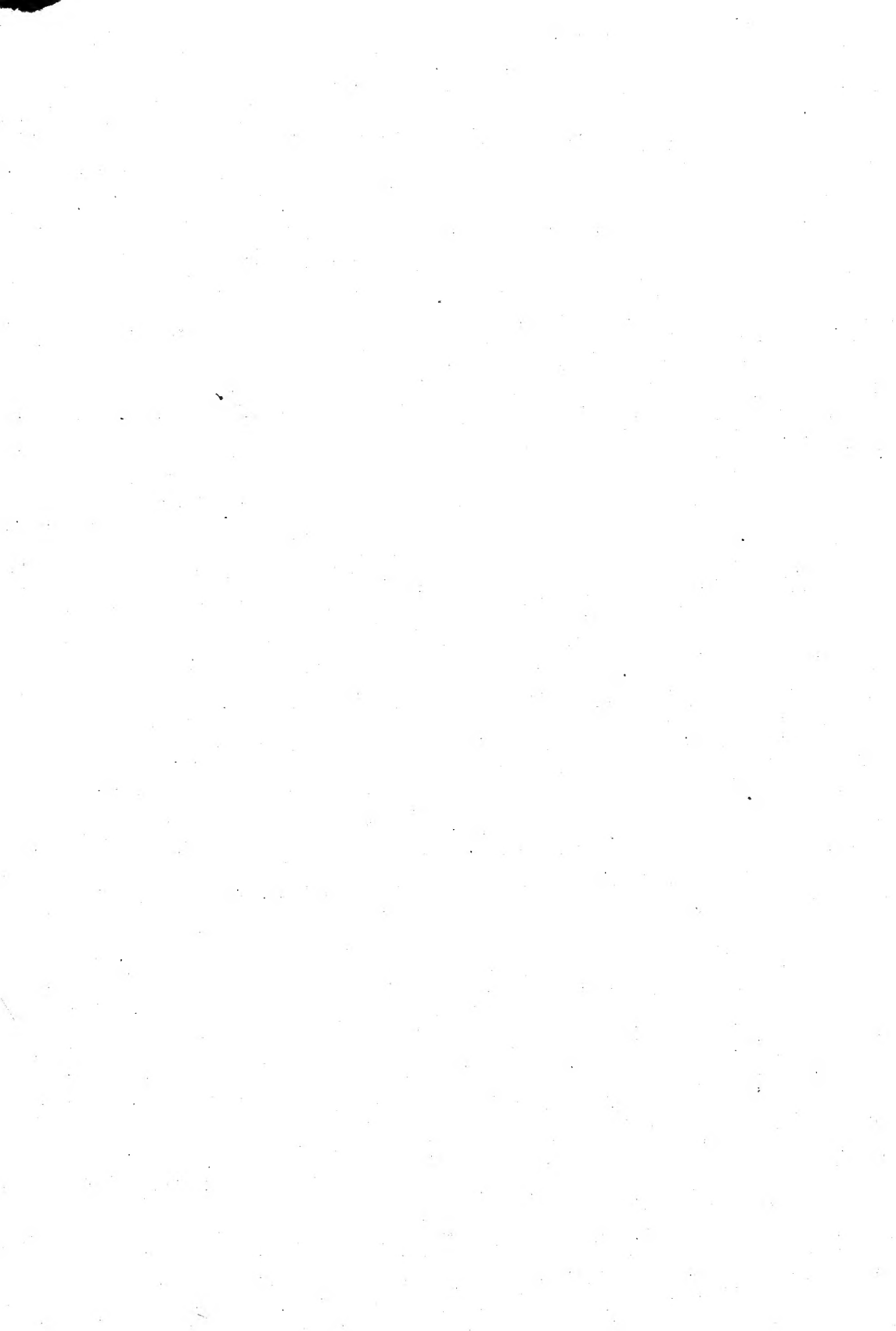


(١) صحيح . أخرجه الترمذی فی سننه ، والنسائي ، والحاكم فی المستدرک .

(٢) سبق تخريجه وبيان درجه .

(٣) ضعيف . عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى ابن النجار .

(٤) موضوع . عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى الطيالسي ، وانظر مسند الطيالسي .



الفهرس

٧ مقدمة التحقيق
١١ بعض ما ألف عن المدينة
١٧ مؤلف الكتاب
١٩ منهج التحقيق
٢١ مقدمة المؤلف
٢٥ الترغيب فى الصلاة فى المسجد الحرام والمسجد النبوى والأقصى
٣٧ تحريم المدينة ونقل حماها إلى الجحفة
٥٨ توسل الزائر بالنبى ﷺ إلى ربه
٨٠ آداب المجاورة للنبى ﷺ
١٢٦ حكم حرم المدينة وحدودها
١٤١ آبار المدينة
١٤٩ أودية المدينة
١٥٣ أحماء المدينة
١٥٦ صدقات النبى ﷺ
١٦٠ ذرع المسجد النبوى
١٧١ الأروقة والأساطين الخاصة بالمسجد
١٩٢ إكرام الله أهل المدينة
٢٠٢ مرض الرسول ﷺ ووفاته
٢٢٩ من آياته ﷺ
٢٣٣ أربعون حديثاً فى فضائل المدينة